د. محمود جامع

عرفت السادات



المكتب المصري الحديث

عرفت السادات

نصف قرن من خفايا السادات والاخوان

الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

الناشر : المكتب المصرى الحديث
٢ ش شريف باب اللوق القاهرة ت:٣٩٣٤١٢٧
٧ ش نوبار المنشية الأسكندرية ت:٤٨٤٦٦٠٢

إهــــداء ٢٠٠٨
أسرة المرحوم الأستاذ/ محمد إدريس
جمهورية مصر العربية

عرفت السادات

نصف قرن من خفايا السادات والاخوان

د. محمود جامع

المكتب المصري الحديث

إهـــــــداء

كانت تربطني بالراحل الكريم الإمام محمد متولي الشعراوي غفر ا لله له صلة روحية طويلة الأمد، عميقة الأثر – وقد كـان أمله لـو طـال بـه العمـر أن يقـدم كتابي هذا للقراء الأعزاء – وقد كان شرفاً كبيرا لي كنت دائما أتوق إليه واحلم به.

ولكن تصاريف القدر كانت أقوى وأسـبق. واثنـاء طبـع الكتـاب، وفي ليلـة الجمعة٢ أكتوبر سنة١٩٩٨ – قبل قيامي لصلاة الفجـر رأيـت فضيلتـه في منـامي وهو يلبس العمامة والجبة والقفطان وأخـذ يكتـب بـالقلم علـى طـرف قفطانـه – وابتدأ كتابه باسم ا لله العلي القدير، وأثني وصلي وسلم علـى رسـول ا لله سـيدنا محمد.. وبعد انتهائه من الكتابة – قطع القطعة التي كتب عليها وأهداها لي وقـال لي هذه مقدمة كتابك يا محمود قد كتبتها لك وأهديتها إليك.

فكان حقاً عليّ أن أكتب هذه المقدمة وأرسلها علـى الفـور إلى أخـي العزيـز ماجد أحمد يحيى ليضعها في مقدمة كتابي.. مهدياً كتابي هذا إلى روح شيخي محمد متولي الشعراوي... ومسترجعا – بعـد إذن القـارئ العزيـز – مـا كتبتـه عنـه مـن عبرات بعد وفاته مباشرة نشرت بجريدة الوفد – ولم يقـف القلـم في يـدي – بـل أنساب وكأنني أكتب من قلبي وروحي... وتوجهت بخطابي هذا قائلاً:

دمعة في رحاب الإمام

هل يتحمل هذا الورق الأصم شدة انفعالاتي..؟؟ وهل يطفئ حرقة حزني؟؟ وآهاتي؟؟.. اللهم قدر هذا الجماد على تحمل هذا العبء الغالي.. لأغلى الأحباء.. واعظم الدعاة..

أيها الإمام الغالي... كانت رحلتي معك في الحياة منذ الأربعينات هي رحلة الفرار إلى الله دائما... غذاؤنا... وزادنا.. القرآن... والقرآن تلاوة وحفظاً وترتيلاً، وتفسيراً... سراً وعلانية.. أفراداً وجماعات في مصر بمدنها وقراها وريفها وحضرها... بل وفي كل بقاع الدنيا بقيادتك الهادية الواعية الحانية الرشيدة... هي رحلة الجهاد في سبيل الله.. لتكون كلمة الله هي العليا دون زيف أو بهتان...

عاشرتك... يا إمامنا في الحلو والمر... وفي الليل والنهار.. وتتلمذت على يديك... وأسقيتني كؤوس العلم والمعرفة في منهل القرآن والسنة المطهرة – وعلمتني كيف يكون الصبر والاحتمال في سبيل الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله.. وأن طريق الدعوة إلى الله .. دائما ملئ بالأشواك...والمحاذير... والابتلاء..

وعرفت طريقك جيداً إلى ربك مبكراً.. وأخذتني معك في رحابك الفسيحة الطاهرة.. وحنانك الفياض.

وكنت دائما تدعو ... وتدعو وتتضرع إلى رب العزة ونحن نردد من خلفك الدعاء... من قلوبنا وأرواحنا...

اللهم إن هذه القلوب قد اجتمعت على محبتك، وألتقت على طاعتك، وتعاهدت على نصرة شريعتك.. فوفق اللهم رابطتها، وأدم ودها... واملأها بنورك الذي لا يخبو واشرح صدورها بفيض الإيمان بك وجميل التوكل عليك واحيها بمعرفتك وامتها على الشهادة في سبيلك إنك سميع مجيب، فتقبل ا لله دعوتك المخلصة.. ودعوة أحبابك من خلفك.. فكان المخاض الطبيعي... هو هذه الشعبية الجارفة الهادئة في حياتك، وبعد مماتك. دون زيف أو بهتان... فهي من صنع ا لله عز وجل، ورعايته لك... وصدق ا لله وعده..نصر عبده، وأعز جنده. وما كان لله دام واتصل .. وما كان لغير ا لله انقطع وانفصل..

والموت حق علينا جميعا.. اللهم لا اعتراض... ولكن انفعالات النفس البشرية... ولوعة الفراق... والحرمان.. تزلزل القلوب والوجدان بقدر تعقلها، وارتباطها بفقيرها...

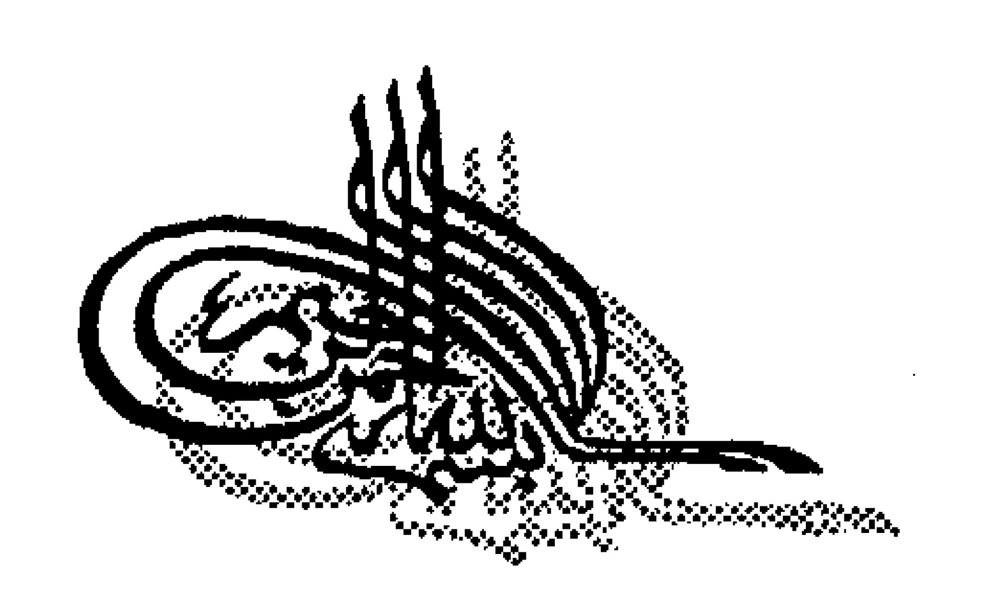
اللهم صبرا على احتمال هذا الخطب الجليل.. وهذا الحرمان المهول.. فخسارتنا فادحة – وصدمتنا مروعة – يا مولانا.

ولا نملك إلا أن نقول ونردد ما أنزله ا لله في قرآنه الكريم... ﴿*وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون...*﴾ صدق ا لله العظيم – وإلى لقاء قريب أيها الحبيب.

محمود جامع

٣أكتوبر ١٩٩٨

مقدمة



﴿ رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ،

واحلل عقدة من لساني ، يفقهوا قولي ﴾ صدق الله العظيم

يشهد الله عز وجل أنني ما قصدت من كتابة هذه المذكرات إلا وجه الله، وما دفعني إلى ذلك إلا أنني وجدت خلال السنوات الماضية كتابات كثيرة في المجلات والصحف والكتب والإعلام المرئي والمسموع... فيها كثير من المعلومات أو التحليلات الناقصة، أو المشوهة أو المزينة أو الكاذبة. بقصد أو دون قصد.

والكلمة أمانة ...والتاريخ لا يكذب .. ولا يتجمل ... ويبقى دائماً أن الحقيقة شامخة.. راسخة .. مرفوعة الرأس.. ناصعة البيان.. مهما أهيل عليها التراب.. أو مضى عليها الزمن.. والكلمة الطيبة .. كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بأمر ربها.. أما الكلمة الخبيثة فهي كالشجرة الخبيثة.. مالها من قرار ..

ولا بد للكاتب أو المؤرخ .. أن يتجرد كاملاً من عواطفه الشخصية تجاه أي حدث.. ويتحرى مصداقية القول لأنها أمانة أمام الله سبحانه وتعالى..

وقد لاحظت أن كثيراً من الكتاب السياسيين يصفي حساباته الشخصية في كتاباته عن مسئولي الحكم في العصور المختلفة. ونحن لا نصفي حسابات، ولا نشهر بأحياء، أو ننبش في قبور أموات... فهم بين يدي الله.. ونحن جميعاً في رحمة الله.. ولكننا نخاطب عقول وقلوب وضمائر شباب هذا العصر... الحائر والمدمر.. وهم قادة المستقبل.. والأمل المرتجى في كل بناء أو نهضة أو إصلاح منشود.

ونأخذ العبرة . كل العبرة ... من كل هذه الأحداث، وكل السلبيات الناتجة عن كل الممارسات الخاطئة.. حتى يتجنبها كل مصلح مستقبلاً..

وقناعتي الكاملة بعد معايشتي لكل هذه الأحداث منذ فجر شبابي أنه لا حل لكل مشاكل بلدنا .. بل وللعالم العربي والإسلامي .. إلا بالتمسك بتعاليم الإسلام .. وقيمه .. في جميع تشريعاتنا، وقوانيننا، وسلوكياتنا .. في مجتمعنا الصغير، والكبير ..

ولابد أن نغرس هذه المبادئ في أطفالنا وشبابنا .. بعزة وكرامة وإصرار فالإسلام هو الملاذ.. إن عاجلاً .. وإن آجلاً .. مهما تعددت الشعارات البراقة أو الخادعة .. التي لا طائل وراءها.. والإسلام هو الذي يقول للحاكم والمحكوم .. قف من أنت ولا أحد فوق الحساب.. والإسلام هو الشورى وهو الديمقراطية، وهو المساواة، وهو العدالة .. وهو كرامة الإنسان، وضمان حقوقه وحريته وحمايته، وطمأنينته ..

ولنا في رسول الله سيدنا محمد خاتم الأنبياء وصحابته القدوة الحسنة، ولنا في المصلحين من بعده .. الذين اهتدوا بهديه .. وساروا على نهجه العبرة كل العبرة

وقد آثرت في رواياتي للأحداث المصداقيــة الكاملـة، والموضوعيـة.. وتجنبـت الخوض في حقائق كثيرة وتجارب عشتها وأعرفها .. منها ما هو خطير، ومنها ما قـد يسبب حساسيات أو جروح "أنأى بنفسي أن أخــوض فيهـا أو أفشـي سـراً خاصـاً بها.. وعشت في صراع شديد .. حتى وصلت إلى قراري بترك هــذه الأمـور جانبـاً إلى حين.. وكلمتي الأخـيرة أقولهـا عـن تجربـة، إن طريـق الدعـوة إلى ا لله مفـروش بالأشواك ومحاط بالمحاذير وهو طريــق طويـل وعسـير يتطلـب الصـبر والتضحيـة .. وليس طريقاً مفروشاً بالورود.. وأفـوض أمـري إلى ا لله - وا لله غـالب علـى أمـره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

دكتور

محمود جامع

أغسطس ١٩٩٨

‹ ١ ›

البدايات الأولى

"بينما كنا نتناول غداءنا، جاء أحد الأخوة و ألقى بالرمل والتراب فى الطعام ونحن نأكل .. ولما سألته عما فعل قال....."

تعود البدايات الأولى، إلى عام ١٩٣٢، حيث ولدت في بورسعيد، رغم أن أسرتي كانت ولا تزال تقيم في قرية كفر السادات، مركز تلا، بالمنوفية تلك القرية التي عاش فيها أجدادي، وكان والدي من رجال القضاء، وجدي عمدة البلدة .

وعلى مسافة ثلاثة كيلو مترات من كفر السادات، كانت تقع قرية ميت أبو الكوم، حيث كانت تقيم عائلة السادات وأسرته، ولعل قرب المسافة بين القريتين، وقصرها، كان أدعى إلى توثيق العلاقة، بيننا، منذ بواكير الطفولة. علاوة على قرابة جدة السادات لعائلتي.

كانت هناك علاقات، وصداقة، ومودة، بين والد أنور السادات، وبين والدي وجدي وأخوالي. وكان محمد الساداتي والد أنور السادات، رجلاً شهماً طيباً، ذا أخلاق رفيعة، وكنت ألاحظ تواجده، بكثرة، هو وابنه أنور، في دوار العمدة عندنا، حيث كانا يقضيان السهرات والليالي الطويلة. وكان كل ذلك، هو الطريق إلى توثيق العلاقات بيننا.

ثم توطدت العلاقة مع السادات أكثر، عندما التحق أحد أخوالي، بمدارس القاهرة، وسكن في منزل أسرة السادات، بحدائق القبة بمصر الجديدة، وفي وقت لاحق التحقت أنا بطب القاهرة أيضاً، وعرفت الطريق إلى بيت السادات بالمنيل، واقتربت منه أكثر، وراح يروى لي، تفاصيل حياته، كما قص عليّ أسراراً كبيرة، عن اهتماماته بالحياة العامة.

وفى منزله، فيما بعد، تعرفت على قيادات الأخوان، وكبار رجال الحكم، على مدى سنوات علاقتنا، حتى رحيله إلى الرفيق الأعلى.

كنت في ذلك الحين، في الحادية عشرة من عمري تقريباً، وكنت قد نشأت نشأة دينية محافظة، وسط أسرة متمسكة بدينها وحريصة عليه.

وتعرفت على القيادي الوفدي، محمد إبراهيم مصطفى، الذي كان مقيماً في طنطا، حيث أقيم أنا حالياً، ومنه سمعت عن الإخوان المسلمين، وروى لي حقائق كثيرة حول دعوتهم، وحول زعيمهم الشاب وقتها، الشيخ حسن البنا. واستطاع محمد مصطفى، بحديثه الجميل، والمقنع، والمحبب إلى النفس، أن يخلق لدى شغفاً كبيراً، للتعرف على تلك الدعوة، وحقيقتها، ورجالها الذين كانوا يطوفون مصر كلها، من شمالها إلى جنوبها. وقررت أن أذهب لحضور حديث الثلاثاء الأسبوعي لحسن البنا، وقد بهرني جداً، كما بهر غيري كثيرين، واتخذت قراراً بالانضمام إلى الإخوان المسلمين، عام ٤٢، ثم عكفت على مطالعة التفاسير، ورسائل الإمام البنا، وحفظت القرآن الكريم، وتعمقت أكثر في دراساتي وقراءاتي الإسلامية، وشاركت في معسكرات تدريب للإخوان المسلمين.

وفى جمصة، أقيم معسكر للإخوان عام ٤٦، وبعد أن شاركت فيه، عرفت أن الذي أقامه ونظمه هو التنظيم السري للإخوان، بقيادة عبد الرحمن السندي.. كان معسكراً ضخماً، التقيت فيه بالدكتور عبد العزيز كامل، وزير الأوقاف فيما بعد، وتدربنا على السلاح والمصارعة اليابانية. وذات ليلة، وأثناء تدريباتنا المعتادة، على شواطئ جمصة، لاحظنا وجود معسكر آخر على بعد ٥٠٠متر من معسكرنا وتسللنا إلى هناك، لنفاجأ بأنه معسكر لتدريب اليهود، رجالاً ونساء، وكانوا يتدربون على السلاح، وكيفية استعماله، وقت الضرورة.

وعرفنا، فيما بعد، أن ذلك المعسكر اليهودي الصغير، كان هو النواه الأولى للجماعات اليهودية التي اعتادت على العنف، وأحدثت حرائق ضخمة، وأشعلتها

في القاهرة والإسكندرية ومنها عملية "لافون" الشهيرة التي اتهم فيها الإخوان المسلمون ظلماً، وثبت بعد ذلك براءتهم.

وبعد ذلك اشترك شباب التنظيم السري للإخوان المسلمين في حرب فلسطين وأبلوا بلاءً حسناً. ولكن النقراشي رئيس الحكومة أمر قائد القوات المصرية باعتقال جميع متطوعي الإخوان المسلمين ووضعهم في معسكر في رفح وقام بترحيلهم إلى معتقلات القاهرة - وتم حل جماعة الإخوان المسلمين وتم اغتيال النقراشي... بفتوى تقول أنه يحارب الإسلام..

وكان دوري داخل الأخوان، في ذلك الوقت محدداً، وهو المساعدة في طباعة وتوزيع جريدة اسمها "الوثبة" وربما كان صغر سني، يعد العامل الأساسي في اختياري لتلك المهمة. لأن صغر السن كان يساعدني في التخفي، وفي ألا يلفت نظري انتباه رجال الأمن . وذلك سنة١٩٤٨ بعد حل الإخوان المسلمين.

وكنت قد انضممت إلى التنظيم السري للإخوان، عام٤٦، وكان هدفي، وهدف كل عضو آخر، في الجهاز، هو حفظ القرآن الكريم، والتربية الروحية والعسكرية والنفسية، بحيث يكون المسلم جاهزاً ومستعداً للجهاد والتضحية بنفسه في أي وقت. وأن يجعل العضو، نصب عينيه، الموت في سبيل الله، باعتباره أمنية سامية.

وكان الهدف الأكبر، من عمل الجهاز، هو الوصول إلى مرحلة "التمكين" وهي المرحلة التي تسعى إليها جماعة الأخوان، باعتبارها، أي تلك المرحلة، هي التي ستمكن للإسلام وشرع الله، دون الإقرار بحدود معينة. بمعنى أن تنتشر الدعوة على مستوى العالم كله، وليس داخل مصر وحدها، كوطن لنا.

ولكن المشكلة أن رؤى أعضاء الجهاز لمرحلة التمكين، وللطريق إليه اختلفت كثيراً... بعضهم كان يؤمن بالشدة، وبعضهم كان يؤمن باللين. وأدى ذلك إلى وقوع أحداث عنف استندت إلى اجتهادات شخصية، من داخل الجماعة ذاتها.

وبدأ سوء الفهم بين الإمام حسن البنا، وبين السندي الذي راح ينفذ عمليات، ويعطى تعليمات، بدون الرجوع للإمام، وكان ذلك واضحاً جداً، في حادث مقتل النقراشي باشا، عام٤٨، عندما تبين أن قاتله قد استند إلى فتوى بجواز قتله وإهدار دمه، من أحد علماء التنظيم السري.

وكانت فتوى قتل النقراشي، مستندة إلى أنه كان يحارب الإسلام، وأنه اتخذ إجراءات قاسية جداً، ضد الجماعة وأعضائها، وأنه أصدر أمراً عسكرياً بحل الجماعة، بناء على اتهامات باطلة. وأصدر أمراً عسكرياً بالقبض على المجاهدين من الإخوان المسلمين في فلسطين وأمر قائد الجيش المصري بوضعهم في معسكرات اعتقال في جبهة القتال وترحيلهم للقاهرة. ولذلك كان عضو الجهاز السري يتوجه لتنفيذ العملية المكلف بها، وهو على يقين أنه شهيد.

كان التنظيم السري، قد بدأ ينفصل عن الجماعة ويتخذ له فلسفة خاصة، في القيام بأعمال العنف. وحقيقة الأمر، أن الإخوان لم يفكروا يوماً، في ممارسة العنف، ولم يكن ذلك منهجهم أبداً، وإنما نُسبت إليهم بعض حوادث العنف، زوراً وبهتاناً، مثل تفجيرات الإسكندرية، وخاصة حادث سينما مترو، ثم اتضح أنهم أبرياء منها تماماً. كما أن بعض الحوادث الأخرى جرى استفزازهم واستدراجهم إليها. وثبت أن انفجارات سينما مترو بالإسكندرية كانت بفعل اليهود وليس الإخوان المسلمين – وقد اشتعلت شحنة ناسفة في جيب أحد الشباب اليهود داخل السينما، وتم القبض عليه واعترف كما قبض على جواسيس قضية لافون وهم... مايرمايوجاس، رماير زعفران (بكالوريوس زراعة)، فكتور (طالب هندسة)، فيليب (خبير مفرقعات)، روبير (يهودي مصري)، راشيل (سجن القناطر) وعوملوا في السجن أحسن معاملة، ولم يذهبوا لتكسير الأحجار في الجبل على الإطلاق.

هذه شهادة أبديها، وأقُر بها، رغم أنى فارقت الجماعة من٤٣عاماً ولم يعد لي بها أي صلة.

أقول ذلك، وقد عاصرت أحداثاً متلاحقة من العنف ورأيت بعضها بعيني، ومنها أحداث أستفز فيها الإخوان، مثل حادث اغتيال اللواء سليم زكى، (حكمدار العاصمة). لقد كنت طالباً في كلية الطب ورأيت من نافذة قسم الفسيولوجى، عبد الرحمن بك عمار، (وكيل وزارة الداخلية)، واللواء سليم زكى، وكان يرتدى معطفاً أسود، وهما يقتحمان بوابة قصر العيني بدبابة مكتوب عليها كلمة "سليم" ومعها أعداد من الجنود أطلقت الرصاص على حشود الطلبة، وتصاعدت الأحداث، وفوجئت بقنبلة تسقط تحت قدميّ سليم زكى، فترديه قتيلاً، ثم تدخلت قوات الشرطة لتلقى القبض على مئات الطلاب والأساتذة الذين أصيب منهم كثيرون من اعتداءات الشرطة.

ولكن هذا لا ينفى أن التنظيم السري، كان يضم عناصر وطنية، فوارة بالحماس والعطاء والتضحية. واذكر أننا، ونحن شباب في الإخوان، كنا نعمل بطاعة عمياء، ولم يكن يُسمح لنا إطلاقاً، بأن نناقش أمراً، أو نتحاور حوله، هذا فضلا عن أن نعصيه.

وكان في التنظيم السري، قسم خاص لتربية الأعضاء على الطاعة والولاء وتنفيذ الأوامر، بلا مناقشة، أو بلا معرفة اسم المسئول في الجهاز، الذي أصدر الأوامر... إنها طاعة عمياء، بلا نقاش ولا جدال، ولم يكن العضو يستطيع أن يفشى سراً أبداً. وكان مصير الذي يفشى الأسرار هو الموت المؤكد. وكان التنظيم يحيط نفسه بهالة من السرية والرهبة، فلا يعرف الأعضاء بعضهم بعضاً، وقد يحدث أن يتواجد اثنان من الأعضاء في مكان واحد، دون أن يعلم أي منهما أن الآخر عضو معه في الجهاز.

وفى المقابل كانت حركة جماعة الأخوان، وقراراتها وعملها، كلها علنية أمام الجميع، وكانت القيادة معروفة للجميع، وكذلك أعضاء مكتب الإرشاد.

لذلك، فإن رأيي الشخصي، الذي أحب دائماً، أن أركز عليه، أن العنف الذي وقع من الجماعة أو من الجهاز، كان مرجعه إلى اجتهادات شخصية، لا شأن للتنظيم بها. إنني أذكر مثلا، أننا كنا في معسكر جمصة عام٤٦، وبينما نتناول غداءنا جاء أحد الأخوة وألقى بالرمل والتراب في الطعام ونحن نأكل، ولما سألته عما فعله قال أن ذلك يعلمنا التقشف والشدة!! ولما حاولت أن أفهمه أن ما فعله يجلب الأمراض أكثر مما يعلم التقشف، لم يقتنع، وإنما قال أن تناول الطعام مخلوط بالزلط والرمل، يزيد ثواب الأكل نفسه! وقال لي: اخشوشن يا أخ..!!

ومن تلك الواقعة، يتبين لنا، أن ما فعله ذلك الرجل، هو اجتهاد شخصي، مخبول، وانه لا يمت لا لتعليمات الجماعة، ولا لمبادئ الإسلام، بأدنى صلة. إنما هو رجل مخبول، تصور أن مثل هذه الأفعال الخرقاء، يمكن أن تقربه إلى ا لله.

والعجيب، إنك كنت إذا ناقشت أمثال هؤلاء، يردون عليك ويقولون: (لا تناقش ولا تجادل. والتزم...).

وكانت النتيجة الطبيعية، أنى تركت المعسكر، قبل انتهاء مدته، لأني ارفض مثل هذه الأفكار السلبية، والفهم الخاطئ والضيق لمبادئ التنظيم.

وقد تكرر هذا الفهم الردئ في رأيي عام٥٤، عندما تمت مناقشة فكرة اغتيال عبد الناصر. إذ وافق عليها البعض، وكانت له مبرراته، ورفضها البعض الآخر، ولم يقبل الفكرة من أساسها. ولذلك، كان من الصعب أن تصل إلى صاحب الفكرة، وتناقشه. وإنما تصل الأوامر إليك كعضو، وأنت جالس،وليس أمامك إلا التنفيذ... أو الموت!

في أواخر الستينات روى لي السادات، في جلسة بمنزله بالمنيل، أن الفريق عزيز المصري، الأب الروحي لضباط الجيش، طلب منه البحث عن طائرة خاصة

تقلهما معاً إلى رشيد عـالي الكيلانـي، في العـراق، للقيـام بثـورة مـن هنـاك، ضـد الإنجليز والملك والقصر. وذكر السادات في حديثه لي، أنه تذكر عندئـذ، أن عبـد المنعم عبد الرؤوف، الضابط بالقوات الجوية، ما زال في الخدمة، وأنه كـان دفعتـه وزميله بالكلية الحربية. اتصل به السادات، ووافق عبد الرؤوف، واتفقـا علـى أن تقلع الطائرة في وقت محدد، متفق عليه مع الألمان، لتصل في ميعاد محدد، وفي ليلـة معينة.

وكان النوبتجي، في الليلة التي تحددت لتنفيذ العملية هو الضابط حسـين ذو الفقار صبري، شقيق علي صبري نائب رئيس الجمهورية فيما بعد. تم الاتفـاق مـع عبد المنعم عبد الرؤوف، على تسهيل إقـلاع الطـائرة مـن خـلال حسـين صـبري، وبالفعل أقلعـت الطـائرة وبسـبب خطأ فـني اضطـرت للهبـوط في قليـوب، علـى بُعد ٢٠ كيلو متر من القاهرة، وتم القبض على عزيـز المصـري، وفصـل عبـد المنعـم عبد الرؤوف من الجيش، وقد روى عبد الرؤوف نفسـه، هـذه القصـة لي، عندمـا أخفيته في منزلي بطنطا، وقت هروبه من حكم صدر عليـه بـالإعدام في عصـر عبـد الناصر. وظل عبد الرؤوف في حيرة من أمره، بسبب تخلف السادات عـن ركـوب الطائرة، وظل يسألني عن هذا السبب، وكنت أجيبه بأنني لا أعرف، وكانت هـذه هي الحقيقة، فـلا أعـرف، حتـى اليـوم، لمـاذا تخلـف السـادات عـن ركـوب تلـك الطائرة.!

إلى ذلـك الوقـت، كـان عبـد المنعـم عبـد الـرؤوف، بعيـداً عـن الأخـوان، وتصادف أن ذهب ليصرف معاشه بعد فصله من الجيش، فوقع بصره على جريـدة في مكتب المعاشات، عليها شعار عبارة عن "سيفان ومصحف" وسأل عنها، فقـالوا أنها جريدة الإخوان المسلمين، وأن مرشدهم العام هـو حسـن البنـا، الـذي يلقـى درساً مساء كل ثلاثاء، فذهب إليه عبـد الـرؤوف واسـتمع للـدرس وأعجـب بـه جداً، وبطريقة البنا في الإلقاء والدعوة، وفهمه للدين، وطلب مقابلة البنـا، ونقـل

إليه عبد الرؤوف إعجابه بطريقته في الدعوة، ولما انفرد به قال: تنظيم الإخوان تنظيم شعبي ناجح، فلماذا لا تفكر في أن تنشئ بداخله خلية عسكرية، ليكون تنظيماً عسكرياً شعبياً، نتمكن به من طرد الإنجليز من بلادنا ؟!

وكان رد البنا، بأن في الإخوان بالفعل خليه عسكرية، يرأسها الصاغ محمود لبيب، وأن لها خلايا وعناصر في الجيش والشرطة، وذهب عبد المنعم عبد الرؤوف والتقى بمحمود لبيب، الذي كان تليمذاً لعزيز المصري، ووافق لبيب على ضم عناصر جديدة من الضباط إلى الخلية، بشرط أن يكونوا متدينين أو عارفين بالإسلام، وملتزمين به، وتم بالفعل، حسب رواية عبد المنعم عبد الرؤوف، ضم عناصر جديدة، والتقوا جميعاً في منزله بالسيدة زينب، وفي غرفة مظلمة أقسموا اليمين على المصحف والمسدس، أمام صالح عشماوي بوصفه ممثل لمرشد الإخوان المسلمين وكان يغطي جسمه بالكامل وبحضور عبد الرحمن السندي قائد الجهاز السري للإخوان، وكانت المجموعة تتكون من: عبد المنعم عبد الرؤوف، جمال عبد الناصر خالد محي الدين، كمال الدين حسين، حسين حموده، صلاح خليفه، سعد توفيق، وأقسموا على المصحف والمسدس أمام الشيخ البنا، وعلى إقامة حكم ا لله وتطبيق شريعته في الأرض، ثم لحق بالمجموعة كل من زكريا محي الدين، عبد اللطيف البغدادي، صلاح سالم وأنور السادات.

بذلك، تشكلت أول خلية للضباط الأحرار داخل الجهاز السري لجماعة الأخوان، وتولى محمود لبيب قيادة التنظيم القيادي، وكان المسئول الأول عن خلية الضباط هو عبد المنعم عبد الرؤوف والثاني هو أنور السادات، والثالث جمال عبد الناصر. وبعد اتهام السادات في قضية أمين عثمان ودخوله السجن، أصبح عبد الناصر، هو الرجل الثاني، ونشب خلاف بينه وبين عبد الرؤوف، لأن عبد الناصر بدأ يضم عناصر إلى الخلية ليست على الدرجة المطلوبة من الخلق الديني، ولما اشتد الخلاف بينهما، احتكما إلى عزيز المصري، الذي رأى أن يعمل التنظيم في خطين متوازيين، طالما أن الهدف هو طرد الإنجليز من مصر. وبالفعل



أصبحت هناك خليتان، إحداهما لعبد الرؤوف والأخرى لعبد الناصر، وتخضعان معاً لقيادة عبد الرحمن السندي. وتكررت اجتماعات الخلية الرئيسية بحضور الصاغ محمود لبيب القائد العسكري لتنظيم الإخوان المسلمين السري - وتكونت خلايا فرعية كثيرة... وكان يحضر اجتماعاتها أيضاً الصاغ محمود لبيب... ومن هنا تكونت التنظيمات التي قامت بثورة ٢٣ يوليو بعد ذلك .. بواسطة تنظيم الضباط الأحرار... ولم تكن الثورة تنجح لولا مساندة القوى الشعبية الهائلة للإخوان المسلمين التي ساندت الثورة شعبياً بتنظيماتها المختلفة حتى استقرت الأمور... ثم حدث بعد ذلك ما حدث...

وأحب هنا، أن أؤكد أن الإخوان عندما استخدموا السلاح، في ذلك الوقت، وأباحوا العنف، لم يكونوا يعتمدون على العنف وحده، سبيلاً للتعامل مع من يعتقدون أنهم ضد تعاليم الإسلام، وإنما كان يسلكون في الوقت نفسه، كل سبل السلام، من مظاهرات ومنشورات وغيرها. ولذلك فإن السيارة الجيب التي جرى ضبطها في تلك الفترة، وبها كميات من السلاح، كان بجانب السلاح منشورات كثيرة، يتم توزيعها، باعتبارها وسيلة سليمة للدعوة إلى الإسلام. أما السلاح فأغلبه كان موجه ضد الإنجليز وضد اليهود في فلسطين.

ولعل محاولة اغتيال حامد جودة (رئيس مجلس النواب قبل الثورة) كان على سبيل الخطأ، لأن المقصود بالاغتيال، كان إبراهيم عبد الهادي باشا رئيس وزراء مصر والذي تولى رئاسة الوزراة في ديسمبر ١٩٤٨ وفي عهده تم اغتيال الإمام حسن البنا في فبراير ١٩٤٩ انتقاماً لاغتيال النقراشي باشا، وليس حامد جودة. كان حمل السلاح، له فلسفته الخاصة عندهم مثل قتل الخازندار مثلاً. لأنه كان شديد القسوة، وأصدر أحكاماً ظالمة – على مواطنين أبرياء.



الشيـــــخ محمد فرغلي جمال عبد الناصر الأستاذ / محمد حامد أبو النصـــر

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الأكرم د. محمود

السلام عليكم وكل عام وأنتم بخير ورحمة الله وبركاته.

وصلني نبأ سعيك المشكور لإعفائي من دفع ثمن جهاز الـ Pace Maker

فأسرعت إلى رد مبلغ من المال لصديق لي كنت قد استدنت منه ذلك المبلغ ثمناً للجهاز فجزاك الله خير الجزاء.

ولعلك بعون الله تستطيع بذل مجهودك الأخوي لصرف المتجمد من مرتب التقاعدي الذي توقف صرفه منذ إيقافي في ديسمبر ١٩٥٤ إلى تاريخ صدور الأمر الجمهوري بالعفو عني وهو ٢٠/١١/١٩٧٢ أي قرابة ثمانية عشر عاماً.

لقد قدمت التماساً بتاريخ ٢٥/١١/١٩٧٥ إلى السيد رئيس الجمهورية طالباً صرف ذلك المبلغ وذلك بناء على خطاب جاءني من الهيئة العامة للتأمين والمعاشات أكدت لي فيه أنه يجوز للسيد الرئيس إصدار قرار بصرف المتجمد من معاشي. وكان تاريخه ٢٧/١٠/١٩٧٥ ورقمه ٥٢٠-٩١م-٢١١.

إن ديوني كثيرة الأمر الذي حال دون أن أكمل إنشاء بيتي الذي لا يزال بدون غرفة استقبال وثريات وأشياء أخرى ضرورية زد على ذلك فإن غلاء المعيشة والحالات المرضية الطارئة والدروس الخصوصية والمظهر الاجتماعي لا تترك مجالاً لادخار شيء للأولاد.

وإذا قارنت وضعي المالي بجميع من تعرفهم من رجال الثورة تجد أنه ما من واحد منهم ومن تعاونوا معهم إلا ويملك عمارات تجمع شمل أولاده الآن وبعد مماته أو لديه تجارة واسعة أو مزرعة كبيرة.

وليست في مجال سرد الأعمال التي أديتها لوطني والتي يعرفها السيد الرئيس ونوه عنها في كتابيه قصة الثورة كاملة وأسرار الثورة وفي جريدة الأهرام العدد رقم ٣٢٤٢٢ بتاريخ ٢٧/٩/١٩٧٥ كما جاء ذكر تلك الأعمال ضمن مذكرات السادة عبد اللطيف البغدادي مجلة المصور العدد رقم ٢٦٥٧ بتاريخ ١٢/٩/١٩٧٥ وكمال الدين حسين العدد رقم ٦٧١ بتاريخ ١٩/١٢/١٩٧٥ ــــ الأستاذ محمد شوكت التوني المحامي في الصفحات رقم ١٧، ١٥٧ ــــ من كتابه محاكمات الدجوي وذكريات اللواء عبد الله رفعت قائد الحرس الملكي عما دار بيني وبينه وقت هجومي مع قصر رأس التين في ٢٦ من يوليو ١٩٥٢ وحديث اللواء عبد المنعم أمين قائد المدفعية عدد المصور رقم ٢٦٨٨ بتاريخ ١٦ من ابريل ١٩٧٦

ه ليتم طبيب الأشعة الكشف ليلتقط لي X Ray of VT and IVP until post micturition film

ر. رضي الدكتور نبيل علوبة بإجراء العملية عندكم وهل لديكم غرفة بها تكييف هواء لتقيني من حرارة شهر يوليو أو أغسطس. وأتمنى أن يتم كل شيء بخير لتذهب عني الآلام.

أخوك
عبد المنعم

٢٥ أكتوبر
٢٢ من نوفمبر

القاهرة. مدينة نصر. ص ب الزهور ٩ شارع د. محمد حسين هيكل
ملك سيد طه. شقة ٤

《 ٢ 》

الطريق المسدود

"وبادر عبد الناصر الهضيبى قائلا: نحن لم نتفق على شئ . . وفوجئ الهضيبى بذلك القول وعلق عليه قائلا : هذا الرجل لا خير فيه . . وليس فيه أى أمل على الاطلاق . . "



بعد اغتيال الإمام حسن البنا، المرشد العام للإخوان في ٥فبراير ١٩٤٩، بواسطة الملك فاروق والحكومة، جرى خلاف شديد، على خلافته، خاصة وأن عدداً كبيراً من الإخوان، كان في السجن، في ذلك الوقت. وكان الخلاف، في الرأي، وكما عاصرته، محصوراً في أربعة أو خمسة أشخاص هم: الشيخ أحمد حسن الباقورى، وكيل الجماعة، وعبد الحكيم عابدين، سكرتير الجماعة، وزوج شقيقة البنا، وصالح عشماوي وكيل الجماعة، الذي كان الجهاز الخاص يدعم اختياره خليفة للبنا، ثم عبد الرحمن النبا، شقيق المرشد العام. (وقد رفع بعض أعضاء مكتب الإرشاد شعار "طالب الولاية لا يولى" وحسماً للصراع الذي اشتد، اقترح المستشار منير دلة، أسم المستشار حسن الهضيبى، الذي كان يشغل منصب نائب رئيس محكمة النقض، حينذاك، باعتباره كان قريباً من الجماعة، وكانت هناك مودة بينه وبين الأمام الشهيد، وذهب وفد إلى الهضيبى فوافقه وطلب مهلة للتفكير، ثم وافق بشرط موافقة أعضاء الهيئة التأسيسية. وكانت اجتماعات الهيئة حينئذ أمراً في غاية الصعوبة، لأن قراراً بحل الجماعة، كان قد صدر قبلها، وصارت اجتماعات مكتب الإرشاد والهيئة التأسيسية – بالتالي – غير مشروعة. وجرى الاتفاق على صدور قرار من الهيئة التأسيسية، وكان هناك شبه إجماع على الهضيبى، نظراً لخلفيته، ومكانته المرموقة كقاض. بعد اختياره، أعلن صراحة عدم رضائه عن بعض ممارسات الجهاز السري، وطلب أن يتبعه هذا الجهاز، وأن يعرف كل دقائقه وأسراره، وبدأ بالتالي صدام بينه وبين السندي، الذي لم يكن راضياً كل الرضا، عن اختيار الهضيبى، وكان، أي السندي، يقول: نحن الذين جاهدنا في فلسطين، وتعرضنا للمحن، ومعنا التنظيم، والقوة، فنحن أحق. وعندما أستقر الأمر للهضيبى، بدأت الدعوة تأخذ مسارها الطبيعي، وبدأت المشاورات من أجل إلغاء الأمر الصادر بحل الجماعة، وكانت الاتصالات مستمرة، بين الإخوان والضباط الأحرار،

وكانت الاجتماعات لا تنقطع بين بعض الإخوان وبين عبد الناصر والسادات، من أجل الترتيب للثورة، وقد عقدت اجتماعات عديدة، بين الطرفين، في منازل كل من: المستشار عبد القادر حلمي، عضو مكتب الإرشاد في الهرم، والصاغ صلاح شادي، والمستشار صلاح أبو رقيق، والمستشار منير دلة، وحسن عشماوى. وتم الاتفاق على دور كل طرف، في الثورة، وكان الجانب الشعبي من نصيب الأخوان، وكان – في رأيي – أمراً في غاية الخطورة، ثم عُهد إليهم أيضاً بحراسة خط القناة عن الانجليز وأقسم عبد الناصر ورفاقه على تطبيق مبادئ الأخوان، بعد نجاح الثورة.

وقبل قيام الثورة، بأيام، ذهب عبد الناصر إلى منزل المستشار عبد القادر حلمي، وحضر اللقاء صلاح شادي، وصالح أبو رقيق، وحسن عشماوى، وأخبرهم عبد الناصر أن موعد الثورة قد تحدد، وطلب رأى المرشد العام، الذي كان موجوداً بالإسكندرية، وإليه سافر وفد يخبره بموعد الثورة ويطلب رأيه، وقد وافق الهضيبي، رغم تشككه في نوايا عبد الناصر،

.. وافق على معاونة الإخوان للضباط، بعد أن عرف أن عبد الناصر ورفاقه أقسموا وتعهدوا بتطبيق شرع الله.

كنت، في ذلك الوقت، منضماً إلى الجهاز السري، وانفذ ما أكلف به، وقد صدرت إلينا الأوامر بحماية السفارات الأجنبية والعربية، ومنازل السفراء. وأنتشر الإخوان حول الأماكن الحيوية في القاهرة، وعرفنا أن اتفاقاً جرى بين الضباط والأخوان على القيام بالثورة، وقام الإخوان بدور بارز ومؤثر، في الثورة، باعتبارهم أكبر تنظيم شعبي له وزنه في ذلك الحين.

وإذا كان البعض يشيع، أن السادات قد ذهب إلى السينما، مع زوجته، في ليلة الثورة، وأفتعل مشاجرة ليثبت وجوده في السينما، وعدم مشاركته للضباط، حال فشل الثورة، فإن هذا المنطق، في رأيي، منطق تافه، كما أن التفسير غير واقعي، وغير صحيح.

لقد حضر السادات، يومها، من العريش حيث كان يعمل، وأصطحب أسرته إلى السينما للتمويه السياسي، لا أكثر، وهذا تصرف، في رأيي، لا يقوم به إلا رجل في وزن السادات، يملك القدرة على رؤية الأمور من بعيد. لقد كان تقديره أنه من الممكن القبض على أعضاء التنظيم، وفى هذه الحالة، تكون أمامه فرصة استكمال الطريق. وفى الوقت ذاته، نرى أن بعض الضباط خافوا من المشاركة، وذهبوا إلى مدير الأمن العام، وأبلغوه بالثورة، وموعدها، وأسماء الضباط، وأبلغوها كذلك للملك. المهم، قامت الثورة، ووقع الاختيار على عبد المنعم عبد الرؤوف، للتعامل مع الملك في الإسكندرية، وقد روى لي عبد الرؤوف، عندما كان في منزلي بطنطا: "أن عبد الناصر طلب منه القيام بهذه المهمة، وهى محاصرة الملك في قصر رأس التين، وقال: وبالفعل ذهبت إلى الإسكندرية، وعندما حاصرت القصر أطلق أحد حراس القصر طلقة واحدة، فرددت بثلاث طلقات دفعة واحدة، وعندما شعر الملك بالخطر بدأ يساومني ويغريني، ولكنى رفضت واستطعت اعتقال بعض الضباط، وقيادات قوات الحرس الملكي، وقمت بتقييد الفريق عبد الله النجومي، وعبد المحسن كامل مرتجى، ومحمد صادق، بجنزير، وأحدث هذا المشهد رعباً في قلب الملك،الذى رفع الراية البيضاء واستسلم على الفور".

وروى لي عبد الرؤوف، أنه بعد استسلام الملك، زالت أكبر العقبات في طريق الثورة، وأسرع كل من السادات والمستشار سليمان حافظ، نائب رئيس مجلس الدولة إلى القصر، وأشاد بدوره وبما فعله في الحرس الملكي، وصاغ سليمان حافظ وثيقة تنازل فاروق عن العرش، وأخبر السادات عبد المنعم عبد الرؤوف، أن نية الضباط الأحرار متجهة إلى جعل عزيز المصري، رئيسا للوزراء، وتعيين عبد الرؤوف نفسه، قائداً للجيش. (والغريب أن ما حدث بعد ذلك، كان هو العكس، إذْ أبعدوا عبد الرؤوف إلى الحدود مع إسرائيل، حتى يتجنبوا متاعبه، وأمتثل هو للقرار، ولم يكن من الذين يسعون للسلطة، بل كان على استعداد للتضحية بدمه في سبيل وطنه، ولم يكن يسكت عن أي خطأ يراه.

وعندما كان على الحدود، مع إسرائيل، علم بترقية عبد الحكيم عامر، من صاغ إلى لواء، أسرع إلى عبد الناصر، وقال له: أننا اتفقنا على القيام بالثورة، ثم العودة إلى ثكناتنا ومنازلنا، ليحكم المدنيون، وأنه لا يوجد في أي عرف أو قانون عسكري، أن "صاغ" يرقى فجأة إلى لواء. أنه أمر لا يقره أي قانون عسكري.

من يومها، قرر عبد الناصر، التخلص من عبد المنعم عبد الرؤوف، بأي شكل، حتى لا يقف في طريقه إلى الانفراد بحكم مصر. كان عبد الناصر يعلم أن العقبة الوحيدة في طريقة هي الأخوان، وعبد المنعم واحد منهم، ولذلك بدأ بشق صفوفهم، ويزرع بذور الفتنة داخلهم، وبينهم، واستطاع بالفعل التخلص من عبد المنعم عبد الرؤوف، بتلفيق تهمة له، بالتآمر على قلب نظام الحكم، وجرت محاكمته غيابياً، وصدر حكم بإعدامه، غيابياً أيضاً، وظل الرجل طريداً لسنوات طويلة. خارج مصر بعد هروبه.

هنا، أذكر أن عبد المنعم عند الرؤوف، روى لي في إحدى جلساتنا معاً، أنه جمعته بعبد الناصر غرفة واحدة على انفراد يوم ٢٤يوليو سنة١٩٥٢ بعد قيام الثورة مباشرة وذلك في مجلس قيادة الثورة، وأنه وجد عبد الناصر، وهو نائم ببدلته على "كنبة" من شدة الإرهاق... وجده يهزي ويقول "أنا الملك وسأحكم مصر من قصر عابدين...وأتخلص من جميع الزملاء... وأنفرد بالحكم"... وفكر عبد المنعم أن يخنق عبد الناصر ويتخلص منه...ولكنه خاف الله... وقال لي مازحاً... ليتني خنقته... وخلصت البلد من شروره..

وقد صدق ظن الهضيبى في عبد الناصر، عندما مضى في الفرقة والتفريق بين الأخوان، وحل الأحزاب، رغم أنه تعهد بعدم حل الأحزاب، وقال الهضيبى، بعد أن عاين بدايات أفعاله وسلوكياته، أنه لن يحكم بشرع الله، وأنه، أي عبد الناصر، لا يصلح أن يكون رئيساً لمصر.. ولكن كل ذلك، كان بعد فوات الأوان. وظهر ذلك جلياً للهضيبي، عندما ذهب عبد الناصر إلى منزل المستشار صالح أبو رقيق، بعد قيام الثورة بأيام واجتمع بالهضيبي وقيادات الإخوان... وبادر عبد الناصر الهضيبي قائلاً..."نحن لم نتفق على

شيء".... وفوجئ الهضيبي بذلك القول وعلق عليه قائلاً: هذا الرجل لا خير فيه.... وليس فيه أي أمل على الإطلاق...

وبدأ عبد الناصر منذ اليوم الأول، للحكم، في محاولاته للتفرقة بين الأخوان، وشق صفوفهم، فطلب من الهضيبى، من خلال حسن عشماوى ترشيح بعض الإخوان في الوزارة، ورُشح منير دله، وحسن عشماوى، ومحمد فريد عبد الخالق، وصلاح شادي، .. ولكن المرشد العام. علق الموافقة النهائية على موافقة مكتب الإرشاد.

وبدا واضحاً يومها، أن عبد الناصر كان يريد أشخاص مطيعين، مريحين، لا يسببون له متاعب، وكان متحمساً لترشيح الشيخ أحمد حسن الباقورى. وأجتمع مكتب الإرشاد، وقرر رفض الترشيح لأن عبد الناصر كان يريد أثنين أو ثلاثاً فقط، وبالتالي فلن تكون لهم الغالبية، وسوف يتحمل الإخوان – بالتالي – مسؤولية أية قرارات أمام الشعب دون أن تكون لهم يد في الرفض في الاعتراف عليهما. وقد سارع الباقورى يخبر الهضيبى، بأنه قد قبل الترشيح للوزارة، ولما لاحظ عدم رضا الهضيبى، سأل الباقورى عما إذا يرضيه أن يستقيل من مكتب الإرشاد، فأجاب الهضيبى بأن ذلك لا يكفى، وأنه لابد من الاستقاله من الهيئة التأسيسية، بل ومن جماعة الإخوان نفسها، وبالفعل استقال.

والطريف، والمدهش، أن الهضيبى ذهب إلى مكتب الباقورى، في اليوم التالي، فقام الأخير، وقبل يد الأول، وبكى، وقال: يافضيلة المرشد أصارحك القول بأنها شهوة نفس تغلبت على نفسي. هنا صاح الهضيبى في وجهه: أذن فلتهنأ بشهوتك إلى حين. وقد مرت الأيام، ووجهت إلى الباقورى اتهامات سخيفة، في سلوكياته وأخلاقه، ثم أخرجوه من الوزارة بطريقة غير كريمة.

وقد ظل عبد الناصر، على نواياه القديمة، في ضرورة الاجهاز على الإخوان، والانفراد بحكم مصر وراح يتحالف مع أي شخص في سبيل ذلك، وتحالف بالفعل مع السندي، ضد الهضيبى، الذي ظل هو الآخر على رأيه في عبد الناصر، وكيف أنه، قال إن عبد الناصر "ما ينفعش" على حد تعبير الهضيبى، عندما سئل عن رأيه في عبد الناصر.

ودبر عبد الناصر، مؤامرة مع السندي، وبعض رجال الجهاز الخاص، من أجل الإطاحة بالهضيبى، ولكن يبدو أن تلك المحاولة، قد باءت بالفشل، رغم أنها كانت ترضى غرور الاثنين، عبد الناصر والسندي، في التخلص من الهضيبى.. ثم مضت الأمور بين الطرفين الإخوان والضباط إلى طريق مسدود.

وقد طلب عبد الناصر من الهضيبي أن يقوم أحد أفراد الجهاز السري الخاص بالإخوان، بدس السم للجنود الانجليز في القناة أيام الاحتلال فى طعامهم لقتلهم، وأنه وقع الاختيار على شاب (قلبه ميت) اسمه محمود عبد اللطيف للقيام بهذه المأمورية – ولكن الهضيبي رفض بشدة وقال إن هذا يتنافى مع تعاليم الإسلام. وهذا الشاب – محمود عبد اللطيف – هو الذي أعدم زوراً بتهمة محاولة اغتيال عبد الناصر المزعومة في المنشية فيما بعد.

وكذلك طلب عبد الناصر من الجهاز السري للإخوان قتل الملك فاروق في أوروبا خوفاً منه – ولكن الإخوان رفضوا ذلك أيضاً. ورفض الهضيبي تنفيذ حكم الإعدام الذي أصدرته محكمة الثورة علي إبراهيم عبد الهادي باشا رئيس الوزراء السابق والذي قام بتعذيب الإخوان المسلمين في عهده – ولم يهدأ للهضيبي بال حتي ألغى الحكم واستبدل بالأشغال الشاقة المؤبدة نتيجة لضغوط الهضيبي الشديدة.

وهكذا كانت أخلاقيات الهضيبي المسلم الفاهم المؤمن.

﴿٣﴾

عبد الناصر ....

مسئولا عن الجهاز السري للإخوان

"و بينما كنت فى غرفة نوم السادات بميت الكوم، ودق جرس التليفون، فرددت لأجد صوتا نسائيا، ولما سألت عن صاحبة الصوت قالت :. . ."

ظل عبد الناصر على علاقة جيدة بالإخوان، أو لنقل أنه كان حريصاً على إظهار ذلك، حتى تقوى قدماه، وترسخ مكانته في السلطة، وقد رأيت كيف أن عبد الناصر كان يذهب أحياناً إلى الهضيبي، فيقف بين يديه كأنه تلميذ، بينما الهضيبي يحدثه وهو جالس، وقد تبين فيما بعد، أن عبد الناصر كان يفعل ذلك، كنوع من التيكتيك، لضمان حماية الإخوان له في مراحل الثورة الأولى.

فيما بعد، مضى عبد الناصر، في طريقين بإصرار شديد: الأول هو التخلص ممن رآهم أقوياء بين زملائه الضباط، وممن يرى فيهم أنهم يمكن أن يقفوا في طريق طموحاته، مثلما فعل مع عبد المنعم عبد الرؤوف، ومحمود الغراب، الذي فر هارباً إلى سوريا، ولا يزال هناك إلى اليوم، ويوسف صديق، ومعروف الحضري، وصلاح شادي، وأبو المكارم عبد الحي، وحسين حموده، وصلاح خليفه، وكمال عبد الرازق.

والطريق الثاني، كان يسعى من خلاله إلى شق جماعة الأخوان وإضعاف قوتها، وقد بدأ هذا الطريق، بقتل سيد فايز، عضو الجهاز السري، وكان قتله بعلبة الحلوى المشهورة، وقد قتلوا فايز لأنه رفض التعاون معهم، وكان على ولاء للمرشد العام، ولمبادئ الجماعة واشيع أن السادات هو الذي ذهب بالحلوى بأمر عبد الناصر.

وبدأ عبد الناصر يتصل ببعض الأخوان، دون بعضهم، لخلق فتنة بينهم، وللأسف، فإن بعض الإخوان انساقوا وراء اغراءات عبد الناصر، واستقالوا من الجماعة، وخرجوا على صفوفها، وأحدثوا يومها - بلبلة واسعة على مستوى الأخوان.

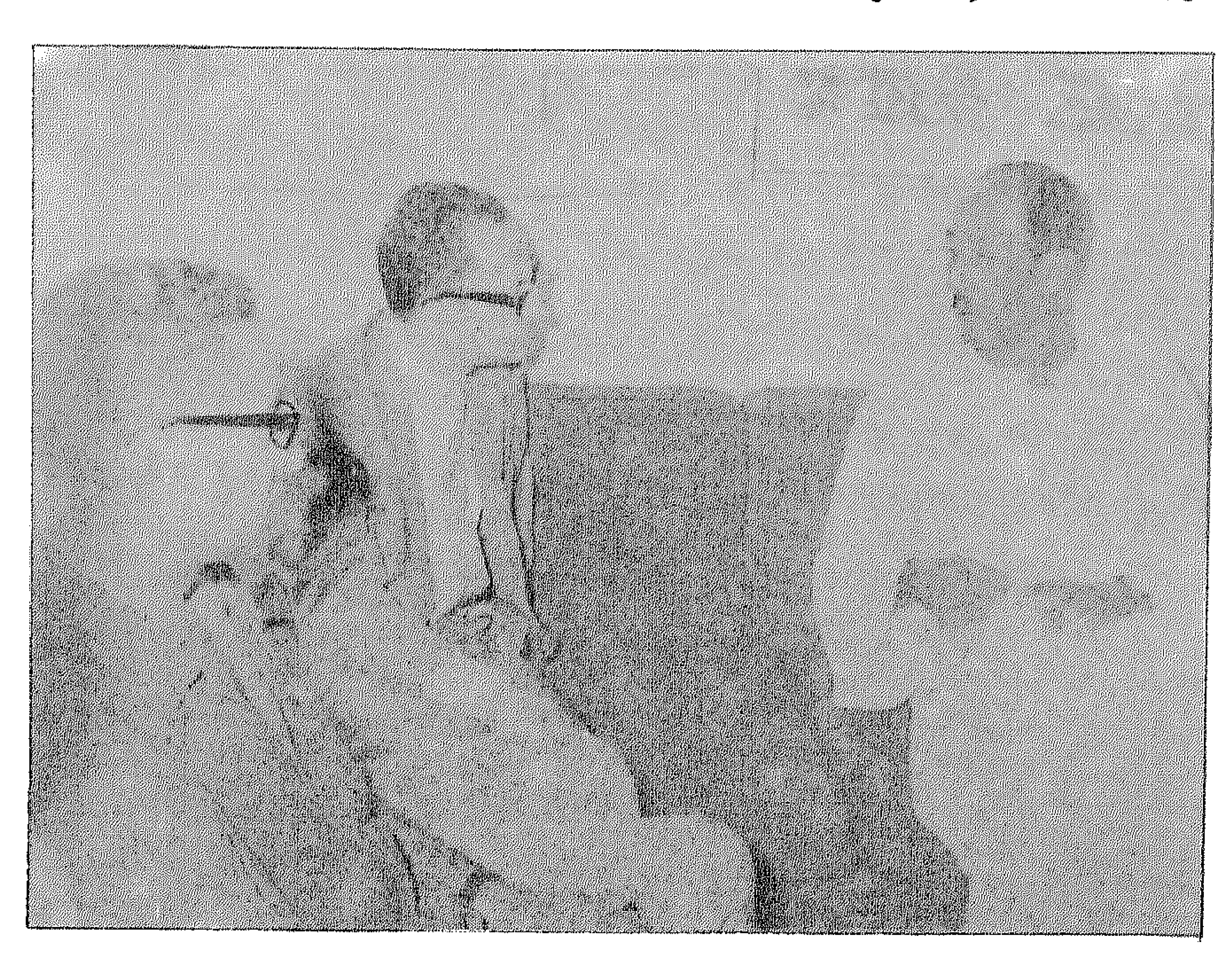
وأدت تلك الأحداث، إلى انقسام الجهاز السري على نفسه، فدفع ذلك الهضيبي إلى فصل السندي رئيس الجهاز، ومعه ثلاثة أخرون من الأعضاء، وأسند رئاسة الجهاز إلى يوسف طلعت، وبدأ الصراع بينهما يظهر على السطح، ويظهر أمام الجميع.

وفي وقت من الأوقات، دبر عبد الناصر مع السندي ومجموعة من أعضاء الجهاز، مؤامرة على الهضيبي والجماعة، فذهبت مجموعتان، بتكليف من السندي، احداهما إلى الهضيبي تطالبه بالاستقالة وتستجوبه عن سبب فصل السندي وزملائه والأخرى إلى المركز العام للإخوان، حيث استولت عليه وأعلنت استقالة الهضيبي وتولية صالح عشماوي مرشداً عاماً. ولكن الخطة فشلت، بل أن المجموعة الأولى اعتذرت للهضيبي، وندمت بين يديه على ما فعلته، وقَبِّلَ بعض أعضائها يديه، تعبيراً عن الاعتذار والندم. على جانب آخر، كان قد تم تهميش دور السادات، بعد الثورة، وكان هو يردد أمامي أو أمام آخرين: "لا أريد شيئاً، لقد أديت واجبي، ومهمتي، ولم أعد أريد شيئاً"، وكان يحرص على قضاء يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع في بلدته، وكنت أقضيهما معه، ولما أصيب هناك بذبحة صدرية كنت أنا الذي ألازمه وأشرف على علاجه. وكان السادات مطيعاً لعبد الناصر، إلى أقصى حد، وأذكر أنه وهو في مرض القلب يعالج منه. أمره عبد الناصر بأن يقوم ويذهب إلى الإسكندرية، لأن بعض الإذاعات يومها، كانت تبث أخباراً عن مرضه، وقد قام بالفعل، وأطاع أمر عبد الناصر، وعاودته الأزمة في الإسكندرية، وكادت تودي بحياته. (وكان قربي من السادات، في تلك الفترة، وقبلها، من الأسباب القوية، التي جعلته يثق فيّ: ويحكى لي معظم أخباره وأسراره، وكانت بجواره السيدة جيهان السادات، بعد أن طلق زوجته الأولى إقبال ماضي، التي أنجب منها ثلاث بنات: رقية، راوية، كاميليا، ثم أنجب من الثانية ثلاث بنات أيضاً، وولداً، هم: لبنى ونهى وجيهان، ثم جمال. وكان للسادات ثلاثة أخوة أشقاء هم: طلعت و عصمت ونفيسة، وتسعة أخوة غير أشقاء هم: عفت، زين، عاطف، سكينة، زينب، عائشة، هدى، سهير، عزة.

وربما كان السادات، هو الوحيد من بين ضباط الثورة، الذي عانى طويلاً، وأشتغل حمالاً وسائقاً، وأمتهن عديداً من المهن البسيطة القاسية. وعندما تقدم لخطبة السيدة جيهان السادات، لم تكن والدتها مرحبة، ولا متقبلة للموضوع، ولكن بعد زواجها نشأ بينهما ود كبير، وكان كلما سافر للخارج، أحضر لها الهدايا.

وذات ليلة، في صيف عام ١٩٧٠، وكان السادات نائباً لرئيس الجمهورية، وكانت زوجته وأولاده وسكرتيره الخاص فوزي عبد الحافظ، في رحلة إلى أوربا، وكنت مقيماً معه، بصفة شبة دائمة، أشرف على علاجه من أزمة صحية ألمت به، وأتابع علاجه الذي وضعه الدكتور محمد عطيه، (أستاذ القلب الشهير).

في تلك الليلة، وبينما كنت في غرفته بميت أبو الكوم، دق جرس التليفون، فرددت لأجد المتحدث على الطرف الآخر، صوتاً نسائياً، ولما سألت عن صاحب الصوت قالت: أنا ناهد رشاد، فأجبتها بأن السادات نائم، وطلبت مني أن أبلغه بعد استيقاظه بأنها قد طلبته. ولما عرف السادات، غضب وتأثر جداً، لأني لم أجعلها تحادثه في الحال، ثم قام وطلبها على الفور، وأخبرني يومها أنها كانت تريد السفر للخارج للعلاج، وتريد أيضاً التجديد لزوجها الدكتور يوسف رشاد، الذي كان يعمل بتوصية من السادات في مؤسسة الثروة السمكية بالإسكندرية.



السادات ومحمود جامع فى جلسة خاصة بميت أبو الكوم

وفجأة سكت السادات. ونظر في عيني وكأنه يريد أن يخبرني بشيء خطير، ثم قال: أسمع يا محمود، سوف أخصك بشيء لا يعرفه غيري، لقد اتهموني بإقامة علاقة مع ناهد رشاد، وصيفة الملكة، واتهموني أيضاً بالانضمام للحرس الحديدي الخاص بالملك فاروق، والذي يناظر الجهاز السري للإخوان. والحقيقة أنى، عندما تخرجت من الكلية الحربية، ذهبت أخدم في الحراولة بجوار مرسى مطروح، وهناك تعرفت على يوسف رشاد، كان ضابطاً بالبحرية، وكنا نلتقي يومياً، ونشأت بيني وبين يوسف وزوجته، علاقة ود كبيرة، وبعد ذلك تم انضمام يوسف للعمل مع الملك. وعينت زوجته ناهد رشاد وصيفة للملكة..

وبعد فصلى من الخدمة بالجيش، حاولت العودة فلم أستطع، وذهبت إلى ناهد رشاد، ا أطلب منها أن تساعدني بحكم موقعها وموقع زوجها من الملك، وبينما كنت أحدثها، رفعت سماعة التليفون، وطلبت حيدر باشا قائد الجيش وأخبرته بأن الملك أمر بإعادتي إلى الجيش فاستجاب حيدر باشا على الفور، وطلب منها أن أمر أنا عليه في اليوم التالي.

ولما تخوفت من غضب الملك إذا علم بما فعلته هي، قالت أن الملك لن يعلم، لأنه لا يدري بكثير من الأمور حوله، وأن أموراً عديدة تمر وتمشى هكذا.

في اليوم التالي، ذهب السادات إلى حيدر باشا، الذي طلب كاتم الأسرار، وأمره بإعادة السادات إلى الجيش، ثم نظر حيدر باشا إلىّ وقال: يا ولد بطّل شقاوة، سأضعك تحت المراقبة، ولابد أن تمشى مضبوط وتبطل شغل الصياعة والبلطجة.

ثم روى لي السادات: وكان حيدر باشا، هو خال المشير عامر، وكان يعرف كل شئ عن الضباط الأحرار، ولكنه لم يفشى بشئ من أمرنا للملك. وبعد أن أمر بإعادتي، أخبرني بأني سوف أخضع لامتحان وضعه ثروت عكاشه، الاستاذ بالكلية الحربية، في ذلك الوقت، وكنت قد نسيت كل شئ يتصل بالامتحانات، فجاء جمال عبد الناصر، وأجاب ورقة أسئلتى بنفسه وبخط يده، ونجحت، وتلك من المواقف التي لا أنساها لجمال عبد الناصر وكان دائماً يقول أنا مدين لجمال عبد الناصر. ورقيت بعد الامتحان من يوزباشي إلى صاغ ثم إلى بكباشي.

وروى لي السادات أيضاً، أنه بعد عودته إلى الجيش، انضم إلى الحرس الحديدي الذي،- يشرف عليه يوسف رشاد، وكان الجهاز مسئولاً عن تنفيذ بعض الأعمال الخاصة، وغير المشروعة لصالح الملك. وكان ذلك تكتيكاً من تنظيم الضباط الأحرار لمعرفة أخبار القصر.

وطلب الجهاز من السادات - كما قال لي - اغتيال النحاس باشا مرتين، مرة عندما نجا بأعجوبة من قنبلة ألقاها عليه السادات وبعض رفاقه في الحرس الحديدي، ومرة أخرى عندما حال "الترماى" بين السادات وبين النحاس باشا، عندما مر بينهما، وعرقل تنفيذ المهمة.

ويذكر السادات، في معرض روايته لي، أنه قد التقى صدفة، في ذلك الوقت، بيوسف رشاد، في نادى السيارات بالإسكندرية، وعرف منه أن الملك في حالة هياج وغضب شديدين، لأنه وجد على مكتبه منشوراً مذيلاً بتوقيع الضباط الأحرار، وأن الملك، بسبب ذلك المنشور، قرر تعيين حسين سرى عامر، وزيراً للحربية، الذي كان على علم بكل أسرار الضباط الأحرار، وكان يعرف أسماءهم جمعياً. وكان سيقضي عليهم جميعاً.

وقد ذعر السادات، عندما عرف من يوسف رشاد، باتجاه الملك إلى تعيين عامر، في موقع وزير الحربية، وأدرك السادات أن هذا القرار معناه، القضاء على الضباط الأحرار. وبسرعة التقط السادات الخيط ، وأخبر يوسف رشاد، أن الضباط الأحرار ليسوا هم أصحاب المنشور، وأن صاحبه هو الضابط مصطفى كامل صدقي، عضو الحرس الحديدي، والذي كان على علاقة حب مع ناهد رشاد.

قال لي السادات: لقد اخترت هذا الاسم بالذات، لأني كنت أعلم مدى ضيق يوسف رشاد منه، ورغبته في القضاء عليه، ولأنه كان يسمع أخباراً عن علاقته بزوجته. وبالفعل تخلص يوسف رشاد، من مصطفى كامل صدقي، وطلب الملك بالتليفون، من الاسكندرية وأخبره أن صاحب المنشور هو فلان، وأنه لا داعي - لذلك -الاصرار على قرار عامر، وزيراً للحربية، وأقتنع الملك وأصدار قراراً بتعيين محمد على رؤوف، زوج شقيقته فايزة، وزيراً للحربية. وكان هذا القرار تحولا خطير لمصلحة الثورة.

بعدها ، ذهب السادات إلى عبد الناصر ، وأخبره. بما جرى، وطالبة بالتعجيل بالثورة، التي كان مقرراً القيام بها في سبتمبر أو ديسمبر من عام ٥٢، وقرروا التعجيل بها. قبل أن يفتضح أمرهم. وكان هذا الظهور للسادات على مستوى الحرس الحديدي، يقابله ظهور أخر لعبد الناصر على مستوى الجهاز السري للإخوان، وقد روى لي السادات، أن عبد الناصر – ذهب لزيارة الصاغ محمود لبيب، مسئول الجناح العسكري للإخوان، عندما كان مريضاً، يحتضر فأعطى الأخير لعبد الناصر كشوفاً بأسماء الإخوان وأعضاء الجهاز السري والتنظيم العسكري، ووجد عبد الناصر بين يديه ثروة كبيرة تمثلت في تلك المعلومات.

ويبدو أن معلومات من هذا النوع، قد وصلت إلى إبراهيم عبد الهادي، رئيس الوزارء في ذلك الوقت، ووصل إلى علمه أن كذلك الضابط جمال عبد الناصر عضو في تنظيم كبير يضم ضباطاً، فاستدعاه إبراهيم عبد الهادي، وعندما عرف عبد الناصر أسباب المقابلة أبتلع جزءاً من الأوراق التي كان يحملها، ومزق البعض الأخر، وكانت كلها تكشف الإخوان بالاسم.

بل أنه بعد اغتيال النقراشى باشا، أحس الأمام حسن البنا أنه مطارد من جانب عيون عديدة، وحاول أن ينفى الاتهامات الموجهة إلى الأخوان، وإلى استعمالهم للعنف، لأن ذلك في رأيه يتنافى مع تعاليم الإسلام .. لكن دون جدوى، فقد شعر البنا، بأن هناك من يطارده ويراقبه، فأسرع لزيارة اللواء محمد صالح حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين، وأوصاه باختيار جمال عبد الناصر مسئولاً عن الجهاز السري للإخوان من بعده، إذا نجحوا في قتله أو التخلص منه، ولما سأله حرب عن سر هذا الاختيار أخبره أن عبد الناصر، عنده كل الأسرار عن الإخوان، وأنه تتوفر له القوة والسلاح، مما يمكنه من قيادة الجهاز خاصة وأن عبد الرحمن السندي كان سجيناً.

والطريف، أنه في الوقت نفسه، كان عبد الناصر، قد أنضم إلى تنظيم شيوعي أسمه "موريس" وأقنع قادته بأنه عضو مخلص وأنه يعمل على تنفيذ مبادئ التنظيم الشيوعي !!

التي هي بالتأكيد تتناقض مع مبادئ الإخوان ولكن تلك كانت طريقة عبد الناصر، ونهجه في العمل السياسي.

والمهم، أن حدس البنا قد صدق وأنه قد اغتيل في فبراير ٤٩، عندما كان خارجاً من جمعية الشبان المسلمين، وأحدث اغتياله حاله من الغضب الشديد بين الأخوان، وقيل وقتها أن الاغتيال كان مؤامرة مفضوحة من جانب الحكومة والسراي.

وقرر الإخوان اغتيال إبراهيم عبد الهادي، وكمنوا له عند كوبري الملك الصالح، حيث كان يمر من هناك قادماً من مسكنه بالمعادى ومن سوء الحظ أن حامد جودة، رئيس مجلس النواب، مر قبل عبد الهادي بلحظات، باعتباره إبراهيم عبد الهادي الذي نجا من الحادث وكذلك نجا حامد جوده من الاغتيال.

وبدأ منذ ذلك اليوم، الصراع المحموم بين الدولة والاخوان في ناحية، ثم بين الإخوان أنفسهم في ناحية أخرى من أجل اختيار المرشد العام الجديد.

﴿٤﴾

المؤامرة الكبرى

"وفجأ سكت الرجل ثم قال : إذا كانوا قد ضربونا قبل الثورة بخراطيم المياه، فإن الضباط الجدد سوف يضربوننا بالرشاشات. . ."

قامت ثورة يوليو، وكنا سعداء بالقضاء على الملكيـة الفاسـدة، وبأن عهـداً جديداً، سوف يبدأ، تكون فيه الحريات العامة أوسع، وأرحـب، ولكـن.. لم تلبـث أحلامنا، حتى تبددت، تحت وطأة كوابيس مفزعـة. كنـا، في ذلـك الوقـت، علـى استعداد لفعل أي شيء، من أجل وطننا، الذي طوردنا في سبيله في الشوارع طويلاً وكثيراً. وكان الأخوان يرتبون أمورهم لتطبيق أهداف ومبادئ الجماعة، ولم نتنبـه كثيراً، إلى بعض الأصوات التي حذرتنا من أن الضباط الأحرار سوف يجرون البلاد إلى كوارث.

وأذكر، أني عندما كنت طالباً في كلية الطب، عام٥٢، أني ذهبت بعد قيـام الثورة، لزيارة أحمد عبد الغفار باشا، الوزير السابق، وقطب الأحـرار الدسـتوريين لأهنئه بعد الافراج عنه مع رؤسـاء الأحـزاب المصريـة بعـد اعتقـالهم عقـب نجـاح الثورة. ذهبت لأرى كيف يرى الأمـور بعـد قيام الثـورة. وحزنـت جـداً، عندمـا وجدته متشائماً للغاية، واذكر أنه قال لي، أنهم إذا كانوا قد ضربونا قبـل الثـورة - بخراطيـم الميـاه، وبالرصـاص الفشـنك، فـإن الضبـاط الجـدد سـوف يضربوننـا بالرشاشات، وتوقع الرجـل، وأنـا أحدثـه في ذلـك اليـوم البعيـد، ألا تنعـم مصـر بالحرية، وأن يقوم في مصر حكم ديكتاتوري مطلق.. وقد كان ... رغم أني ظننت أن تشاؤم عبد الغفار باشا، قد يكون راجعاً إلى أن الثورة قد دفعته إلى الظل.

وبدأت ظنون عبد الغفار باشا تتحقـق، عندمـا حـدث تمـرد مجموعـة ضبـاط فرسان المدفعية، وكان من بينهم رشاد مهنـا ومحسـن عبـد الخـالق وجمـال منصـور وسامي شرف وشقيقه طـارق، والحقيقـة أنـه لم يكـن تمـرداً، كمـا صورتـه أجهـزة الأعلام وقتها، وإنما أغلب أعضاء مـا أطلقـوا عليـه "التمـرد" حينهـا، كـانوا ممـن سـاهموا بـدور بـارز في نجـاح الثـورة، وكـانوا قـد طـالبوا، قبـل الثـورة، بعـودة

العسكريين إلى ثكناتهم، ليحكم المدنيون. ولما لاحظوا تشبث عبد الناصر وكثير من رفاقه بالحكم، طالبوا بالوفاء بما تعهد به الضباط، قبل الثورة، فتم تدبير مؤامرة ضدهم، وخانهم وأبلغ عنهم سامي شرف، مدير مكتب عبد الناصر فيما بعد... والمذهل أن من بين الذين أبلغ عنهم سامي شرف، شقيقه!! ثم جاء دور زكريا محي الدين، منشئ جهاز المخابرات وقتها، ليمارس معهم أساليب قذرة، في المعاملة المهينة، بعد أن أوفد ضباطاً إلى الخارج ليتعلموا كيف يمكن التعامل مع الخصوم، بأقذر الأساليب! ولم يحترم زمالتهم له وأنهم من خبرة الضباط الأحرار.

وتشكلت محكمة صورية، أصدرت أحكاماً بالإعدام عليهم جميعاً، ثم خُففت إلى الأشغال الشاقة المؤبدة، ثم كوفئ سامي شرف - لإبلاغه عن شقيقه - بتعيينه مديراً لمكتب عبد الناصر واعتبر شاهد ملك. ثم واصل زكريا محي الدين أساليبه وقسوته، وأشرف على مذبحة السجناء الشهيرةبليمان طره، ومن بعدها أصابه اكتئاب شديد، وابتعد عن السياسة، واعتزلها نهائياً، وانزوى في بلدته يربى الدواجن، متجنباً تماماً الحديث في السياسة، لأنه يعرف أنه لو تحدث، فسوف يفتح على نفسه باب جهنم!

ولم يكن زكريا محي الدين، في سلوكه ذاك، بعيداً عما سلكه عبد الناصر، هو الأخر، عندما أفصح لمجموعة من الأخوان القريبين منه، بأنه يريد أن يصل إلى وضع يمكنه من تحريك الشعب بزرار، وإسكاته بزرار!. وكانت النتيجة الطبيعية لذلك، أن الأخوان انقسموا أمام موقف عبد الناصر، ثلاثة أقسام: قسم يعارضه وعلى رأسه المرشد العام، وقسم يؤيده بقيادة القاضي عبد القادر عودة، وقسم يبرر أفعاله. وقد استغل عبد الناصر هذا الانقسام، ودعا عدداً من الإخوان للقائه والتقى بالفعل بكل من الشيخ سيد سابق، والشيخ محمد الغزالي، وعبد العزيز كامل، وكان يسعى إلى التهدئة والمصالحة معهم، بعد أن رفض الهضيبى عرض عبد الناصر بتشكيل الحكومة كلها من الإخوان. لقد كان الهضيبى يعلم أن عبد

الناصر يريد توريط الإخوان، ووضعهم في حالة حرب أو مواجهة كبرى مع القوى العاملة العالمية التي لم تكن تطيق، بالطبع، وجود الإخوان في حكومة بمصر.

رفض الهضيبي، إذن، هذا العرض الذي عرضه عليه عبد الناصر، في الإسكندرية، وطلب منه الإعلان عن أن الإخوان لا علاقة لهم بالثورة، حماية لها، أي الثورة نفسها، ثم طلب منه، في الوقت نفسه، تنفيذ تعهداته القديمة، بوضع مبادئ الجماعة موضع التنفيذ.

وأحس عبد الناصر بحصار الإخوان، فاصدر قراراً بحل الجماعة، في ٤ يناير ٥٤، باعتبارها حزباً سياسياً، وأصدر بياناً اتهم فيه الإخوان بالتآمر مع الإنجليز والتعاون معهم، ثم اعتقل المرشد العام وبعض أعضاء الجماعة واستغل الموقف إلى درجة لم تكن متوقعة. بعد ذلك، انفجرت أزمة مارس ٥٤، وخرجت مظاهرات حاشدة، ضد عبد الناصر، الذي اضطر إلى التراجع والمهادنة، مؤقتاً. وقد شاركت بنفسي في تلك المظاهرات وأصابتني ثلاث رصاصات، وأعلن عبد الناصر خضوعه وقبوله لمطالبنا، ثم اتجهنا نحو قصر عابدين، ونحن نرفع القمصان الملطخة بالدم.

ولما إنزعج عبد الناصر، من هدير المتظاهرين طلب من عبد القادر عودة، أن يهدئهم ويصعد إلى شرفة القصر لتهدئتنا، وبالفعل أشار عبد القادر فسكتت الأصوات، وساد الهدوء وطلب منا الانصراف وبعدها بقليل اعتقل البوليس الحربي عودة، واحمد حسين زعيم مصر الفتاة، وإحسان عبد القدوس، لأنه كان قد كتب مطالباً بإطلاق الحريات. ولم يكن أمام عبد الناصر، في النهاية، إلا أن يفرج عن المرشد العام، وعن الإخوان تباعاً، واعتذر عبد الناصر ومعه بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة للمرشد العام، ونشرت الصحف صورة اعتذارهم له، وكأن كل شئ قد عاد إلى مجراه الأول. وقام عبد الناصر وأعضاء مجلس الثورة بزيارة الهضيبي في منزله كترضية له وللإخوان. ونشرت صور الزيارة في جميع الصحف.

وحتى يوليو٥٣، كنت لا أزال عضواً في الجهاز السري للإخوان، وكنت وقتها طالباً في بكالوريوس الطب. وأذكر أني ذهبت ومعي الدكتور سالم نجم القيادي الإخواني البارز إلى الكلية، وأثناء وجودي معه، حضر الدكتور مصطفى قناوي، أستاذ الأمراض الباطنية، وكان في الوقت ذاته، طبيباً خاصاً لعبد الناصر.

اقترب منا الدكتور قناوي، وقال لي مباشرة: أنت شاب عاقل، وتعرف كيف تحكم على الأمور جيداً ولذلك أحب أن أخبرك بأنه بالأمس كان عندي بالمنزل جمال عبد الناصر، ومعه بعض أعضاء مجلس الثورة يتناولون العشاء وعلمت منه أنه ينوى القضاء على الإخوان قضاء مبرماً لا رجعة فيه، وأنه لن يقف في طريق تحقيق رغبته هذه أي شئ أو أحد وأخبرني الدكتور قناوي أنه طلب من عبد الناصر، الاستماع إلى شباب الإخوان، لأن فيهم شباب عاقلاً ومتزناً ويبشر بالخير، فقال عبد الناصر أنه لا يمانع، وأنه مستعد للقاء عشرة منهم، بشرط أن يلقوا سلاحهم ويسلموه كل ما عندهم من أوراق وسلاح ومعدات، كي تستقر الأمور في البلد.

وطلب مني الدكتور قناوي اختيار عدد من شباب الإخوان للقاء عبد الناصر، ونصحني د.سالم نجم باستئذان قيادات الجماعة، وخصوصاً د.محمد خميس حميده، القائم بأعمال المرشد العام وقتها، وهو والد زوجة د.عاطف عبيد، وزير قطاع الأعمال، الذي كان مؤمناً بالأفكار اليسارية وقتها.

التقيت بالدكتور حميده بالمركز العام للإخوان ورويت له ما جرى مع الدكتور قناوي، فقال أنه سوف يعرض الأمر على المرشد العام بالاسكندرية، وسوف يرد عليّ بعد يومين. وعدت في الموعد المحدد، فنصحني د.حميده بعدم الذهاب، لأن الذي سيذهب في رأيه سيكون أول ضحايا عبد الناصر. وأخبرت الدكتور قناوي بأنه لا يوجد أي مؤمرات من الإخوان ضد عبد الناصر أو ضد النظام، وقلت له إن الإخوان لا يكنون لعبد الناصر، إلا كل خير، ولكن الدكتور قناوي حزن جداً. وأبدى ألمه من تفويتنا لفرصة تاريخية ونادرة.

وعرفت، فيما بعد، أن عبد الناصر جلس مع مجموعة من أعضاء التنظيم السري، ثم فوجئت بصدور قرار بفصلي، بحجة أني جلست مع الدكتور قناوي من أجل الصلح والتوفيق بين الإخوان وعبد الناصر. ومنذ ذلك اليوم، وأنا لا علاقة لي بأي تنظيم للإخوان، إطلاقاً. إنني أؤمن بأن الإسلام هو الحل لجميع مشاكل مصر والأمة العربية، وعندي صداقات قوية مع أخوتي وزملائي الإخوان الذين علموني. ولكن، تنظيمياً لا علاقة لي بهم منذ يوليو ١٩٥٤.

وتصاعدت حدة الصراع، بين الإخوان، وبين عبد الناصر، ووصلت يومها معلومات مؤكدة، بأن عبد الناصر يدبر لاغتيال المرشد العام، فأخفاه الإخوان في مكان مجهول، وظل يدبر أمر الجماعة، من مخبأه بالاسكندرية.

ومع تصاعد حدة الصراع، بدأ بعض شباب الإخوان، يفكرون في اغتيال عبد الناصر، باعتباره في نظرهم عدواً للإسلام، وانه يحارب مبادئ الدين. والغريب أنه اتضح فيما بعد، أن فكرة اغتيال عبد الناصر، لم تأت من قيادات الإخوان، وإنما جرى تسريبها إلى شباب الإخوان، من خلال اختراق الجهاز السري نفسه، ولعل ذلك كان واضحاً جداً، في حادث المنشية بالإسكندرية.

وقد تبين، أن عبد الناصر كان قد اخترق الجهاز السري، عن طريق عبد الرحمن السندي، رغم أن الأخير كان فُصل من الجماعة، ولكن كل أخبار وأسرار الجهاز السري كانت تصل عبد الناصر، مما دفع يوسف طلعت، رئيس الجهاز، إلى البحث عن كيفية الاختراق، وعن الخلية التي تتسرب من خلالها الأسرار، وبعد بحث طويل، اكتشف يوسف طلعت، أن خلية إمبابة، والتي كانت تضم محمود عبد اللطيف وهنداوي دوير، هي الخلية المخترقة، وان أمراً قد صدر إليها، باغتيال عبد الناصر، دون أن يعرف أحد مصدر هذا الأمر. وقد كان هذا النظام، من العيوب الشديدة في الإخوان، إذْ كانت الأوامر تصدر إلى أعضاء الجهاز فلا يكون أمامك إلا تنفيذها فوراً بلا نقاش، وبغير أن تعرف من الذي أصدرها، ولذلك فعند اختراق الجهاز، كما جرى، لم يكن من السهل أبداً، اكتشاف ذلك

الاختراق. ولكن الحقيقة أن هنداوي دوير عندما دبر الخطة لاغتيال عبد الناصر في المنشية بواسطة محمود عبد اللطيف، واقتنع بالفكرة، وكانت بالطبع مدسوسة على خليته، فذهب إلى شقة جاره الدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف السابق وعضو مكتب الإرشاد وكان يقطن بنفس العمارة بامبابة. واخبره بالخطة. فانزعج عبد العزيز كامل وحاول الاتصال بالمرشد العام المستشار الهضيبي. وفشل في ذلك لاختفاء المرشد في مكان سري بالاسكندرية خوفاً من اغتيال عبد الناصر له. ولخطورة الموضوع الشديدة في تقدير عبد العزيز كامل، ولمرور الوقت سريعاً خشي من مضاعفاته الخطيرة على الجميع.. فذهب إلى عبد الناصر وأخبره بالقصة كاملة.. وطلب منه سرعة احتواء الأزمة. فأمر عبد الناصر بالقبض على هنداوي دوير وإحضاره إليه وبعد جلسة طويلة.. اتفق عبد الناصر مع هنداوي على أن يقوم بتمثيل عملية الاغتيال حتى آخرها، ووعده بالإفراج عنه فوراً... وأخذت الاحتياطات اللازمة من أجهزة المخابرات دون علم محمود عبد اللطيف... واستبدل المسدس والطلقات بفشنك...ومثل عبد الناصر الدور حتى آخر لحظة... وهذا يفسر صياح هنداوي دوير أمام الجميع أثناء اقتياده لحبل المشنقة: أريد عبد الناصر ... لم نتفق على ذلك. وكانت تكئة للتنكيل بالإخوان جميعاً حسب نصيحة المخابرات الامريكية وشنق من شنق.. وعين عبد العزيز كامل بعد ذلك وزيراً ثم نائباً لرئيس الوزراء...

ومما يزيد من شبهات حادث المنشية، أن محمود عبد اللطيف، عضو خلية امبابة الخائنة، هو الذي اتهم، وبحوزته سلاح لاغتيال عبد الناصر، وأنه قد تمت مراقبة "عبد اللطيف" وتم وضع فشنك في مسدسه، وتم تغييره وهو لا يدرى، وركب القطار ووصل إلى ميدان المنشية حيث كان يخطب عبد الناصر، وقبل محاولة الاغتيال بدقائق، وصل إلى علم قيادات الإخوان، أن شخصاً مجنوناً سوف يغتال عبد الناصر، وكانت مفاجأة لهم، لأنهم لم يوافقوا على هذا الأمر نهائياً، كما أن اغتيال عبد الناصر كان سهلاً بالنسبة لهم، وكان في مقدورهم. وقد ثبت

أن الجهاز السرى بالاسكندرية، لم يكن على علم اطلاقا بهذه الخطة كما عرفت من أحد قياداته البارزين * و الذى أصبح وكيلا لمجلس الشعب فيما بعد.

واختصاراً، فقد نجح عبد الناصر، في تدبير حادث المنشية، وألقى القبض على الإخوان جميعاً. ورغم فصلي من الإخوان، قبل الحادث بكثير، فوجئت بأنني مطلوب للاعتقال، ففررت هارباً وسرت في الشارع بجلبابي، وتنكرت لي شخصيات كنت اعرفها، وأصدقاء كنت أثق فيهم، وذهبت إلى شارع ٢٦يوليو- فؤاد وقتها- واشتغلت عامل بناء، وأطلقت على نفسي اسم "حنا" حتى لا أقع في الاعتقال ويشاء حظي أن يتعرف عليّ ضابط زميل في الشارع وهو المرحوم اللواء محمد المدبوح، ويناديني باسمي الحقيقي بينما كان أحد الضباط بمباحث أمن الدولة يتفحص "تحقيق شخصيتي" الذي غيرت فيه أسمي إلى "حنا" فأدرك الضابط حقيقة الأمر، واعتقلني، وبعد خروجي أرادوا القبض عليّ مرة أخرى، فذهبت إلى السادات، وأفهمته أني فُصلت من الإخوان ولا علاقة لي بهم، واتصل يومها بعبد الناصر، وأنقذني من الاعتقال، ثم تكرر الأمر مرة ثالثة في مذبحة ١٩٦٥، عندما راحت أجهزة الأمن تعتقل الإخوان حسب كشوف الأسماء القديمة، وكان تضم أسمي بالطبع، وأسماء شقيقين لحسين الشافعي: احمد وحسن الشافعي... وتدخل السادات وأنقذني مرة أخرى.

واستطاع عبد الناصر، أن يتخلص من الإخوان، بتمثيلية دبرها هو، واحكم تدبيرها، وصدر حكم عليهم من محكمة الشعب، وكان السادات في عضويتها، أو عضوية هيئتها، وقد صدر الحكم بالإعدام على المرشد العام حسن الهضيبى، ثم خففوه إلى الأشغال الشاقة المؤبدة، وكان من بين الذين أعدموهم عبد القادر عودة، الصديق الصدوق لعبد الناصر، الذي لم ينسى له يوم صرف المتظاهرين في قصر عابدين، بإشارة من يديه.. لقد خاف تأثيره وتحسب من سطوته ونفوذه على الإخوان، فأعدمه! وأيضاً الشيخ محمد فرغلي، ومحمود عبد اللطيف، وهنداوي

* للأمانة و للتاريخ: تم حذف بعض الأسماء لمساسها ببعض الشخصيات بالاتفاق مع المؤلف

دوير... وتلك، كانت دائماً طريقة عبد الناصر، في التخلص من أصدقائه القدامى، وخصومه، ومنافسيه الذين يراهم خطراً عليه، ولو بنسبة ١٪

كان متآمراً من الطراز الأول، حتى على أقرب الناس إليه. حتى أنه أعدم أيضاً صديقه الصدوق سيد قطب الذي تتلمذ عبد الناصر على يديه هو وبعض زملائه – وكان يدين له دائماً بالحب والولاء وعندما أسس الاتحاد القومي طلب من سيد قطب ورجاه بشده أن يكون مسئولاً عن الاتحاد القومي ولكن سيد قطب رفض بشدة.

﴿٥﴾

وكانت التعليمات:
احسنوا معاملة اليهود.... واهينوا الأخوان

"وقال صلاح دسوقى بأعلى صوته موجها كلامه إلى العقيد سيد والى: برافو عليك ياابو السيد ما خلصتوش عليهم كلهم لــــيه. . . ."

كان حادث المنشية، المدبر، نقطة فاصلة في العلاقة بين عبد الناصر من ناحية، وبين الإخوان من ناحية أخرى. فقد تم القبض على أغلبهم، بعد الحادث، وألقوا بهم في السجون والمعتقلات. وبدأت عمليات تعذيب رهيبة، لم تسمع بها النظم السياسية، والدكتاتورية، من قبل.

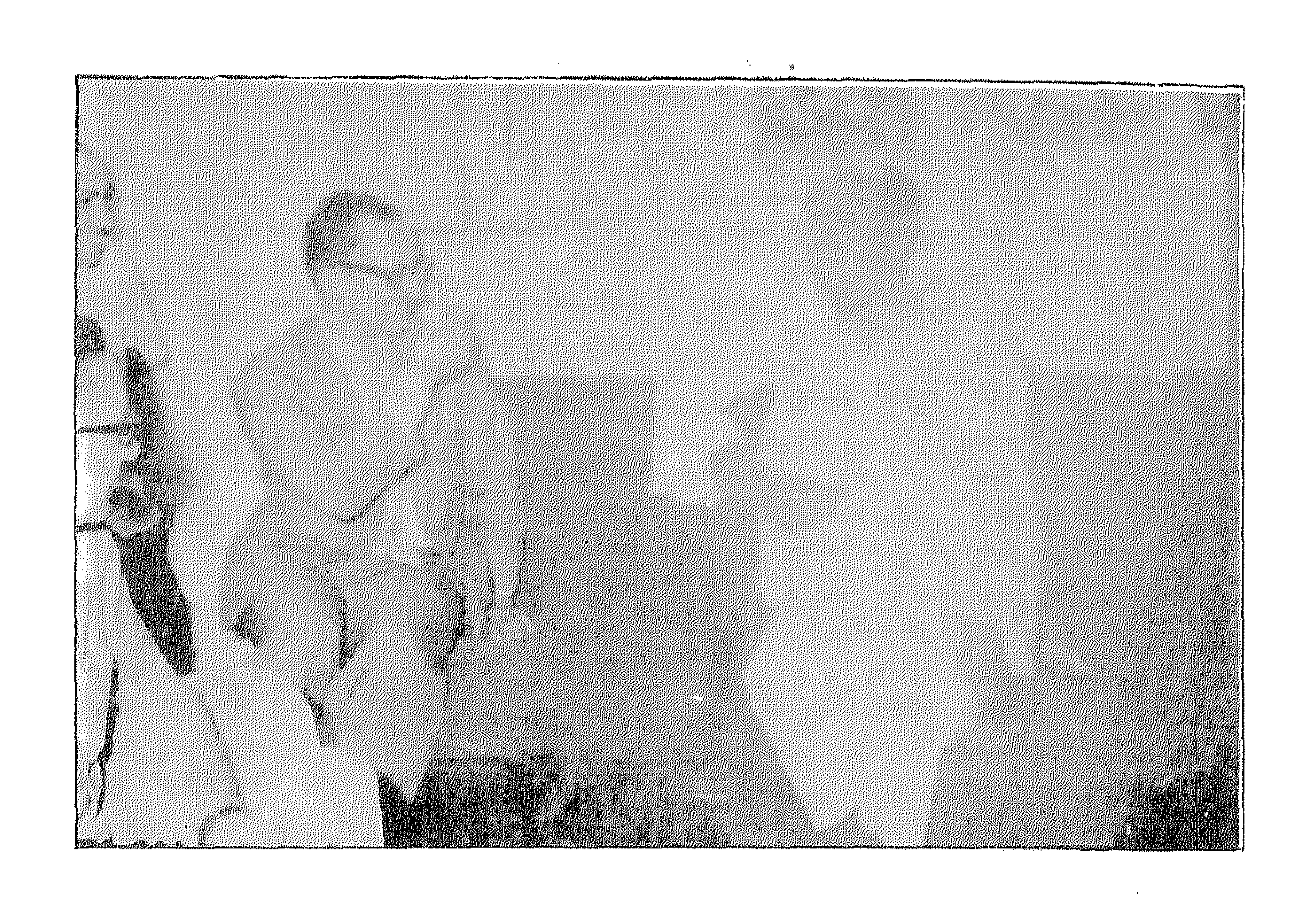
وقد ترك حادث المنشية، وما أعقبه من اعتقالات واسعة النطاق، آثاراً لا تزال قائمة إلى اليوم. وكانت عمليات التعذيب البشعة، هي الأرض التي نبت فيها كل فكر متشدد، ساد وانتشر فيما بعد. وتلقى الإخوان، في السجون، معاملة قاسية، ومهينة، لدرجة أن بعضهم أصيب بلوثة في عقله، وبعضهم لا يزال يعانى مما أصابه حينئذ، إلى اليوم. ولدرجة انهم طلبوا معاملتهم، كما كان يعامل تجار المخدرات والمجرمون، المسجونون معهم، وكما كان يعامل اليهود المسجونون في قضية تفجيرات الإسكندرية والقاهرة، والمعروفة بفضيحة "لافون"... ولكن أحداً لم يستجب لهم. رغم أن اليهود كانوا يأكلون اللبن والشيكولاته وجميع أنواع الأطعمة الشهية وكانوا يرتدون ملابسهم العادية.

ورفض المعتقلون، فى حادث المنشية، وقد كانوا من أساتذة الجامعات والمهندسين، وفئات أخرى في المجتمع... رفضوا الاستمرار في تكسير حجارة الجبل، لأن مهمتهم كانت قد انتهت، ولأنهم سجناء سياسيون. وعندما أصروا على رفضهم تكسير الحجارة، وألحوا في طلب معاملتهم كما كان يعامل السجناء اليهود، وكذلك حسب لوائح السجن لأنهم قضوا سنوات المدة القانونية في تكسير حجارة الجبل، قرر زكريا محي الدين، الرجل الذي لا يزال صامتاً من ٤٠ سنة، والذي يتشدق من آن لأخر بالحرية والعدالة والمساواة...قرر. بأمر مباشر منه أن يفتح عليهم النار، وأن يضربهم في المليان داخل زنازينهم، وأمر زبانيته من

ضباط السجن، وهم: العقيد سيد والى، والضابط محمد صبحي، وعبد ا لله رشدي، وعبد ا لله ماهر، وعبد العال سلامة، وأحمد صالح داوود بالمباحث العامة.. أمرهم بإطلاق الرصاص على السجناء الذين ظنوا في البداية أن المسألة مجرد تهديد وتهويش، وإذا بهم يسقط من بينهم ٢١ قتيلاً، وعشرات الجرحى والمصابين. وكانت قائمة القتلى تضم: أنور مصطفى احمد (مصر القديمة) السيد على محمد (تاجر بالإسكندرية) محمود سليمان (مهندس بالعباسية) احمد حامد قرقر (محاسب من ميت غمر) محمود عبد الجواد العطار (الإسكندرية) إبراهيم محمد أبو الدهب (الإسكندرية) رزق حسن إسماعيل (كفر المرازقة مركز قلين بكفر الشيخ) عبد ا لله عبد العزيز الجندي (القاهرة) عصمت عزت عثمان (السويس) عبد الفتاح محمود عطا ا لله (قويسنا) أحمد محمود الشناوى (طالب) خير الدين إبراهيم عطيه (طالب بالأزهر) مصطفى حامد على (طالب من امبابة) عثمان حسن عيد (ليسانس دار علوم) محمد أبو الفتوح معوض (صاحب مطبعة بالمنوفية) فهمي إبراهيم (طالب ثانوي بالمنوفية) السيد عزب (سائق من المحلة) بعد نور الدين محمد شوقي (امبابة) محمد عفيفي (بين السرايات).. ولم أتمكن من تسجيل باقي الأسماء وقتها، إضافة إلى الجرحى الذين لقوا حتفهم، بعد ذلك بفترة قصيرة، تحت وطأة الضرب التعذيب، وقد أصيب بعض الذين نجوا من الموت بجنون، بل أن الضباط قد أجهزوا على بعض الجرحى، وكان من بينهم أساتذة جامعات.

يومها، حضر على الفور، صلاح دسوقي، وكان أركان حرب وزارة الداخلية، وقال بأعلى صوته، موجهاً حديثه إلى العقيد سيد والى: "برافو عليك يا أبو السيد، ما خلصتوش عليهم كلهم ليه؟!

وابلغ صلاح دسوقي، الضباط الذين نفذوا العملية، تهنئة زكريا محي الدين، وقد كوفئ صلاح دسوقي، بتعيينه محافظاً للقاهرة، ثم سفيراً لمصر في هلسنكى. ولم يكتفي زكريا محي الدين وزبانيته بذلك بل قاموا بحملة تأديب للمعتقلين من الإخوان في جميع سجون مصر وسجن الواحات بالضرب والإهانة والتكدير.



كثيراً مَا كانت تتكرر اللقاءات الباسمة بين السادات والدكتور جامع

واذكر أني كنت مرافقا للسادات، في رحلة إلى سوريا، في الستينات، وقبل أن أتحرك من طنطا، حيث كنت ولا أزال أقيم، جاءتني زوجة اللواء محمود الغراب، الذي كان قد فر إلى سوريا، بعد ما أحس بقرب غدر عبد الناصر به، لا لشئ إلا لأنه طالب بأن يكون الحكم للمدنيين، وأن تكون هناك حرية وديمقراطية.

جاءتني زوجته، وطلبت أن أقابل زوجها في دمشق، وأن أدعوه للعودة للوطن، ووعدتها بذلك، وهناك أخبرت السادات، بما طلبته منى، فلم يعترض، وإن كان قد توقع ألا يوافق الغراب على العودة، وهذا بالفعل ما حدث، لأني ذهبت وقابلته بحضور طه الفرنوانى، ملحقنا الدبلوماسي، وقتها، والسفير بالخارجية فيما بعد. وقد رفض اللواء الغراب العودة، واقسم أنه لن يعود، ولو أعطوه كنوز الدنيا! وكانت مقابلتي له في سوق الحميدية.

وأذكر أن السادات أمر على أن يصطحبني لزيارة هضبة الجولان وذهبنا سوياً على انفراد – وأراني الهضبة... وهمس لي بكل أسى وحسرة كيف تسلم اليهود الجولان دون طلقة واحدة وعن الظروف والملابسات التي حدثت – وعن الخيانة التي حدثت. وهمس لي بأسرار، لا أستطيع البوح بها، الآن.

وفي سوريا، كان عبد المنعم عبد الرؤوف، يقيم لفترة، هاربا من حكم عبد الناصر، وكنت أنا الذي رتبت مسألة هروبه، على ظهر مركب إلى بيروت. وقد أسر إليّ السادات يوماً، بأن عبد الناصر غضب بشدة من هزوب عبد المنعم عبد الرؤوف، وحاول أن يخطفه عن طريق المخابرات. في صندوق خشبي. لتنفيذ حكم الإعدام فيه، ولكن فشل، ورحل عبد الناصر، قبل أن ينجح في إعادة عبد المنعم عبد الرؤوف.

وعندما تولى السادات، الحكم، فاتحته في أمر عبد المنعم عبد الرؤوف، فوافق على أن يعود، من سوريا، وأرسل ممدوح سالم لاستقباله في المطار، واستقبله بنفسه في منزله بالجيزة، ووفر له مسكناً، وأعطاه مرتب وزير، ولما سألت السادات عن سر حفاوته بعبد المنعم عبد الرؤوف، قال لي، إنه أي السادات، مدين لشخصين في حياته: الأول هو الإمام حسن البنا، أول مرشد عام للإخوان، لأنه كان يعطى أسرة السادات عشرة جنيهات شهرياً، أثناء اعتقال السادات في قضية أمين عثمان، والثاني عبد المنعم عبد الرؤوف، الذي أعطى السادات مكافأة معاشه بالكامل بعد فصله من الجيش.

وظل السادات وفياً، لعبد المنعم عبد الرؤوف، لدرجة أنه زوّج بناته بنفسه، وحضر زواجهم، وساعدهم. وعندما مرض عبد المنعم، ادخله السادات مستشفى المعادى، وكان يتابع علاجه بنفسه، ويهتم به، ويسال عنه يومياً. وأرسله للعلاج بفرنسا على نفقة الرياسة، وعندما أصيب عبد المنعم عبد الرؤوف بشلل مفاجئ اتصلت بي زوجته السورية تليفونياً بطنطا واتصلت بالسادات الذي أرسل طبيبه الخاص واصطحبه لمستشفى المعادي وذهب السادات بنفسه لزيارته... وأذكر أن

السادات قال له أمامي: يا عبد المنعم ضحك عليك الإخوان المسلمين وكان زمانك الرجل الثاني لي.. فرفع عبد المنعم رأسهِ وقال للسادات: أنا الرجل الثاني يا أنور... أنا على سرير الموت وإنت خايف مني... فقال له السادات: أنت الرجل الأول يا عبد المنعم..

وقد روى لي السادات، كثيرا، أنه كان يعرف، في الستينات، وقبلها، وطوال عصر عبد الناصر، أن العصر عصر الفرد الواحد والقرار الواحد، وأن الدكتاتورية هي سمة الحكومة الرئيسية، وأن أحداً لم يسلم من غدر عبد الناصر، بما في ذلك زملاؤه ورفقاؤه في الحياة وفي المدرسة. لذلك كان السادات يتصنع الضعف، ويبدو أمام عبد الناصر، والى جواره كالحمل الوديع، وكان يعرف أنه لو اعترض على قرار واحد، أو حتى أبدى رأياً في أي شئ، فسوف يكون مصيره، هو مصير كل أو أغلب أعضاء مجلس قيادة الثورة، والضباط الأحرار، الذين غدر بهم جميعاً، وفتك بهم عبد الناصر، واحداً وراء الآخر، ولم يبق بجواره غير السادات، لأنه عرف كيف يتفادى ويتجنب الصدام معه.

ولم يكن غدر عبد الناصر، متوقفاً عند حد الإخوان فقط، وإنما امتد أيضاً. إلى الصحافة، وتمثل ذلك، على أوضح ما يكون، وبعد أزمة مارس١٩٥٤، في إغلاق ومصادرة جريدة "المصري" ومطاردة آل أبو الفتح، لأنهم وقفوا بالجريدة، ضد الديكتاتورية، والظلم والعدوان، و أرادوا للضباط أن يعودوا إلى ثكناتهم.

ونحن نذكر الدور الكبير، الذي قامت به المصري، في ذلك الوقت، وكيف وقفت في وجه عبد الناصر، وكان الذي يقود ويدير العمل في الجريدة، في ذلك الوقت، هو محمود عبد المنعم مراد، الذي كان مديراً لتحريرها، بعد أن فر أحمد أبو الفتح، إلى الخارج، وسبقه شقيقه محمود أبو الفتح، صاحب الجريدة.

وقد دفعت الجريدة ثمن وقوفها، ضد عبد الناصر، وطغيانه، فأغلقت، وصادر أصولها، وطارد أصحابها في كل أرجاء الدنيا، واستولى على أملاكهم وسجاجيدهم وأثاث منازلهم وأموالهم وأسهمهم في البنوك والشركات وقد حكم القضاء أخيراً

لهم باسترداد كل أملاكهم – ولكن لم ينفذ الحكم حتى الآن. وهذه مأساة أخرى. واعتقل محمود عبد المنعم مراد، لأنه اختار أن يقف في صف الديمقراطية، ومع الجهة التي كانت تضم محمد نجيب وخالد محي الدين. وإذا عاد أي إنسان إلى أعداد "المصري" القديمة في مارس ١٩٥٤، فسوف يرى ويطالع وقفتها الجريئة، ضد عبد الناصر، في وقت لم يكن أحد يجرؤ على أن يقول في وجهه: لا

فعل عبد الناصر، هذا، بآل أبو الفتح، رغم أن أحمد أبو الفتح، كان له دور كبير، في التعجيل بالثورة. فقد روى لي السادات، أن أحمد أبو الفتح، عرف ذات يوم، قبل الثورة بشهور. أن الملك ينوى تعيين حسين سرى عامر وزيراً للحربية، وهو الرجل الذي كان يعرف كل شئ عن الإخوان والضباط، كما أشرت في فصل سابق، فأسرع إلى أحمد أبو الفتح، وأخبر عبد الناصر، وقد تأكد السادات، من معلومات أبو الفتح، عندما كان جالساً بالصدفة، مع د.يوسف رشاد في نادى البحرية.

ولم يكتف عبد الناصر، باغتصاب "المصري" وإنما اغتصب "أخبار اليوم" أيضاً، وعين محمد حسين هيكل، رئيساً لمجلس إداراتها، وجاء هيكل ليدبر مع صلاح نصر، قضية مصطفى أمين، لينفرد بأخبار اليوم، لأنه لم يكن له أن يفعل ذلك، في وجود مصطفى وشقيقه على، وهما المؤسسان للدار.

وفى يوم سألت السادات عن حقيقة مرض عبد الناصر، فأخبرني بأن عبد الناصر، كان إذا مرض، لا يحب أن يعرف أحد، حقيقة مرضه، خصوصاً من جانب الصحافة الأمريكية أو الغربية، وكان يحرص على أن يكون أطباؤه من السوفييت، الذين كانوا ينصحونه بشرب الفودكا لتوسيع الشرايين، ويعطونه أدوية ليست ذات فائدة كبيرة. ومجهولة الهوية.

وذكر لي السادات، انه علم ذات مرة، أن في القاهرة طبيباً نمساوياً ماهراً، فأخذه وذهب إلى عبد الناصر، الذي ثار ثورة عارمة، أمام الطبيب، واتهمني وكل

من حوله، بأننا نريد أن نرثه، وظل يقسم أنه بصحة جيدة، وأنه ليس في حاجة إلى طب أو طبيب.

واعترف لي السادات، أنه قد خرج من عند عبد الناصر، يومها، وهو في قمة الخجل، لأنه لم يفكر أبداً فيما فكر فيه عبد الناصر، وأنه رآها فرصة مناسبة لعرضه على طبيب عالمي، ماهر، ومشهور.. ولكن عبد الناصر، كان يفكر بطريقة أخرى.

﴿٦﴾

عندما سألت السادات عن مقتل المشير

"وفوجئت بأن اون وجه السادات قد تغير، وساد صمت لفترة قصيرة بيننا، ولم ينطق السادات بكلمة واحدة فقلت لـه...."

كانت حادثة كمشيش، من المآسي التي لوثت عصر عبد الناصر، كله، وهي حادثة مخزية، عايشت تفاصيلها عن قرب، وكان السادات وقتها مهتماً بها، ومتألماً من أجلها، و من أجل ضحاياها، وهم عائلة الفقي بالمنوفية، ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً، لأن الأوامر بالقبض على جميع عائلة الفقي، وإهانتهم أمام أقاربهم ومعارفهم، وإجبارهم على ارتداء ملابس النساء وعلى أكل علف البهائم، كل ذلك كان قد صدر به أمر، من حسين عبد الناصر شقيق عبد الناصر، وقد صدر الأمر من عبد الحكيم عامر، الذي كلف بدوره شمس بدران، بالقبض على كافة عائلة الفقي، وإذاقتهم صنوف العذاب.

كان صلاح حسين، زوج شاهنده مقلد، قد قتل، واتهموا واحداً من عائلة الفقي بقتله، فجمعوا العائلة كلها، وصبوا عليهم من كأس الهوان.

وكانت شاهنده مقلد، كادراً شيوعياً كبيراً، وكانت كمشيش مركزاً ومقراً، لاجتماعات عديدة، يحضرها أطراف من السفارة السوفيتية بالقاهرة، حيث كانت سيارات السفارة تحج إلى تلك البلدة، بأرقامها الدبلوماسية فلم يكن أحد يجرؤ على أن يستوقفها.

وقد شاركت سيمون دي لافوار، في بعض تلك الاجتماعات. بصحبة جان بول سارتر.

وبعد أن اتهمت شاهنده مقلد، عائلة الفقي، بقتل زوجها، وبعد القبض على كل أفراد العائلة، ومرمغة سمعتهم في التراب، كلفني السادات يومها بأن أذهب وأتقصى الأمر، وبالفعل ذهبت إلى مبنى المحافظة، وكان إبراهيم بغدادي هو

المحافظ في ذلك الوقت، كما كان عبد الحليم الصعيدي محافظ قنا فيما بعد - هو سكرتير عام المحافظة. وكانا من أصدقائي.

تحايلت، ودخلت مبنى المحافظة، وعن طريق عبد الحليم الصعيدي، وهو صديق وزميل دراسة قديم... وعن طريقه عرفت من أفراد عائلة الفقي. انهم مظلومون، وأن الذي قتل صلاح حسين، هو شخص من أفراد عائلته هو، أخذاً بالثأر، وفهمت منهم أن صلاح كان له شقيق طيار، وأن هذا الطيار، كان صديقاً لحسين عبد الناصر، وأنه عندما قتل صلاح. أسرعت زوجته شاهنده إلى حسين عبد الناصر، تستغيث به، وتطلب النجدة لأسرة شقيق صديقه القديم الطيار، الذي كان قد استشهد قبلها بسنوات.

وتحركت الشرطة العسكرية، بتعليمات من عبد الحكيم عامر، بناء على طلب من حسين عبد الناصر، وأذاقت عائلة الفقي، مالم يذقه أحد من قبل.

وكانت هناك صلات قوية، تربط بين عائلة الفقي، وعائلة السادات، ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً، وإن كان قد تألم للغاية.

وكان هذا العنف، الذي اصبح أسلوباً في التعامل مع الشعب، بكل فئاته، سبيلاً إلى عنف اكبر، مضاد ومعادى للدولة، خصوصاً من جانب الإخوان.

وشكلوا بعد ذلك لجان تصفية الإقطاع بواسطة المباحث العسكرية على مستوى الجمهورية للتنكيل بالعائلات وإرهاب الشعب.

وأذكر بهذه المناسبة واقعتين عايشتهما بنفسي.. أحدهما بمحافظة المنوفية عندما تزحلق رجل "بقشرة بطيخة" أمام منزل شيخ المعهد الديني في إحدى قرى مركز قويسنا وكان لهذا الشاب قريب بالمباحث العسكرية التي كلفت مأمور المركز بالقبض على شيخ المعهد الديني وكان عالماً جليلاً له مهابته واحترامه وأوسعوه ضرباً وركلاً وأخذوا يلعبون الكرة بعمامته ويقولوا "شد العمة شد تحت العمة قرد". وطلبوا منه قراءة الفاتحة بالمقلوب وأمروه بأكل علف البهائم. واخبرت المرحوم الشيخ الشعراوي بذلك عند حضوره لزيارتي وكان يعمل مديراً

لمكتب الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع الأزهر.. فأخبره بذلك... وأثناء عقد قران كريمة شعراوي جمعة بحضور جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر.. قام الشيخ حسن مأمون وأخبر عبد الناصر باستياء جميع علماء الأزهر مما حدث.. فأمر بتشكيل مجلس عسكري.. حكم على المتهمين العسكريين.. ولكن الحكم لم ينفذ... وألغاه عبد الحكيم عامر وشمس بدران. وكانت المباحث العسكرية في المنوفية برياسة الرائد رياض ابراهيم وهو من رجال المشير عبد الحكيم عامر.

والواقعة الأخرى قام بها الرائد حسن كفافي رجل المباحث العسكرية في محافظة الغربية إذ قام بوضع المهندس على أبو جازية عضو مجلس الشورى حالياً وأشقائه اللواء يوسف والمحاسب حسن أبو جازية تحت الحراسة وقام بالاستيلاء على قصرهم وأمر الفلاحين الأجراء عندهم بالنوم أمامهم في غرفهم. وذهب على أبو جازية إلى حاتم صادق صديقه وهو زوج هدى عبد الناصر الذي كلم المشير عامر الذي أمر حسن كفافي بإلغاء القرار... فقام حسن كفافي بضرب الفلاحين أمام عائلة أبو جازية ضرباً مبرحاً مما أثار اشمئزاز عائلة أبو جازية... وهكذا كانت تسير الأمور عشوائياً... وبعد ذلك طلب منهم حسن كفافي خمسين ألف جنيه مساهمة في تسليح الجيش بأمر المشير... ولكنني نصحتهم ألا يدفعوا رغم أن المهندس سيد مرعي رئيس مجلس الشعب نصحهم أن يدفعوا وكان صديقهم صداقة عائلية.

وبمثل ما أهانوا عائلة الفقي، وضربوها بغير رحمة، جاء الاعتقال الثاني للإخوان عام٦٥، عندما اتهموا سيد قطب، بأنه يدبر لقلب نظام الحكم، من خلال أعضاء الإخوان الموجودين خارج السجن، وتم إلقاء القبض على أسماء كثيرة، بناء على كشوف قديمة لدى الدولة، وكان اسمي من بينهم، لولا أن أنقذني السادات.

وازداد التعذيب ضراوة، وقضوا على سيد قطب بالإعدام، واعتبروا أن كتابه "معالم على الطريق" هو دستور جماعات العنف، وبدأت بذور التطرف تنبت

وتنمو، وبدأت الجماعات تكفر بعضها البعض، من هول التعذيب الذي وقع عليها.

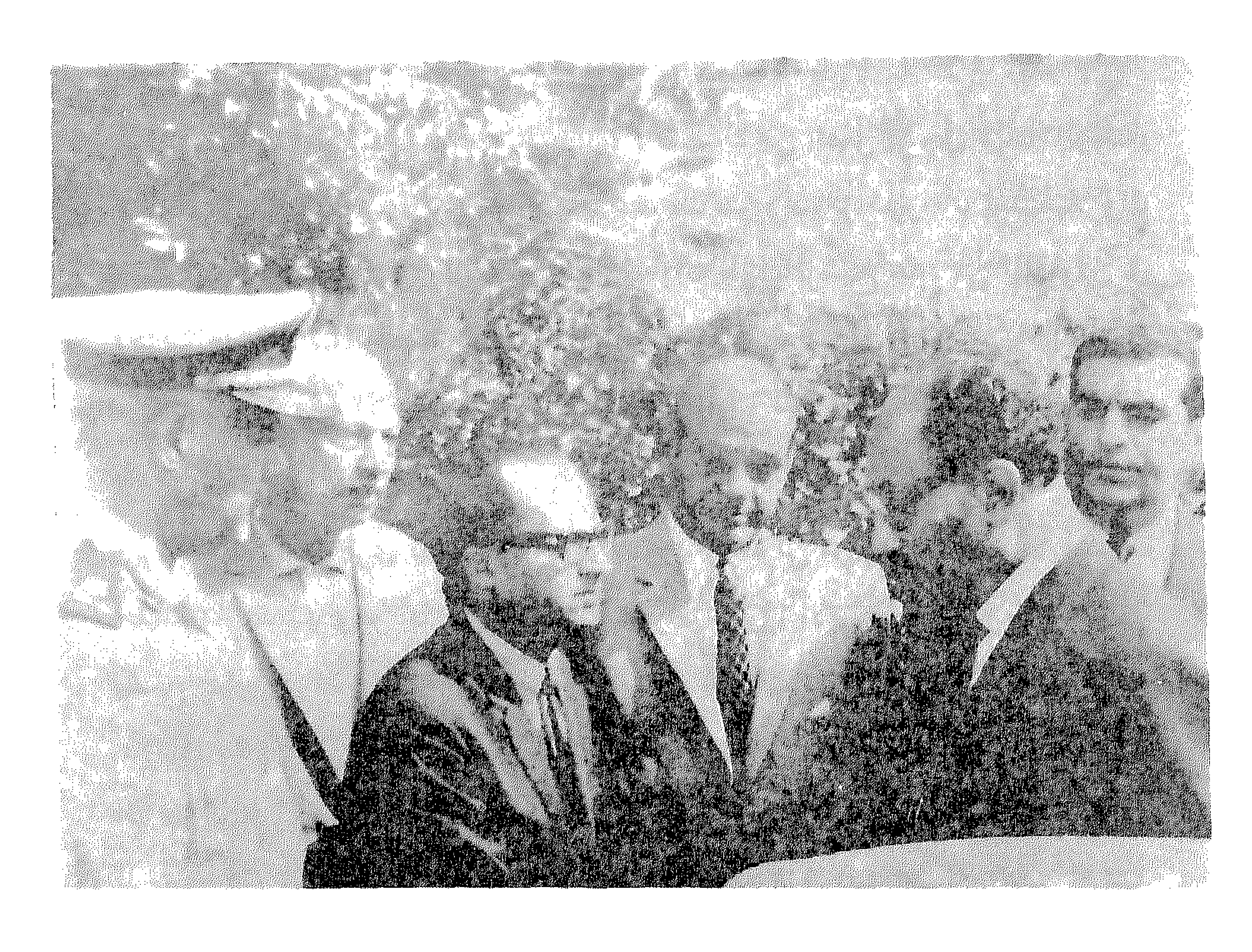
في أيام عهد السادات، أذكر هنا واقعة غريبة، عندما كان وكيل نيابة بأمن الدولة بالإسكندرية، يدعى يحيى هاشم، يحقق في قضية التكفير والهجرة. لقد استمع يحيى هاشم ، على مدى شهر كامل إلى ما تعرض له الشباب من تعذيب، وإذا به يشفق عليهم، ويقتنع بفكرهم، ثم ينضم إليهم ويهرب معهم إلى سوهاج، ودارت بينه وبين الشرطة معارك عديدة، قتل في إحداها. وصار له أتباع وأنصار، حتى انه لما وقع حادث الاعتداء على موكب د.عاطف صدقي رئيس الوزراء السابق، صدر بيان من إحدى الجماعات، يقول: عن كتيبة الشهيد يحيى هاشم... وتساءل الناس: من يحيى هاشم ده فعرفوا انه وكيل النيابة الذي اقتنع و آمن بفكر التكفير والهجرة بسبب التعذيب الذي سمع عنه وحقق فيه.

وقد أردت يوماً. أن استطلع رأى السادات في قضيتين، شغلتا الناس أيام عبد الناصر، تحديداً في الستينات، وهما: مقتل المشير عامر أو انتحاره، ثم مذبحة القضاة.

سألته، وكنا معاً في جلسة هادئة، عما إذا كان المشير عامر قد انتحر فعلاً، كما قيل، ففوجئت بأن لون وجه السادات قد تغير، وساد صمت لفترة قصيرة بيننا، ولم ينطق السادات بكلمة واحدة، فقلت له: يكفيني هذا، ويكفى صمتك رداً على سؤالي.

والغريب أن السادات، كان هو عضو مجلس قيادة الثورة الوحيد، الذي شارك في جنازة المشير عامر، رغم أن المشير كان قد تطاول على السادات، قبل رحيله بقليل، وكاد أن يعتدي على السادات بالضرب، أمام عبد الناصر وحسين الشافعي وزكريا محي الدين وعبد اللطيف بغدادي أثناء محاكمة عامر في منزل عبد الناصر. وسوف تظل حكاية انتحار المشير عامر، أو مقتله، محل تساؤل واستفهام كبيرين، رغم أن هناك معلومات تشير إلى أن عبد الناصر اجتمع بعدد من أنصاره

بعد النكسة، وهم تحديداً: على صبري، شعراوي جمعة، سامي شرف، والفريق فوزي. وقد صارحهم عبد الناصر. وقتها، بأن البلد لم تعد تحتمل اثنين، في إشارة إلى أن أحدهما (عبد الناصر أو عامر) يجب أن يذهب، واخبرهم عبد الناصر أنه مسافر إلى الإسكندرية وأن عليهم أن "يتصرفوا"... وبعد أن سافر، أعلنوا عن انتحار المشير عامر، وعاد عبد الناصر من الإسكندرية، ولم يكن في كل الأحوال. بعيداً عما تم بشأن المشير عامر.



الرئيس السادات يصافح الدكتور محمود جامع بمنزله بميت أبو الكوم وخلفه كمال الشاذلى

وقد سألت السادات، عن القضية الأخرى، التي قلت إنها شغلت النـاس، في الستينات، وهي عزل القضاة، وكيـف استطاع، أي السادات، أن يقبل عضوية اللجنة التي فصلت ٣ آلاف قاضي، فأخبرني السادات، انه لم يكن يستطيع أن يعترض، لا هو ولا غيره، وانه لم يكن موافقاً على فصل القضاة أبداً، بدليل إنه لما تولى شئون الحكم، أعادهم جميعاً إلى أعمالهم، ولم يؤخرهم يوماً واحداً.

وقد سألت السادات، أيضاً، عن حكاية تنحي عبد الناصر، الشهيرة، وهل صحيح انه، أي عبد الناصر. كان قد اتفق مع عامر، على أن يستقيلا معاً، ويأتي شمس بدران رئيساً للجمهورية.

كنت أسأل السادات هذا السؤال، لان هناك من اتصل بي، في ذلك الوقت، على تليفون منزلي بطنطا، وأخبرني بان عبد الناصر وعامر قررا أن يستقيلا وان شمس بدران سوف يتولى رئاسة الجمهورية. وانه طلب ترشيح عدد من المسئولين في الحزب والمحافظات، يعتمد عليهم في عصر جديد. وقد أخبرني مَن اتصل بي يومها، انه قد وقع الاختيار عليّ أنا لأكون محافظاً للغربية، عندما يصبح شمس بدران رئيساً للجمهورية.

قصصت ما جرى للسادات الذي ضحك وأخبرني من جانبه، إنـي لا أعرف حقيقة ما حدث، وهو أن عبد الناصر وعامر لما قررا الاستقالة، اقترح عامر أن يصبح شمس بدران رئيساً للجمهورية، فسايره عبد الناصر في اقتراحه، ولم يرفضه علانية، وقام شمس بترتيب أموره، بناء على تكليف من عامر، وعندما جاء عبد الناصر ليلقي خطاب تنحيه، أعلن اختيار زكريا محي الدين، خليفة له، كرئيس للجمهورية، في الوقت الذي كان قد اتفق فيه مع علي صبري على حشد المظاهرات، التي تخرج وتملأ الشوارع، وتطالب بعودة عبد الناصر، وهذا هو ما حدث، واستطاع عبد الناصر أن يخدع عامر، وان يتخلص منه فيما بعد، ثم يبقى هو في الحكم، بالخديعة، إلى عام ١٩٧٠.

وقد كان شمس بدران، يوهم عبد الناصر بأنه يعمل لحسابه، وانه يتجسس لصالحه، لصالح عبد الناصر، على المشير عامر، وفى نفس الوقت، كان يزعم لعامر، أنه يده اليمنى، وأنه يعلم بكل ما يدور في الجيش، ولذلك تصاعد تطور شمس بدران، واستغل نقاط ضعف المشير، وابعد عن مكتبه كل الرجال المتميزين، ومن بينهم حافظ إسماعيل، الذي أعاده السادات فيما بعد، كما أبعد شمس بدران أيضاً، فيمن ابعد، من حول المشير، كلاً من عباس رضوان، وحلمي السعيد. وكان شمس بدران في أول حياته عضواً بالإخوان المسلمين ولم يكن محيطاً بالعلوم العسكرية -واستغل كسل المشير عامر الذي كان يصحو من نومه بعد الظهر، وكان منغمساً في ملذاته وشجعه على ذلك، وانفرد بكل أمور مكتب القائد العام واختصاصاته، في نقل الضباط وترقيتهم، وكان خلفه بمكتبه خزينة بها نقود، وكان أي ضابط يعرفه ويحضر إليه ويشكو... كان يعطيه أي مبلغ من هذه الخزينة، وكان يغدق عليهم ويعينهم في السلك السياسي والشركات ومناصب المحافظين وخلافه، كل ذلك باسم المشير عامر – وكان يكره سامي شرف ويدس له عند عبد الناصر والعكس... وكان السادات يخشى من سطوة شمس بدران... رغم صداقته الحميمة بالمشير عامر..

والمحزن انه لما وقعت النكسة، وأيقن شمس بدران أن الهزيمة باتت محققة، لا ريب فيها، نصح عبد الناصر، بان يأمر بانسحاب الجيش، حتى يتمكن من تأمين الثورة، وتأمين الرئيس نفسه، ولم يكن يهمه بالطبع أعداد الضباط ولا الجنود الذين سقطوا قتلى وصرعى، وراحو ضحايا الخيانات والمؤامرات والصراعات على السلطة. ومما يذكر أنه بعد انتصار السادات على مراكز القوى في ١٤مايو. أفرج السادات عن شمس بدران واصطحبه ممدوح سالم إلى المطار وسافر إلى لندن بجواز سفر دبلوماسي وذهب إلى هناك وأنفق كل الأموال التي هربها وخسرها في مشروعاته. ويعيش الآن على ايراد محل صغير للجبن..

وكانت مصر، في كل مرة، وفى كل صراع، هي التي تتكبد الخسائر، ومن أولادها، وأرضها، وهى التي دائماً تدفع الثمن.

وليس أدل على ذلك من أن مظاهرات الطلبة، عندما اندلعت واشتعلت عام٦٨، احتجاجا على ما جرى في ٦٧، وعقب تقديم الضباط للمحاكمة، عند ذلك، أمر شعراوي جمعه، بإطلاق الرصاص على الطلبة، وأصيب وقتل عدد غير قليل من الطلاب، واعتصم زملاؤهم داخل الجامعة، بقيادة عصمت زين الدين الاستاذ بكلية الهندسة، وحين وصلت أخبار المظاهرات إلى عبد الناصر، ادعى انه لم يكن يعلم عنها شيئاً، ولم يكن أمامه إلا أن يتخذ إجراء سريعاً، فاصدر قراراً بتعيين د.عبد الحميد حسن. رئيساً للمجلس الأعلى للشباب والرياضة، باعتبار أن هذا التعيين، فرصة لالتقاط الأنفاس، من جانبه، حتى يرى ما يتعين عليه أن يفعله.

وقد كانت تلك هي طريقته في العمل إذا كان يلجأ إلى تهدئة الأمور، حين تواجهه أزمة ما، وخلال فترة التهدئة هذه، كان يتولى العصف بكل ما تمت إليه الأزمة، بأدنى صلة. ولم يكن ذلك خافياً، وإنما كان ظاهراً في كثير من الأعمال والأفعال. ويكفى أن نذكر، مثلاً، يوم ذهب إلى منزل المشير عامر، عندما كان أنصار عامر قد تجمعوا حول بيته، للفتك بكل من يفكر في الإطاحه به، ولكن عبد الناصر أرسل عباس رضوان، إلى هناك، ليهدئ الأمور، ولينصرف أنصار عامر معتقدين أن مصالحة قد تمت بين الاثنين، في الوقت الذي كان فيه عبد الناصر، قد قرر التخلص من عامر، فعلاً، لا قولاً.

﴿ ٧ ﴾

مذبحة القضاء في العهد الناصري

"وكان نص القرار الذي أصدره جمال عبد الناصر هو عزل جميع رجال القضاء في مصر ثم ......"

بدأت ثورة ٢٣يوليو ١٩٥٢ بعد نجاحها فى تشكيل نوعيات مختلفة من المحاكم مثل المحاكم العسكرية ومحكمة الثورة ومحكمة الغدر ومحكمة الشعب وهى محاكم إستثنائية بمسميات مختلفة .. وأحكام وصفت بأنها أنفعالية وظالمة وهزلية وموجهة من السلطة .. مما أثار قضية العدوان على أستقلال القضاء .. ووجهت أنتقادات شديدة إلى السلطة .. وكان أولها من المرحوم الدكتور عبد الرازق السنهورى رئيس مجلس الدولة ومستشارى المجلس مما حدا بعبد الناصر باستئجار مجموعة من بلطجية عمال الترام برياسة صاوى أحمد صاوى وأعطاهم مبلغا من المال .. وتوجهوا إلى مجلس الدولة فى مارس ١٩٥٤ وأعتدوا على الدكتور عبد الرازق السنهورى فى مكتبه بالمجلس بالضرب المبرح حتى أصيب بجروح شديدة .. وتم عزله وعزل مجموعة من مستشارى المجلس .. وللعجب فإن هذه المظاهرات المأجورة كانت تهتف بسقوط الحريات وسقوط المثقفين وتنادى وتهتف بالدكتاتورية -!!! وسقوط الديموقراطية وكانت هذه أول ضربة قاسمة للقضاء وللحريات وللديمقراطية بل أول مسمار فى نعش هذه الثورة والمسئولين الكبار فيها فى تلك الأيام بل أول مسمار فى نعش عبد الناصر ومرت الأيام .. واستمرت المحاكم الأستثنائية من محاكم الثورة والشعب تمارس أعمالها القضائية وأحكامها القاسية على بعض فئات الشعب بطريقة مشينة ومهينة وهزلية مهملين قضاء مصر الحقيقى الشامخ الذى هو حصن الأمان الدائم فى هذا البلد. حتى جاءت ١٩٦٦ وبدأت الصحف القومية تنشر مقالات لكبار المسئولين أمثال على صبرى وخلافه .. كلها تهجم على القضاء والقضاة .. وتتعرض لأحكامهم بالنقد والتجريح وبدأت هذا المقالات تنادى بوجوب خضوع القضاء لتشكيلات الأتحاد الأشتراكى .. وهو التنظيم السياسي الوحيد فى مصر فى ذلك الوقت.

ثم حدثت نكسة ١٩٦٧ .. وكان لها أثارها النفسية الهائلة فى ضمير الشعب بكل فئاته وطبقاته بما فيهم رجل القضاء .. وهم من أبناء هذا الشعب من فلاحيه وعماله

وجنوده ومثقفيه فأصدر نادى القضاء بيانا يدعو فيه إلى إعادة البناء واصلاح ما فسد .. لإزالة آثار العدوان الإسرائيلى ونادى البيان بوجوب تلافي الأخطاء السابقة التى أدت إلى النكسة .. بوجوب أحترام سيادة القانون وتأمين أستقلال القضاء .. وإلغاء الأزدواجية والتعددية فيه وتأمين حق كافة المواطنين فى أن يكون محاكماتهم أمام قاضيهم الطبيعى .. وإلغاء كافة المحاكم والقوانين الأستثنائية ورفع الأمر مشوها إلى عبد الناصر عن طريق الجهاز السرى الطليعى المشكل من بعض ضعاف النفوس من رجال القضاء فى ذلك الوقت بقيادة على صبرى وإشراف وتمويل سامى شرف .. وللأسف الشديد ضبطت فى خزينة عبد الناصر بعد وفاته .. تقارير مكتوبة من بعض رجال القضاء نتيجة مراقبتهم ولالتجسس على وزير العدل عصام الدين حسونه ورئيس محكمة النقض عادل يونس وبعض المستشارين أمثال ممتاز نصار ويحي الرفاعى وسليم عبد الله وكمال عبد العزيز وعلى عبد الرحيم وغيرهم واتهامهم بأنهم أعداء عبد الناصر وأعداء النظام. كما ضبطت مبالغ مالية أعطيت لبعض هؤلاء المستشارين أمثال المستشار ص.م، والمستشار الجندى، وآخرين ثمناً لهذه التقارير والوشايات الكاذبة .. حتى أن زملائهم من المستشارين فى ذلك الوقت كانوا يسمونهم "المخبرين" لا المستشارين وقام عبد الناصر بتشكيل لجنة برياسة السادات لكتابة كشف بأسماء بعض رجال القضاء بناء على هذه التقارير المكتوبة وقامت اللجنة بالتوصية بإحالة حوالى مائتين من خيرة رجال القضاء إلى المعاش منهم جميع أعضاء مجلس إدارة نادى القضاء فى ذلك الوقت ..

وكان نص القرار الذى أصدره عبد الناصر هو عزل جميع رجال القضاء فى مصر ثم إعادة تعيينهم بعد أستبعاد ٢٠٠ أحيلوا للمعاش وآخرين نقلوا لوظائف مدنية بوزارات الحكومة ومصالحها المختلفة .. بحجة تطبيق قانون الإصلاح الزراعى عليهم وعلى أسرهم، أو أنهم ذوي انتماءات حزبية سياسية أو دينية مثل الأحزاب السابقة قبل الثورة أو الإخوان المسلمين أو أنهم من أعضاء الثورة المضادة أو خلافه حتى قامت ثورة التصحيح بقيادة أنور السادات وحكمت محكمة النقض بانعدام القرارات الصادرة من عبد الناصر .. وصدر قانون الثورة .. وأعاد السادات جميع رجال القضاء المفصولين .. وكان يتشرف دائماً بذلك الشرف وذلك القرار رغم أنه فى عهد عبد الناصر كان هو رئيس اللجنة التى

قامت بالتوصية بفصلهم وبسكرتارية سامي شرف؟؟!! بل وقدم أعضاء التنظيم الطليعى من المستشارين إلى المحاكمة التأديبية ومنهم ص.م. والمستشار الجندى وصدر قرار بإدانتهم وإحالتهم إلى المعاش... رغم أن المستشار الجندى بدأ حياته شابا وطنيا وفديا هو وشقيقه بمدرسة طنطا الثانوية .. ثم باع مبادئه للأتحاد الأشتراكى والتنظيم الطليعي بثمن بخس على سامي شرف. وقد شهد عصام الدين حسونه أنه وهو وزير للعدل طلب منه عبد الناصر تشكيل تنظيم سرى لرجال القضاء يتبع الأتحاد الأشتراكى أسوة بالتنظيم السرى فى الشرطة الذى كان يتبع شعراوى جمعة، والتنظيم السرى بالجيش الذى كان يتبع شمس بدران !!



السادات يرحب بالدكتور جامع فى أحد اللقاءات الخاصة

وأثناء تلك الأزمة حضر إلى بمنزلي بطنطا المستشار يحي الرفاعى سكرتير نادى القضاء فى ذلك الوقت ومعه المستشارون سليم عبد الله وكمال عبد العزيز وعلى عبد الرحيم وعبد الرءوف جميعة وعوض الموجى وغيرهم وكانت معهم مذكرة مكتوبة .. وبيان

مكتوب عن تمسكهم بعدم الموافقة على أنضمام رجال القضـاء إلى أى تنظيـم سياسـي مثـل الأتحاد الأشتراكى وغيره .. وطلبوا الإجتماع بالسادات.

ولم يكن يعرف الجميع فى ذلك الوقت أن السادات كان رئيس اللجنة التـى أوصـت بالأسماء التى فصلت من القضاء بأمر مباشر من عبـد النـاصر وعندمـا فـاتحت السـادات في هذه المشكلة ثار ثورة عارمة وقال أن معظم رجال القضاء هم من أعضاء الأحزاب المنحلـة قبل قيام الثورة .. وهم ثورة مضادة .. وخلافه .. وكـان ذلـك عندما كنـت فـى صحبتـه بطائرة حربية بعد أن أصطحبنى معه لزيـارة مرسي مطـروح ومعـى الدكتـور هاشـم نصـار رئيس جامعة طنطا سابقا وعميد كلية طب الأسكندرية فى ذلـك الوقـت وكنـا فـى زيـارة معسكر الطلاب الجامعيين الذى كان ينظمه الدكتور نعيـم أبـو طـالب الـذى كـان محافظـا للأسكندرية ووزيراً للنقل والمواصلات. ومن ضمن ماقاله لى السادات أن ممتاز نصار ويحـي الرفاعى وزعا البيان على السفارات الأجنبية وأن عبد الناصر قال له أن ممتاز نصار يريد أن يكون رئيساً للجمهورية !؟ وأن يحي الرفاعى يريد أن يكون رئيساً للوزراء فقلت للسادات وهل يرضيك أن يكتب التنظيم الطليعى كشـفاً بأسماء بعـض أعضائـه مـن شـباب المحـامين ويعينوا فى مناصب القضاء دون التقيد بترتيب التخرج أو السمعة الشـخصية أو الصفـات الأجتماعية العائلية فرد على قائلاً أن هـؤلاء المعينـون الجـدد مـن أعضـاء التنظيـم الطليعـى السرى لعبد الناصر فى الوظائف القضائية – هم الذين سيتصدون بكل قـوة لقـوى الثـورة المضادة للنظام الناصرى من المستشارين والقضاة من غلول الرجعيـة والأقطـاع والأحـزاب السابقة والأخوان المسلمين وخلافهم .. ومن العجيب أن نقابـة المحـامين فـى ذلـك الوقـت حاول بعض أعضائها رفض قيد هؤلاء الرجال من خيرة رجال القضـاء المفصولـين ظلمـا .. بناء على توجيهات محـددة مـن شـعراوى جمعة وزيـر الداخليـة وأمـين التنظيـم فـى الأتحـاد الأشتراكى فى ذلك الوقت. إمعانا فى التنكيل بهـم وإغـلاق كـل أبـواب العمـل الشـريف أمامهم – حتى أن بعضهم حصل على عقـود عمـل خـارج الجمهوريـة ولكنهـم منعـوا مـن السـفر بواسـطة أجهـزة وزارة الداخليـة. وأذكـر منهـم على سـبيل المثـال المستشـار يحـي الرفاعي، وكمال عبـد العزيـز، وعلـى عبـد الرحيـم حلمـي. والغريـب أننـى تكلمـت مـع السادات بشأن التصريح لهم بالسفر للخارج للعمل– وكذلـك التصريـح للمستشـار علـى

محسن مصطفى رئيس مجلس الدولة، والمستشار مدحت طاهر نور ولكن شعراوى جمعة رفض ذلك مرتين – مرة والسادات نائب رئيس الجمهورية، ومرة أخرى وهو رئيس جمهورية قبل ثورة التصحيح فى ١٤ مايو. وقال لى شعراوى جمعة أنا الأمن .. ليس السادات ولن أصرح لهم بالسفر مهما كان الأمر. وأخبرت السادات بهذا التحدى، ولم يحرك ساكنا ..

وهدد المستشار يحي الرفاعى فى غضب فى حديث له مع النائب العام فى ذلك الوقت بأنه سيضطر إلى أن يعمل سائق تاكسى لسيارته الخاصة.

وعمل كمال عبد العزيز فى مكتب عصام حسونه المحامى ووزير العدل السابق دون أن يترافع فى المحاكم فى أول الأمر .. وهو المحامى العظيم والقدير الآن وكذلك عمل المستشار على عبد الرحيم فى مكتب محامى أرنى يسمى أليبر جريس الذى وافق وتعرض للمخاطر من السلطات .. ليعمل عنده هذا القاض المفصول دون أن يترافع .. "وبعض أن رفض الجميع من المحامين أن يعمل عندهم أو معهم أى رجل من رجال القضاء المفصولين خوفاً من السلطة الباغية أيام عبد الناصر"

وماذا كان يعمل هؤلاء وقد كان معاشهم فى حدود خمسة وعشرون جنيهاً مصرياً ودارت الأيام وعين رجال القضاء فى عهد السادات للخدمة وأحتسبت لهم أقدمياتهم واستقال كمال عبد العزيز وعلى عبد الرحيم من الحكومة وأصبحا الآن من ألمع وأكبر المحامين فى مصر والعالم العربى !! .. وهذا من فضل الله عليهم وعلى زملائهم .. فقد أرادها عبد الناصر إزلالا وفقراً وأراد الله عز وجل لهم العز والكرامة وسعة الرزق .. وشموخ المهنة.

وأصبح ممتاز نصار عضواً لامعا فى مجلس الشعب وزعيماً للمقاومة الوفدية ومحامياً قديراً من ألمع المحامين وأشرفهم – وكانت له جولاته البرلمانية المتألقة فى مجلس الشعب، ومواقف تاريخية أثرت الحياة البرلمانية فى كثير من القضايا القومية.

أما يحيى الرفاعي فقد وصل إلى منصب رئيس محكمة النقض – ثم عمل بالمحاماة وكان محامياً وطنياً لامعاً متألقاً فى قضايا الرأي متطوعا للدفاع عن قضايا الحرية

والديموقراطية وتول رئاسة نادى القضاء فحمل له رسالة سامية – حتى بويع رئيساً شرفياً لنادى القضاة مدى حياته. وقد كانت حياته فى القضاء والمحاماة نبراساً طيباً، ومثلاً عظيماً للجهاد والتضحية فى سبيل قضايا الحرية والديموقراطية وأستقلال القضاء – وكان شامخاً فى كل موقف مضحياً بوقته وماله وصحته فى سبيل الوطن – جزاه الله عن الجميع خير الجزاء.

وبعد ذلك قدم المستشار الجندى للمحاكمة وكانت عريضة الدعوى التأديبية رقم٦لسنة١٩٧١ ذكر بها الأتى:–

ثبت من الأوراق والتحقيقات التى أجريت مع المستشار المذكور أنه فى خلال الفترة من ١٩٦٥/٩/٢٥ حتى ١٩٧١/٥/٢٣ أرتكب الأمور الآتية :–

أولاً:– أستغل صلته الشخصية بسامى شرف سكرتير الرئيس جمال عبد الناصر وأحد المتهمين فى الجناية رقم ٣٥١لسنة ١٩٧١ أمن دولة عليا والتى بدأت منذ عام ١٩٥٨ وتوثقت بأنضمامه عضوا في خلية رئيسية فى تنظيم سرى بتاريخ ١٩٦٥/٧/٢٤ فبدأ فى تحرير تقارير دورية وسرية – ثم ألح فى تكوين تنظيمات سرية من بعض رجال الهيئات القضائية. ورشح لها بعض أعوانه المخلصين. وقد تم له ذلك بتشكيل ثلاث تنظيمات وهى كالآتى:–

١) القيادة الجماعية لرجال القضاء.

٢) لجنة الطليعة الأشتراكية الناصرية لرجال القضاء.

٣) مجموعات الأصدقاء.

ثم مارس نشاطه فى هذه التنظيمات فى أجتماعات سرية أتخذت فيها بعض القرارات بقصد الأضرار برجال الهيئة القضائية. وتعمد التعرض ببعض الوزراء وبعض رجال القضاء بما أسنده إليهم ظلما من أمور تمس ذمتهم وأعراضهم وأستدل على بعض الأوراق من ملفاتهم السرية وسلمها إلى سامى شرف لتصويرها وإعادتها وكذلك مرافقة بعض رجال القضاء وكتابة تقارير سرية عنهم بواسطة أعضاء التنظيم.

وأنتهت المحاكمة باستقالة المتهم المستشار الجندى أثناء تلاوة الحكم بإدانته. وهكذا تحقق الأتهام لعبد الناصر بأنه (سفح دم العدالة فى مذبحة القضاء) ويسجل التاريخ أن المستشار حسن الهضيبى المرشد العام للإخوان المسليمن فى أول قيام الثورة وقبل أن يختلف الإخوان المسلمين مع عبد الناصر وعندما كانت الأمور بينهم كلها بالتشاور مع قادة الإخوان وعبد الناصر .. عندما علم المرحوم الهضيبى أن محكمة الثورة حكمت على إبراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء السابق بالأعدام .. ورغم عداوة الإخوان المسلمين لإبراهيم عبد الهادى الذى نكل بالإخوان المسلمين وأعتقلهم وعذبهم واغتال حسن البنا بتدبير حكومته وفى عهده رغم كل ذلك أعترض الهضيبى على هذا الحكم بأسره وأرسل المرحوم حسن العشماوى عضو مكتب الأرشاد إلى عبد الناصر طالبا منه بكل إلحاح إلغاء حكم الإعدام على إبراهيم عبد الهادى لأنه لم يحاكم أمام قاضيه الطبيعى فى المحاكم العادية .. بل حوكم أمام محكمة أستثنائية وهذا عدوان صارخ على أستقلالية القضاء .. وعلى الحرية

ولم يهدأ له بال حتى ألغى هذا الحكم وهذا موقف عظيم يحسب للمرحوم المستشار حسن الهضيبي.

ودارت الأيام وحوكم الهضيبى أيام عبد الناصر أمام محكمة أستثنائية برياسة جمال سليم سميت محكمة الشعب وكانت محاكمة هزلية فاضحة يندى لها الجبين برياسة الضابط جمال سالم عضو مجلس الثورة والذى أمضى آخر أيام حياته أثناء مرضه وبعد أن نبذه عبد الناصر بعد أن استنند من أغراضه أمضى آخر أيامه بالبكاء والندم على ما أقترف فى حق هؤلاء الناس الذين حاكمهم .. متنقلاً بين مساجد الحسين والسيد نفيسة والأمام الشافعى.. وكان يقول بأعلى صوته لقد خدعنى عبد الناصر وحرضنى على ذلك وياليتنى مافعلت.. وكان يطلب الصفح والمغفرة من الله ومن الناس..

عندما كان يتذكر أنه كان يأمر المتهمين أمام المحكمة من الإخوان المسلمين أن يقرأوا سورة الفاتحة بالمقلوب وأنه يسأل المتهم هل يحفظ سورة آل عمران فإذا أجاب بالإيجاب كان يحكم علية بالأشغال الشاقة المؤبدة وكان لكل سورة من سور القرآن الكريم تسعيرة

في هذه من عدد سنوات العقوبة - فسورة البقرة لها تسعيرة وسورة الإسراء تسعيرة - وهكذا كان قضاء عبد الناصر وعصابته من أمثال جمال سالم والدجوى وأمثالهم من القيادات التى أبتليت بهم مصر لينكلوا بأشرف أبنائها، وأنبل قادتها.. وقادوها إلى الهزيمة المنكرة، والدمار والخراب فى كل مرافقها وحقوقها الأخلاقية والعسكرية والسياسية. عميت أبصارهم، وضلت قلوبهم، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم وأولئك هم الفاسقون.

وقد ثبت في أقوال الوزيرين شعراوي جمعة وزير الداخلية وأمين التنظيم في الأتحاد الاشتراكي والوزير سامي شرف مدير مكتب الرئيس جمال عبد الناصر في تحقيقات الجناية رقم ٣٥١ لسنة١٩٧١ أمن الدولة العليا التي قطعت تفصيلا .. بأن الإدارة هي التي أنشأت وأدارت التنظيم السري في القضاء. وكانت تقول لكل عضو إن هذا تنظيم جمال عبد الناصر وتسلم له اللائحة، وبعض النشرات الخاصة بالعمل السياسي بأرقام كودية سرية حتى لا تتسرب إلى غير أعضاء التنظيم. وكان يرأس مجموعة رياسة الجمهورية المستشار عبد الحميد الجندي، ويكتب تقاريره وتجسسه على زملائه رجال القضاء ويرفعها دورياً إلى سامي شرف ويتقاضى عن ذلك مرتبات شهرية من المصاريف السرية بخزينة عبد الناصر.

وكان المستشار محمد الصادق مهدي مسئولا عن مجموعة التجسس بوزارة العدل وكان يرفع تقاريره إلى محمد أبو نصير وزير العدل وكان هدفهما هو حماية النظام سياسيا ومقاومة أي قوى مضادة أومنحرفة ضد نظام الحكم الناصري.

ولمعرفة حقيقة ما يدور... ومعرفة خط رئيس الدولة وهو عبد الناصر والسير فيه. مما مؤداه أن جهة الإدارة أو الرياسة قد عصفت بمبدأ استقلالات القضاء وخالفته بذلك قانون السلطة القضائية - ومست الضمانات المكفولة فيه للقضاه. مما يجعل هذه الجهة - وهذه أخلاقياتها وسلوكياتها - هي المسئولة عن كل ما ألحقته قرارتها بإنشاء وإدارة هذا التنظيم من أضرار وتسببت في عزل مجموعة من خيرة رجال القضاء في مصر - دون وجه حق نتيجة تقارير كاذبة أو تجسس مفضوح - حتى أصبحوا يطلق عليهم المخبرين لا المستشارين.

وقد ضبطت بعض هذه التقارير مع أعضاء التنظيم السري الطليعي وقدمت للمحاكمة.

وتدل هذه التقارير كيف كانت تتضمن ما يدور في نادي القضاة من نشاط ومناقشات بين أعضائه من رجال القضاء – وكان كل ذلك ينقل مشوهاً إلى الرئيس عبد الناصر شخصياً تنفيذاً لتوجيهاته بنفسه – ويؤشر عليها بقرارات فورية ظالمة – انتهت بفصل عدد كبير من رجال القضاء – ونقل بعضهم إلى موظفين عاديين بوزارة ومصالح الحكومة المختلفة.

وكان المستشار يحيى الرفاعي هو دينامو النشاط في نادي القضاة وكانت تقارير التنظيم الطليعي تنهال على عبد الناصر ضده.

وقد وقفت إلى جانب كثيراً من رجال القضاء الأفاضل الذين أضيروا في العهد الناصري مثل المستشار مأمون حسن الهضيبي الذي أعتقل وهو مستشار علق وعذب إلى حد تفتيت أوصاله واستكراهه على الاستقالة وتجويع أسرته إلى حد حضور إحدى قريباته إلى نادي القضاة – ووقفت على استحياء ملتمسة وقف خصم اشتراكه الشهري من معاشه – مع أن وزير العدل في ذلك الوقت كان من أصدق أصدقائه وعجز عن حمايته بل أضطر إلى قبول استقالته.

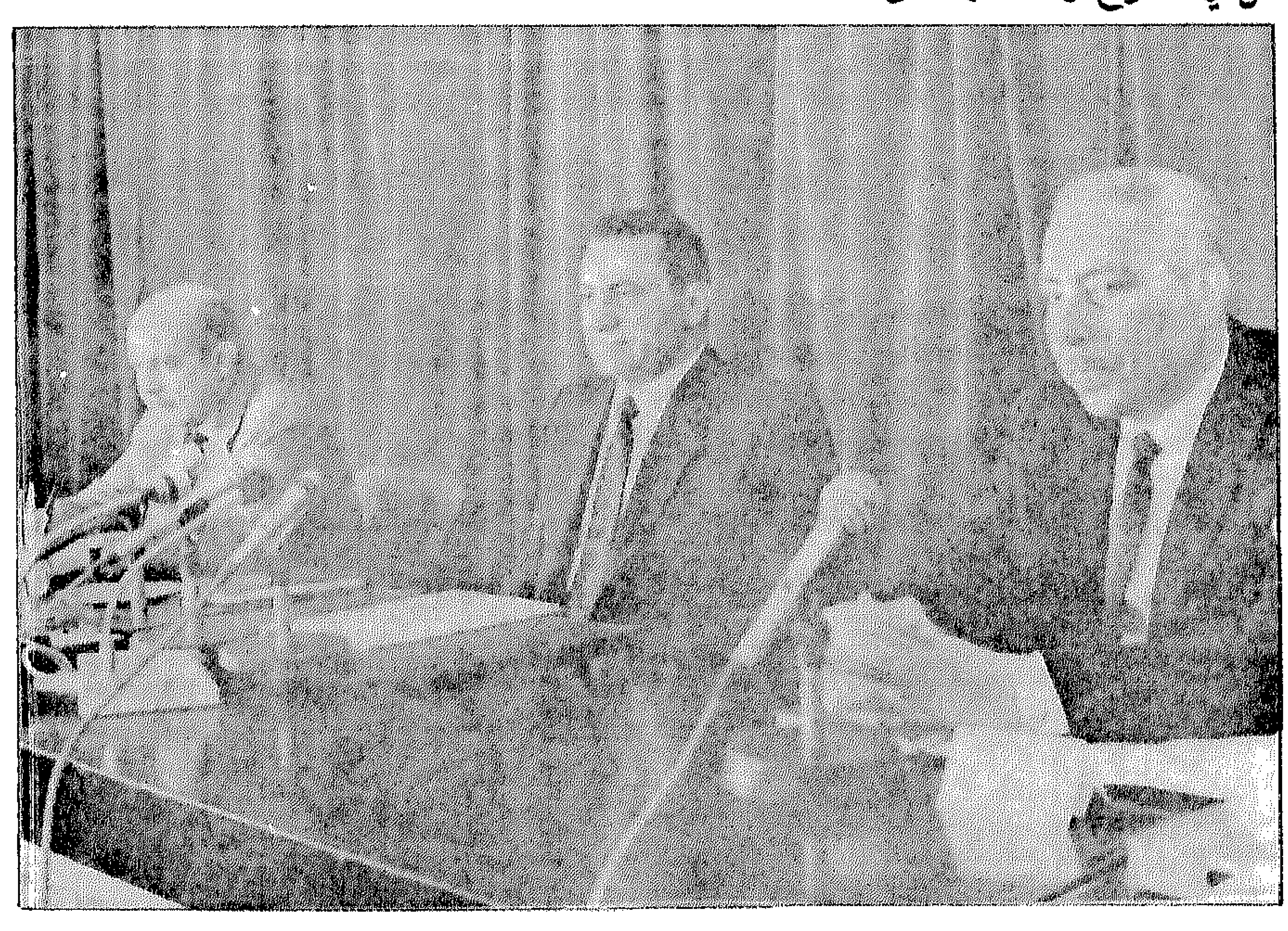
كما أن أحد جيران المستشار يحيى الرفاعي وهو المستشار الفاضل جميل الزيني وضع تحت الحراسة أيام عبد الناصر وتم إيقافه عن العمل فيما كان يسمى بأجازة إجبارية حتى فصل بعد ذلك وحددت محل إقامته – بعد اقتحام مسكنه وغرفة نومه في الليل المتأخر بالمدافع الرشاشة المصوبة إليه وإلى زوجته وأولاده وتفتيش منزله – ونهب أمواله ومصوغات زوجته جهارا – وتحت شعار سيادة قانون عبد الناصر. مع أن وزير العدل في ذلك الوقت أيضاً كان من أقرب أقربائه. ومع ذلك لم يستطع حمايته.

كما أن يحيى الرفاعي تألم لزميل له وهو المستشار محمد بكر شافع لنقله إلى وظيفة بوزارة التموين ومطالبته بالاستقالة – لأنه ابن شقيقة المرحوم الشهيد سيد قطب – وقام

شمس بدران بقتل شقيقه الطالبين بالجامعة بيديه الكريمتين في أحدى ليالي رمضان المبارك نتيجة التعذيب الشديد – وكان يتباهى شمس بذلك أمام أصدقائه..

كل ذلك كان في ملف يحيى الرفاعي أيام حكم عبد الناصر بل كل ذلك في ملف عبد الناصر دنيا وآخره إن شاء الله وقد كتبت محكمة النقض في حيثيات حكم إعادة المستشار يحيى الرفاعي إلى الخدمة ما يلي نصا...

وإذا لحقت به أضرار مادية وأدبية من جراء هذه القرارات وما سبقها وما تلاها وما عمدت إليه بعض سلطات الدولة من تشكيل تنظيم سري من بعض رجال القضاء وضع تقارير تضمنت من المفتريات والقذف في حقه والنيل من اعتباره ما كان له أثره من ملاحقة سلطات الأمن له بمختلف أنواع المراقبة وأعفائه من رئاسة لجان الانتخاب والاستفتاء وإلغاء ندبه مستشاراً قانونيا لمحافظة القاهرة إلى أن انتهى الأمر بعزله من ولاية القضاء وإقصائه من منصبه في نادي القضاة وتضييق سبل العيش أمامه بعد عزله بمنعه من السفر للعمل في الخارج والمصادرة على محاولاته الاشتغال بالمحاماة..



الرئيس حسنى مبارك والمستشار يحيى الرفاعى والمستشار ممدوح عطية وزير العدل في إفتتاح مؤتمر العدالة عام ١٩٨٦.

وهذا ما حدث بالضبط مع جميع رجال القضاء الذين فصلوا مثل عبد القادر حلمي وبكر شافع ومأمون الهضيبي وكمال عبد العزيز، وعادل عيد وعلي عبد الرحيم وسليم عبد الله وجميل الزيني وحلمي قنديل وممتاز نصار وغيرهم من خيرة رجال القضاء في مصر علما وخلقا ووطنية...

وهذا ما فعله عبد الناصر الذي رفعه الشعب ليحكمه فأذله وأمعن في إذلاله – حتى أذل الله عبد الناصر في صيانة وأثبت عملياً أننا فشلنا كمصريين في حكم أنفسنا، بأنفسنا كما أثبت ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ...

وكيف استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً. وكيف تزين البطانة للحاكم المستبد – كيف تزين له أعماله وتصرفاته الخاطئة والظالمة والمستبدة..

فينقل من يشاء، ويسجن من يشاء، ويضرب من يشاء دون وازع من ضمير، أو رحمة، أو هوادة.

ونسي هؤلاء الحكام أن هناك ربا.. يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.. نسوا الله فأنساهم أنفسهم وأولئك هم الظالمون.

وكل واحد من هؤلاء الحكام تحوطه كوكبه من المنتفعين والمستفيدين... تزين لهم الباطل والسوء – لتبقى مصالحهم ومكاسبهم.. وليبقى نفوذهم وصولجانهم. ولكن إلى حين – وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

تأشيرات بخط عبد الناصر:

١-قضاة قضية السفير أمين سوكة (برة)

- وهم قد حكموا بالبراءة وكان متهما بالتخابر وأذاع تقرير يرنج (مستشار / سعيد كامل بشارة)

٢-قضاة المستشار محمود عبد اللطيف (برة)

- وهو الذي كان مشرفا على تربية عبد الناصر في صغره ونسبت إليه اشاعات كثيرة عن سلوكيات عبد الناصر وهو طالب وقد نظر المستشار/ عبد اللطيف قضية لقلب نظام الحكم وكان بها منشور مزور منسوب لعبد الناصر فيها بعض التصرفات التي تمس السادات وجيهان بواسطة مرشد للشرطة وحكمت المحكمة ببراءة المتهمين وإدانة مرشد الشرطة وكانت الدائرة تتكون من المستشار حلمي قنديل والمستشار فؤاد الرشيدي وقد فصلا بناء على تأشيرة عبد الناصر (برة).

- وبعد ذلك مرض عبد الناصر بالذبحة الصدرية وزاره البابا كيرليس وتكلم معه بشأن العفو عن المستشار/ سعيد كامل بشارة وبقية المستشارين المسيحين.

- وتكلم الشيخ أحمد رضوان بشأن بعض المستشارين المسلمين ونجح في إيقاف قرار لعبد الناصر باعتقال ١٢٩ من رجال القضاء.

قرار رئيس الجمهورية رقم ١٦٠٥ لسنة ١٩٦٩

بشأن أسماء أعضاء الهيئات القضائية الذين أبعدوا وعينوا في جهات أخرى

من القضاء والنيابة العامة	الجهة المنقول إليها
•حامد أحمد المراغي	وزارة الصناعة
•عبد اللطيف المراغي	الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة
•سعد أحمد العيسوي	وزارة الصناعة
•محمد بكر شافع (ابن شقيقة الشهيد سيد قطب)	وزارة التموين
•محمود حمدي عبد العزيز عطيه (رئيس المحكمة الدستورية العليا فيما بعد) (ونجل الأستاذ عبد العزيز عطيه عضو مكتب الإرشاد للإخوان المسلمين)	وزارة الصحة
•عبد الوهاب الذهبي	وزارة الزراعة
•عاصم أحمد مصطفى المراغي	وزارة الاستصلاح الزراعي
•عبد السلام حسين حتاته	وزارة العمل
•مصطفى يوسف قرطام	الجهاز المركزي للمحاسبات
•محمد عباس أبو علم	وزارة البحث العلمي
•أحمد مدحت أحمد مصطفى المراغي	وزارة الري

ضحايا مذبحة القضاه



سليم عبدالله سليم

محمد كمال عبد العزيز هاشم

يحيى الرفاعى

على عبد الرحيم حلمى

محمد بكر شافع

ممتاز نصار

عادل عيد

مأمون الهضيبى

•حافظ السلمي	الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة
•عبد المجيد أبو علم	وزارة الإسكان
•السيد حسن البغال	وزارة الشئون الاجتماعية
•حسن عايد أحمد سالم	وزارة التموين
•الدمرداش زكي العقالي	وزارة الصحة
(إخوان مسلمين)	
•محي نصحي نصر فرحات	وزارة الصناعة
•عادل محمد فريد قوره	وزارة الإسكان
•محمد ممدوح البلتاجي	وزارة الخزانة
(وزير السياحة الحالي)	
•محمود رضوان الخولي	الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة
•ابراهيم محمد العشماوي	وزارة الري
•مصطفىعبد الفتاح الطويل	وزارة الشئون
(وفدي نجل عبد الفتاح باشا الطويل وزير العدل)	
•محمد فتحي محمد نجيب	وزارة الأوقاف
•فتحي على السيد لاشين	الجهاز المركزي للمحاسبات
•جمال الدين عزب السيد	وزارة الإدارة المحلية
•أحمد إبراهيم الزهيري	وزارة الأوقاف
•فتحي أحمد السيد الجندي	وزارة الإسكان
•محمد وجيه قناوي	وزارة الأوقاف
•محمد محمد حسين	وزارة الكهرباء

•محمد صفاء عامر	وزارة الأوقاف
•ممدوح الدهشان	وزارة الشئون
•فريد الديب	وزارة العمل
(محامي أخباراليوم) الآن	
•أحمد عبد الفتاح حسن	وزارة الخزانة
(نجل عبد الفتاح باشا حسن الوزير الوفدي)	
•حسن أبو المكارم الزغل	وزارة الأوقاف
•كمال محمد أبو العزم	وزارة الاقتصاد
•يحيى هاشم مصطفى	وزارة استصلاح الاراضي
(عضو الجماعة الاسلامية وقتل بواسطة الشرطة)	

مجلس الدولة

• عبد الفتاح محمود حسن	وزارة الأوقاف
• عبد القادر شتا	وزارة الخزانة
• برهان حسن سعيد	وزارة الإسكان
• عبد الفتاح صقر	وزارة العمل
• محمد أمين العباس المهدي	الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة
• عبد الحميد أباظه	وزارة الاقتصاد

إدارة قضايا الحكومة

- عثمان حسن الديب — وزارة الأوقاف
- أبو النصر الفار — وزارة المواصلات
- شرف الدين حسانين يوسف — وزارة النقل
- يحيى الزيني — وزارة التموين
- محمد سميح يوسف — وزارة المواصلات
- سيد حسين بدر — وزارة العمل
- أحمد كمال الكشكي — وزارة الأوقاف
- محمد أنيس شتا — وزارة الصناعة
- نبيل حسن متولي — وزارة الصناعة
- محمد يحيى صبري أبو علم — وزارة الثقافة

النيابة الإدارية

- على نديم محمود نديم — وزارة الصحة
- حسن حسن عشماوي — وزارة الأوقاف
- عبد الرحمن نوح محسن — الاصلاح الزراعي
  (رئيس هيئة النيابة الإدارية—وعضو مجلس الشورى)
- نادر عبد الدايم — وزارة الكهرباء
- ابراهيم الدسوقي مصطفى — وزارة الصناعة
- شريف برهان نور — وزارة المواصلات
- فتحي أحمد عبد الكريم — وزارة المواصلات
- سمير عبد الوهاب السلاوي — وزارة الإدارة المحلية
- ممدوح رياض علما — وزارة الصناعة

• أبوبكر عبد الظاهر	وزارة النقل
• فتحي عبد الرحمن برهان نور	وزارة النقل
• السيد محمود القويسي	وزارة العمل
• لواء/ عبد الرشيد هاشم الهواري	وزارة الصحة

رجال القضاء المفصولين وأحيلوا للمعاش بقرار من عبد الناصر

١-عادل يونس	رئيس محكمة النقض
٢-محمود توفيق إسماعيل	نائب رئيس محكمة النقض
٣-محمد صبري	مستشار بالنقض
٤-قطب فراج	مستشار بالنقض
٥-محمد ممتاز نصار	‹‹ ‹‹
٦-جمال المرصفاوي	‹‹ ‹‹
٧-محمد محمد محفوظ	‹‹ ‹‹
٨-محمد عبد المنعم حمزاوي	‹‹ ‹‹
٩-محمد صادق الرشيدي	‹‹ ‹‹
١٠-حسين سعد سامح	‹‹ ‹‹
١١-لطفي علي أحمد	مستشار بالنقض
١٢-محمد شبل عبد المقصود	‹‹ ‹‹
١٣-عبد العليم رزق الدهشان	‹‹ ‹‹
١٤-اسماعيل محمد حسن	رئيس محكمة استئناف طنطا
١٥-محمد عبد السلام	رئيس محكمة استئناف القاهرة

١٦-جميل على الزيات	مستشار بمحكمة استئناف القاهرة
١٧-محمد فؤاد الرشيدي	‹‹ ‹‹
١٨-سعيد كامل بشارة	‹‹ ‹‹
١٩-حسن شكري حامد	‹‹ ‹‹
٢٠-محمد أنور حجازي	‹‹ ‹‹
٢١-عبد الخالق أنور رجب	‹‹ ‹‹
٢٢-محمد عبد المنعم أبو الخير	‹‹ ‹‹
٢٣-محمد توفيق عبد الحكم	‹‹ ‹‹
٢٤-عبد الوهاب أبو سريع	مستشار بمحكمة استئناف الاسكندرية
٢٥-عبد الغفار حسني	مستشار بمحكمة استئناف القاهرة
٢٦-محمد رزق	‹‹ ‹‹
٢٧-محمد حلمي قنديل	‹‹ ‹‹
٢٨-عبد اللطيف حسن عبد اللطيف	‹‹ ‹‹
٢٩-أنور عبد الفتاح أبو سحلى (وزير العدل) فيما بعد	مستشار باستئناف القاهرة
٣٠-أديب صبحي	‹‹ ‹‹
٣١-حسين صالح عبد المجيد	‹‹ ‹‹
٣٢-عز الدين سراج الدين	‹‹ ‹‹
٣٣-محمد عبد المنعم الكفراوي	‹‹ ‹‹

٣٤–محمود سالم عبد الحليم	مستشار باستئناف اسكندرية
٣٥–رمسيس مرقص منصور	مستشار باستئناف المنصورة
٣٦–عبد العزيز بسيوني	" "
٣٧–صلاح الدين غزالة	مستشار باستئناف القاهرة
٣٨–محمد توفيق المدني	" "
٣٩–مفتاح عبد الحميد السعدي	مستشار باستئناف طنطا
٤٠–دكتور عبد العزيز عامر	مستشار باستئناف المنصورة
٤١–حافظ فقي	مستشار باستئناف بني سويف
٤٢–عادل برهان نور	مستشار باستئناف أسيوط
٤٣–محمود حسن حمزه	رئيس محكمة القاهرة الابتدائية
٤٤–أنس محمد مرزوق	رئيس بمحكمة القاهرة الابتدائية
٤٥–محمد أحمد خشبة	" "
٤٦–عبد المطلب حسن صبري	" "
٤٧–محمد إبراهيم أبو علم	رئيس بمحكمة القاهرة الأبتدائية
٤٨–على مراد	رئيس بمحكمة الاسكندرية الابتدائية
٤٩–مصطفى كمال توفيق	رئيس بمحكمة القاهرة الابتدائية
٥٠–سليم عبد الله سليم	" "
٥١–محمد كمال عبد العزيز	" "
٥٢–حامد إبراهيم كرسون	رئيس بمحكمة طنطا الابتدائية

٥٣–نور الدين كريم	رئيس بمحكمة الاسكندرية الابتدائية
٥٤–محمود حسني هاشم	رئيس بمحكمة الزقازيق الابتدائية
٥٥–حسن عبد الحفيظ الدفتار	رئيس بمحكمة المنصورة الابتدائية
٥٦–سامي الكومي	رئيس بمحكمة القاهرة الابتدائية
٥٧–محمد جمال أبو شقة	رئيس بمحكمة المنصورة الابتدائية
٥٨–جمال الدين خفاجي	،، ،،
٥٩–فؤاد عبد العزيز خليل	قاضي
٦٠–عبد العزيز حسين	،،
٦١–محمد بسيوني هيبه	،،
٦٢–مرتضى كمال أبو عمر	،،
٦٣–حامد عكاز	،،
٦٤–د. أحمد الحفني	،،
٦٥–محمد بهاء الدين عبد العليم	،،
٦٦–محمود بهي الدين عبد الله(محافظ دمياط فيما بعد)	قاضي
٦٧–أبو الفتوح شلبي	،،
٦٨–عادل عيد	،،

(عضو مجلس الشعب فيما بعد)

٦٩-يحيى الرفاعي	،،
(نائب رئيس محكمة النقض والمحامي القدير ورئيس نادي القضاة)	
٧٠-محمد فاروق توفيق	،،
٧١-حسن غلاب	،،
٧٢-طه فايق غالب	،،
٧٣-محمد أمين طموم	،،
٧٤-محمد ابراهيم خليل	،،
٧٥-وحيد شوقي الشيخ	،،
٧٦-علي حمزه خضر	،،
٧٧-عبد الوهاب الخياط	،،
٧٨-عدلي مصطفى بغدادي	،،
٧٩-مدحت طاهر نور	محامي عام
٨٠-محمود التوني	،، ،،
٨١-أحمد سميح طلعت	،، ،،
(وزير العدل)	
٨٢-حسن السنباطي	رئيس النيابة
٨٣-أحمد فؤاد عامر	،، ،،
٨٤-علي عبد الرحيم حلمي	،، ،،
٨٥-محمد عبد الخالق البغدادي	،، ،،
٨٦-محمد جميل الزيني	،، ،،
٨٧-محمد كمال زعزوع	،، ،،

٨٨–مدحت سراج الدين	وكيل نيابة
٨٩–عاطف الحسيني	" "
٩٠–مقبل شاكر	" "
(رئيس نادي القضاة حاليا)	
٩١–محمود عطيه	" "



≺ ٨ ≻

عبد الناصر وبطانته.... أسـرار وأهـوال

"ومن نوادره أنه كان يحتفظ خلف مكتبه بخزينة حديدية مملوءة بجميع أنواع العملات.. وحكى لي السادات أن أحد الضباط الكبار ...."



بدأ عبد الناصر في شبابه كضابط وطني يهتم بثقافته العسكرية، وتشغله هموم وطنه. وأخذ يعمل ويخطط في صمت وهدوء. فانضم إلى التنظيم السري العسكري لجماعة الإخوان المسلمين وبايع نور الدين وأقسم على المصحف والمسدس أن يعمل على الحكم بالقرآن.. وتتلمذ على يد الشهيد حسن البنا والشهيد سيد قطب.. تحت قيادة عبد المنعم عبد الرؤوف قبل أن يختلفا في الأسلوب الأمثل للتشكيلات السرية. وبعد ذلك قامت الثورة ونجحت.. وخطط عبد الناصر بدهاء للتخلص تدريجياً من كل القوى التي شاركت بالثورة.. وكذلك الشخصيات القوية الهامة من الضباط الأحرار.. حتى أن معظم الذين تولوا المناصب لم يكونوا يوما من الأيام من الضباط الأحرار.. وعلى رأسهم علي صبري الذي وصل إلى منصب نائب رئيس الجمهورية - وخطط فيما بعد بالاتفاق مع الاتحاد السوفيتي ليكون رئيسا للجمهورية... ولكن الله سلم- وكانت نهايته على يد السادات في ١٤ مايو. وكذلك الفريق محمد فوزي الذي رفض الانضمام للضباط الاحرار - وكذلك سامي شرف.

لعب عبد الناصر بالجميع - وضرب قوى الشعب بعضهم بالبعض - وأعدم من أعدم - وقتل من قتل - وسجن من سجن - ونفى من نفى - وأبعد من أبعد. وبقي وحده الجوكر - الذي يحكم بمزاجه الشخصي، ليرضي غروره- ونزعاته الفردية المتسلطة، التي يتحكم فيها حبه الجارف للغدر والانتقام من أقرب أصدقائه، ومتطلعاً إلى زعامة عربية بل عالمية.. جعلته يدخل حرب اليمن الفاشلة التي ضيع فيها جيش مصر، وشبابها، وسلاحها، وغطائها الذهبي بالكامل في البنك المركزي. ثم كانت حرب سنة١٩٦٧ الذي تسببت فيها سياسته الحمقاء، وحساباته الخاطئة، فجرته إلى هزيمة منكرة، دمر فيها الجيش المصري بالكامل،

وفقدت مصر أرضها الحبيبة سيناء، والقدس وغزة والضفة الغربية والجولان. كما فقدت أعز شبابها وأبنائها.

كل هذه الأمور كانت تشغله بالكامل عما يجري من فساد وانحراف لكل معاونيه من نائب رئيس الجمهورية، وقائد عام القوات المسلحة، ومدير المخابرات، ووزير الحربية وغيرهم من وزراء ومسئولين. الذين تفرغوا جميعاً للسلب والنهب من مناصب وقصور وشقق الحراسة والمجواهرات الخاصة تحت الحراسة من الأسرة المالكة وغيرهم.. وتوزيع المناصب الحساسة عل أعوانهم وحوارييهم تحت شعار أهل الثقة لا أهل الخبرة. وتحت شعار الحكم الدكتاتوري الرهيب والمشانق والسجون الحربية والتعذيب الجسدي والفكري.. تحت ستار ذلك كله كان التعتيم الشديد على كل ما يحدث من انحرافات وتجاوزات يشيب لها الولدان.. وتتناقل جموع الشعب بعض أخبارها بالهمس واللمز.. خوفاً من عقاب المسئولين. ومنها الانحرافات الأخلاقية والجنسية.

ولما وقعت الواقعة... واختلف القادة وتقاتلوا.. وقتل عبد الحكيم عامر في ظروف رهيبة، وبعد صراع مرير مع رفيق عمره وتوأم روحه وصهره جمال عبد الناصر... تمت محاكمات تكشفت المخازي الجنسية والمالية والعسكرية.

وانكشفت سرقات الذهب من مصروفات حرب اليمن، وغرق القادة في الانحرافات الجنسية والخلقية أثناء حرب١٩٦٧ التي انتهت كنتيجة طبيعية لكل ذلك إلى هزيمة منكرة - نتيجة جهل القادة، وانشغالهم بملزاتهم، وسوء التخطيط... ودكتاتورية الحكم... والتفرغ للسلب والنهب.

فقد كان قائد جيش عبد الناصر في ذلك الوقت ووزير حربيةّ هو شمس بدران الذي كان يلعب على عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ويوهم كلا منهما أنه رجله الوحيد والمخلص الوحيد له وعينه الساهرة على كل الأمور. وأنه مركز القوة الوحيد في الجيش الذي أصبح في قبضته.. وشمس بدران هذا شخصية عجيبة

في تاريخ حكم عبد الناصر. فقد تعرف به عبد الناصر في حرب فلسطين سنة١٩٤٩. وكان مسئول شئون إدارية، ضابطا كسولا، يقوم من نومه متأخراً.

وبعد قيام الثورة رشحه عبد الناصر ليكون سكرتيراً لعبد الحكيم عامر قائد عام القوات المسلحة وليكون عيناً لعبد الناصر على الجيش وقائده، وكان عبد الناصر دائم الاتصال به. وكان مسئولا عن الشئون الإدارية بمكتب المشير عامر، ومسئولا عن تنقلات الضباط، وحل مشاكلهم الخاصة والوظيفية.

وكان حافظ اسماعيل مشرفا على الشئون العسكرية والتخطيط بمكتب المشير - وكان رجلا عسكرياً مثقفاً وشريفاً ومنضبطاً بمعنى الكلمة - معتزا بكرامته إلى أقصى حد، ولا يقبل أي أنحراف أو أهمال..لذلك كان لابد من أن يترك مكتب المشير لشمس بدران - وانتقل إلى المخابرات ثم إلى الخارجية ثم وزيراً ونائباً لرئيس الوزراء ومستشار الرئيس للأمن القومي في عهد السادات.

وكذلك عمل شمس بدران على التخلص من جميع الرتب الكبيرة والضباط الأحرار في مكتب المشير بتخطيط خبيث وبموافقة ومباركة عبد الناصر. مثل عباس رضوان، وتوفيق عبد الفتاح، وحلمي السعيد وغيرهم. حتى يخلو له الجو.. وقد كان.. وأصبح مركز القوة الوحيد والرهيب في الجيش - نظراً لأن عبد الحكيم عامر كان يصحو من نومه يومياً بعد الظهر، ولا يدخل إطلاقاً في تفاصيل العمل في القوات المسلحة، ومشغولاً بأحواله وملذاته الخاصة.

وكما كان سامي شرف معه ختم عبد الناصر في آخر أيامه - كان شمس بدران معه ختم عبد الحكيم عامر منذ أول أيامه. ينقل من يشاء، ويرقي من يشاء، ويفصل من يشاء، ويسجن من يشاء.. وكان هناك تعبير مشهور عن شمس بدران.. وهو أن أي ضابط صديقه ممكن أن (يخرجه) أو (يشركه) أي ينقله إلى وزارة الخارجية في السلك الدبلوماسي، أو يعينه رئيس مجلس إدارة شركة محترمة. وكانت دفعة شمس بدران هي دفعة محظوظة منها المحافظين والسفراء ورؤساء مؤسسات وشركات محترمة. ويتشرف الضباط بأنهم دفعة شمس.

ومن نوادره أنه كان يحتفظ خلف مكتبه بخزينة حديدية مملوءة بجميع أنواع العملات.. وحكى لي السادات أن أحد الضباط الكبار دخل على شمس يشكو من ضيق حالته المادية.. فقال له أفتح الخزينة التي ورائي وخذ منها عشرين ألف جنيه تفك بيها أزمتك مؤقتا.. وأخذ الضابط المبلغ دون إمضاء أو إيصال... وكان هذا الضابط صديقاً للسادات وهو الذي أخبره بذلك وهو الفريق سليمان عزت.

وأخبرني السادات بأن عبد الحكيم عامر عندما كان نائباً أول لرئيس الجمهورية سافر في رحلة رسمية إلى فرنسا صحبه فيها شمس بدران وعلى شفيق.. وأثناء مراسم توديعه في المطار ذهب بعض أهالي بلدته من محافظة المنيا من صعيد مصر... ذهبوا لتوديعه بجلاليبهم التقليدية.. وفرحوا بمنظر الطائرة.. وطلبوا من شمس بدران أن يتفرجوا عليها من الداخل قبل حضور المشير... وسمح لهم بالصعود للطائرة.. وكانت المفاجأة أنهم رفضوا النزول من الطائرة وصمموا على السفر مع المشير إلى فرنسا. وتأزمت الأمور حتى وصل المشير وصعد إلى الطائرة – وأخبروه بأمر هؤلاء الصعايدة.. فما كان من المشير إلا أن تصرف بشهامة معروفة عنه، وأمر بأن يصاحبوه في الرحلة. ولم تكن معهم جوازات سفر أو ملابس أو نقود... ووصلت الطائرة إلى باريس.. وتم استقبال المشير رسمياً في المطار – وفوجئت سلطات السفارة المصرية في فرنسا، وكذلك سلطات البرتوكول الفرنسي بهؤلاء الصعايدة الذين لم يعمل لهم أي حساب في الأستقبال أو السيارات أو الإقامة أو خلافه.. وعملت لهم إجراءات استثنائية وسريعة وفتح على شفيق سكرتير المشير حقائب النقود والعملات الصعبة بدون حساب لشراء كل طلباتهم كأمر المشير.. واشتروا جميع الدراجات من محل بأكمله.. وملابس.. ومفروشات.. وكانت طائرة المشير تنقل المشتريات إلى القاهرة.. حتى انتهت الرحلة على حساب الدولة دون رقيب أو حسيب.

ولعب شمس بدران على الحبلين.. أوهم عبد الناصر بذكاء ودهاء أنه يعطيه أخبار الجيش وأخبار عبد الحكيم عامر .. وأن الجيش كله في قبضته.. وعمل

لنفسه تنظيماً سرياً في جميع أسلحة الجيش. وأوهم عبد الحكيم عامر بأنه يربط الجيش به.. ليكون مصدر قوة ومصدر ضغط هائل على عبد الناصر وجميع المسئولين في البلد عند اللزوم.

ومارس عبد الحكيم عامر هذه اللعبة عدة مرات، وانتصر فيها على عبد الناصر.. الذي رضى بالهزيمة على مضض.

وقال لي السادات أن شمس بدران كان يكرهه من أعماق قلبه، وكان يكره أن يراه في وئام وصداقة وود مع رفيقه عبد الحكيم عامر الرجل الطيب القلب إلى حد بعيد. وقال لى السادات أنه كان لا يمكن شمس بدران من الاحتكاك به علنا أبداً، لأنه كان يعلم أنه سيكون أمام محكمة غير متكافئة.. وأنه سيكون الخاسر دائماً.

حتى أن السادات قال لي أنه لاحظ أن عبد الناصر وعبد الحكيم عامر كانا يختلفان كثيراً – وكانا دائما يحتكمان إلى شمس بدران.. ووصل الأمر أن الثلاثة عبد الناصر، وعبد الحكيم عامر، وشمس بدران – كانوا أحيانا ينامون في غرفة واحدة في رأس الحكمة أو برج العرب عندما كانت تجمعهم الظروف لتسوية أي خلاف أو أي مشكلة.

وأخبرني السادات أن علاقة شمس بدران وسامي شرف كانت سيئة للغاية دائماً، وكان شمس بدران يدس لسامي شرف عن عبد الحكيم عامر، وكان سامي شرف يدس لشمس بدران عند عبد الناصر.

وكان شمس بدان يغدق على رجال تنظيمه بالقوات المسلحة بالأموال والمكافآت والمهمات بالخارج وخلافه – وعلم بذلك سامي شرف وكان لسامي شرف أيضاً تنظيم سري خاص به. فكلف سامي شرف أحد مساعدي محمد أحمد سكرتير عبد الناصر – وهو الضابط فؤاد عبد الحي التحري سراً عن هذا التنظيم السري الخاص بشمس بدران. وسافر فؤاد عبد الحي إلى الاسكندرية.. ودردش مع أحد أفراد هذا التنظيم وكان في الأصل (صول)... الذي أخبر شمس بدران

الذي قام بإبلاغ المشير عامر فثار ثورة عارمة.. وتكلم مع عبد الناصر، وعاتبه عتابا قاسياً ومهدداً ومتوعداً لسامي شرف. الذي عرف بالمكالمة فوراً.. فخاف من تضخم الأمور - ودخل المستشفى بحجة عمل عملية جراحية - حتى تهدأ الأمور.

وكان شمس بدران يجهل الأمور العسكرية - وكان مرتبطا بصلاح نصر قائد المخابرات العامة وينسق معه في كل الأمور. وصلاح نصر هو الذي عرف برلنتي عبد الحميد بعبد الحكيم عامر. وهو الذي قام بعملية زواجهما من وراء ظهر عبد الناصر ودون علمه.

وكانت برلنتي عبد الحميد طالبة وكان استاذها مصطفى هيكل (نجل شقيق الدكتور محمد حسين هيكل باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين أيام الملك فاروق). وكان شيوعياً، وأخذت عنده دروس لغة فرنسية وأعجب بها إعجاباً شديداً.. وأخذها معه في اجتماعات الخلايا الشيوعية السرية. وبدأت تسمع عن الأفكار والتعبيرات الماركسية - حتى توصلت إلى المركز الثقافي السوفيتي والسفارة السوفيتية. ومن هنا عرفها صلاح نصر.. وسافرت إلى فرنسا وراء مصطفى هيكل.. ولكن لم يتم زواجهما... وتزوجت من المشير عبد الحكيم عامر..

وفي أحد الأيام كانت هناك سيدة مجتمع معروفة لها شقة في باب اللوق بالقاهرة - ويرتادها بعض كبار المسئولين في الدولة في سهرات خاصة.. وقد وجدت هذه السيدة منشوراً تحت باب الشقة مكتوب فيه أن عبد الحكيم عامر تزوج من برلنتي عبد الحميد فأعطت هذا المنشور لشخص يسمى علي عبد اللطيف كان وكيلا لمجلس محلي بالقاهرة وكان عضوا بالتنظيم الطليعي السري لعبد الناصر - ووصل المنشور إلى على صبري الذي عرضه على عبد الناصر...وذهل عبد الناصر وطلب شعراوي جمعه وزير الداخلية وكلفه بعمل تحريات سرية ودقيقة وسريعة عن طريق اللواء حسن طلعت مدير مباحث أمن الدولة - وبعيداً عن مخابرات صلاح نصر صديق المشير وتأكد الخبر - وكتمها

عبد الناصر في نفسه حتى وفاة المشير - وأخبر السادات بذلك في حينها - ولكن السادات الذي كان يعلم لم يخبر عبد الناصر أنه يعرف.

وكان عصام خليل الضابط المسئول عن صاروخي القاهر والظافر.. كان يعلم بهذا الزواج - وكان من رجال المشير المقربين - وهو الذي كان يؤجر الفيلات السرية لعبد الحكيم عامر وبرلنتي عبد الحميد - وقامت شقيقته الدكتورة إيزيس محمود خليل طبيبة أمراض النساء بعملية الولادة سراً لبرلنتي عبد الحميد وأنجبت ولداً هو عمرو ويعمل الآن جراحاً في هيئة التدريس بكلية طب قصر العيني.

وشمس بدران هو الذي صعد قضية كمشيش على أنها معركة إقطاع بين عائلة الفقي والفلاحين - وقد كان هذا كذب واختلاق.. وكان السادات متعاطفاً مع عائلة الفقي - وتكلم ابراهيم بغدادي مع عبد الناصر تليفونياً من برج المنوفية بقويسنا لأن تليفونه كان مراقباً. وأخبر عبد الناصر بأن الموضوع لا صلة له إطلاقاً بالإقطاع وأنها جريمة ثأر عادية - وكتب كمال الشاذلي أمين عام الاتحاد الاشتراكي بالمنوفية ومعه اللواء مصطفى علواني مدير الأمن أن الموضوع هو إقطاع.. ورفع تقريرهم لعبد الناصر ولكن عبد الناصر كان مغلوبا على أمره من المشير عامر... وكانت هذه أحدى المعارك التي انتصر فيها عامر على عبد الناصر بمساعدة نفوذ شمس بدران وقوته.

حتى أن عبد الناصر عندما علم بواقعة الاعتداء على شيخ المعهد الديني بقويسنا بواسطة المباحث العسكرية - هذا الاعتداء المهين الشائن الذي ثارت فيه ثائرة مشايخ الأزهر - وأمر عبد الناصر بتشكيل مجلس عسكري للتحقيق مع ضباط المباحث العسكرية. ومحاكمتهم - وصدرت ضدهم أحكام سجن وعزل من الخدمة - ولكن عبد الحكيم عامر وشمس بدران أوقفوا تنفيذ هذه العقوبات رغما عن عبد الناصر. ولم يحاكموا إلا في عهد السادات ونفذت فيهم أحكام محكمة الجنايات المدنية. وهي بالسجن.

وفي أحداث ٩، ١٠ يونيو سنة١٩٦٧ عندما اتفق عبد الناصر مع عامر على التنحي سوياً ورشح عامر شمس بدران رئيساً للجمهورية ووافق عبد الناصر - وطلب من عبد الحكيم عامر كتمان الأمر - ولكن عامر أخبر شمس بدران الذي طلب غريمه سامي شرف على الفور - وقال له بالحرف الواحد لم أوراقك وأرحل فقد أصبحت رئيسا للجمهورية - وليس لديك مكان عندي - فقام سامي شرف على الفور بإخبار عبد الناصر. الذي غضب غضباً شديداً من المشير.

وحكم بعد ذلك على شمس بدران بالسجن المؤبد في قضية عبد الحكيم عامر الشهيرة، ولكن السادات بعد توليه - أمر بالإفراج عنه وأعطاه جواز سفر دبلوماسي - وأمر ممدوح سالم بتوصيله حتى الطائرة وودعه وسافر إلى لندن - وهو يعيش فيها حتى الآن. وبعد أن لعب على كل من عبد الناصر وعامر كانت نهايته في صف عبد الحكيم عامر. وأراد السادات أن يتخلص منه لأنه حسب تفكيره - وجده فقد كل شئ وسجن ومن الممكن أن يتكلم أو ينبش الماضي في أي وقت وبأي وسيلة. وقد يكون ذلك مصدر قلق دائم للسادات الذي كان يريد أن يتفرغ لمشاكل الحكم دون عكننة - خاصة وشمس بدران يعلم الكثير من الأسرار - وعن أنور السادات بالذات - وقد ينشر أو يذيع بعض الأسرار الحقيقية أو الكاذبة. التي تسئ إلى السادات. وقد شارك أحد الإنجليز في مشروع تربية مواشي ودواجن بمبلغ كبير في أحد ضواحي لندن - وخسر معظم مدخراته - وأخذت الخسائر تتوالى عليه مع كثرة مصاريفه واختلف مع زوجته السيدة منى التي تركته وعادت إلى مصر ودخلت معه في إشكالات قضائية انتهت بالانفصال - وهو الآن في حالة مادية ونفسية سيئة كما يحكى عنه أصدقاؤه.

وقد كانت لجان تصفية الإقطاع على مستوى الجمهورية هي فكرة عبد الناصر وعلى صبري وكلف بها المشير عبد الحكيم عامر وبالطبع شمس بدران. وكذلك عملية محاكمات واعتقالات الاخوان المسلمين سنة١٩٦٥ وبذلك سحبوا السجادة من تحت قدمي شعراوي جمعه وزير الداخلية.

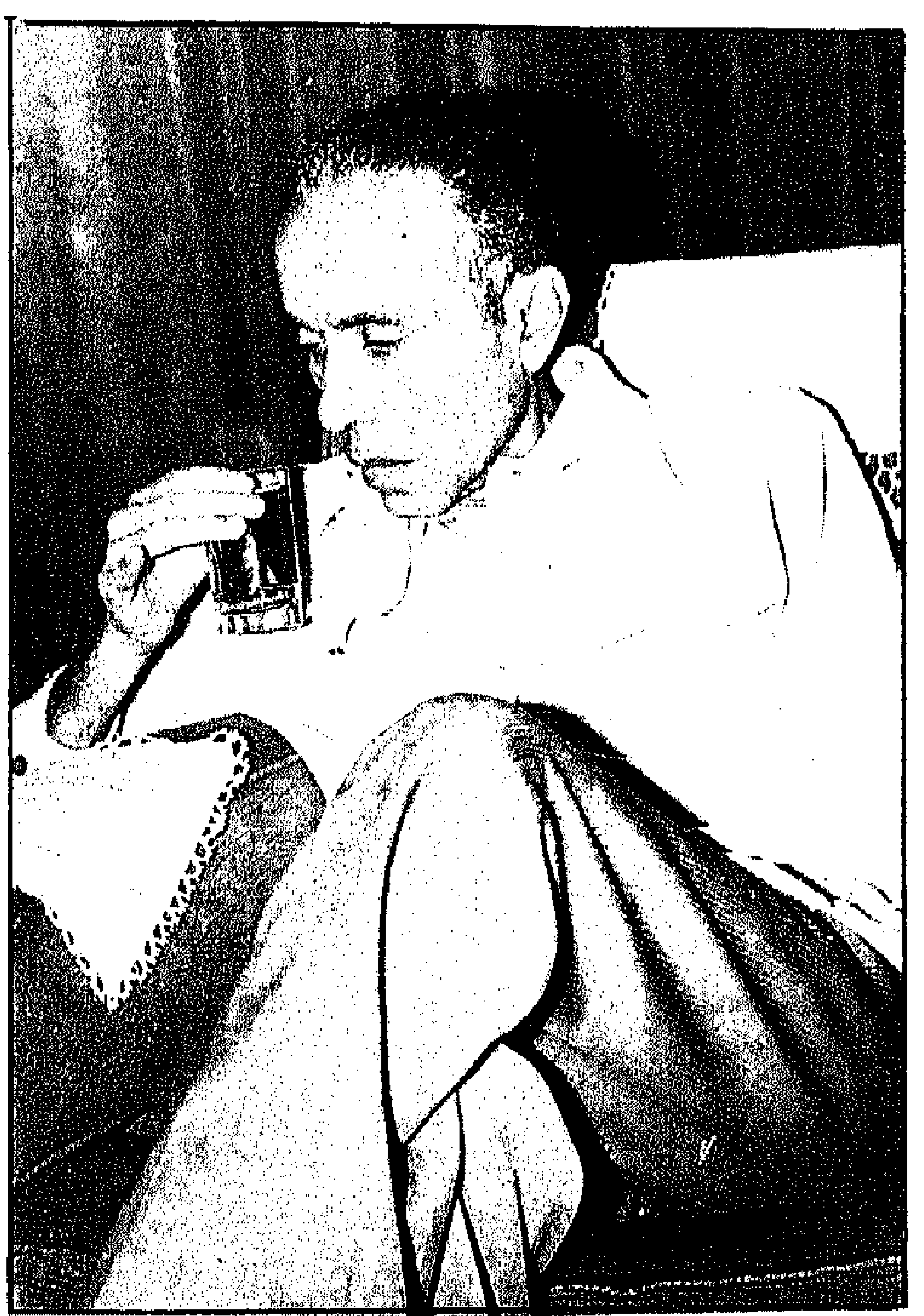
وانفردت المباحث العسكرية بعمليات القبض والاعتقال والمحاكمات.

وأثناء هزيمة سنة١٩٦٧ ذهب شمس بدران قبلها إلى الاتحاد السوفيتي ونقل إلى عبد الناصر أنباء كاذبة من القيادة السوفيتية بتشجيع عبد الناصر على ضرب اسرائيل ووعدهم بمساندته إلى أقصى حد حتى بالقوات.. وتبين فيما بعد أن شمس بدران كان من الغباء والرعونة حتى أنه لم يفهم بدقة الوعد السوفيتي. وكلف هذا مصر الكثير. وذهب إلى عبد الناصرفجراً وهو وزير حربية ببيانات خاطئة عن خسائر الطيران - ولكن عبد الناصر فاجأه بأن السفير الروسي أخبره بأن سلاح الطيران المصري قد دمر بالكامل - فما كان من شمس بدران إلا أن قال لعبد الناصر أنه يقترح انسحاب الجيش المصري من سيناء فوراً لتأمين النظام وتأمين شخص عبد الناصر - ورد عليه عبد الناصر بالموافقة قائلا تصدق يا شمس. وكان ما كان من الانسحاب الأليم والخسائر الفادحة في الأفراد والمعدات. وكان هذا نتيجة سوء التخطيط وجهل القيادات العسكرية من أمثال شمس بدران الذي تفوق فقط في الفساد واستغلال النفوذ وجرائم تعذيب المواطنين الأبرياء في السجون الحربية حتى أنه اعترف لصديقه الضابط عبد الحميد شديد محافظ الدقهلية السابق في مأدبة رمضانية على الفطور عندما حضر متأخراً أنه قتل شابين شقيقين طلاب في الجامعة وهم أبناء شقيقة الشهيد سيد قطب من عائلة شافع - نتيجة تعذيبهم بيديه.. في شهر رمضان المبارك.. وأثناء الإفطار يسأل أصدقاءه بكل غباء وبلاهة هل قتل هؤلاء من التعذيب بيديه حرام؟؟..

هذا هو وزير حربية مصر وقائد جيشها في هزيمة سنة١٩٦٧ النكراء أمام اسرائيل..

وهذه هي قيادات الدكتاتور العظيم والزعيم الملهم جمال عبد الناصر.. في عهده الملطخ بالدماء والدمار. وهذا هو عبد الناصر الذي حرق القاهرة في ٢٦ يناير سنة١٩٥٢ قبل قيام الثورة ووصف هذا الحريق في خطبة له بعد قيام الثورة بأنها انتفاضة شعبية وطنية.. وقد ثبت أن المادة التي استعملت في الحرائق بعد

تحليلها كيماوياً هي المادة الوحيدة الموجودة فقط في مخازن القوات المسلحة المصرية وقد سرقها عبد الناصر ووضعها بنفسه في عزبة لمرحوم الأستاذ حسن العشماوي عضو مكتب الإرشاد للإخوان المسلمين في محافظة الشرقية - وذكر لي المرحوم الفريق عبد المنعم عبد الرؤوف أن حسن عشماوي أخبره بأن عبد الناصر أخذ هذه المادة الحارقة من العزبة قبل حريق القاهرة بيوم واحد - وأنه أخذ يجوب شوارع القاهرة أثناء الحريق في سيارة المرحوم حسن عشماوي وهي ستروين سوداء - وكان في قمة سعادته. وبعد الثورة أتهم أحمد حسين زعيم مصر الفتاة ظلماً بحريق القاهرة وسجنه.



العيد الكبير شتاء ١٩٧١
أخر صورة لحسن العشماوى
ليلة وفاته بالكويت

وكذلك قام عبد الناصر بسرقة أسلحة أتوماتيكية من الجيش قبل الثورة وقام بنفسه بإطلاق الرصاص على اللواء حسين سري عامر قاصداً قتله قبل الثورة. ولكنه نجا بأعجوبة.

كذلك قام بتفجير بعض القنابل في شوارع القاهرة أثناء أزمة مارس الشهيرة واعترف بذلك لعبد اللطيف بغدادي - لإرهاب الشعب وإشعاره بأنه في حاجة إلى حماية. تمهيداً للحكم الدكتاتوري وإلغاء الديمقراطية.

وهو الذي دبر عملية ضرب الدكتور عبد الرازق السنهوري رئيس مجلس الدولة في مكتبه - وقام بفصل عدد من المستشارين بمجلس الدولة.

وهو الذي دفع الرشاوي لصاوي أحمد صاوي رئيس اتحاد العمال عن طريق معاونيه لعمل مظاهرات من العمال تهتف بسقوط الديمقراطية وسقوط السنهوري ومجلس الدولة ونقابة المحامين - والمطالبة بالحكم العسكري المطلق.

وكان لعبد الناصر مدير مكتب في يوم من الأيام وكان من أحب معاونيه إلى قلبه وأنظفهم وأخلصهم - وهو المرحوم أمين شاكر الذي عين بعد ذلك سفيراً في بروكسل ثم وزيراً للسياحة وكان من الضباط الأحرار فقد ذكر له السفير الروسي ببروكسل وكان صديقاً له واقعة خطيرة - إذ أخبره بأنه كان يعمل في مكتب المخابرات السوفيتي - وأن جهاز المخابرات السوفيتي يدفع مرتبات شهرية لكل من علي صبري، وشعراوي جمعة، وسامي شرف وصلاح نصر.. نظير تعاونهم مع الاتحاد السوفيتي.. وطار أمين شاكر إلى القاهرة وأخبر عبد الناصر بهذه الواقعة وقال له إنك تسمع وترى وتتكلم بعيون وأذن ولسان موسكو... ولم يفعل معهم عبد الناصر شيئاً - ولم يتخذ معهم أي إجراء.

وفي عهد عبد الناصر كانت هناك حملة إعلامية ضخمة في أوروبا وباريس أن ثورة ٢٣ يوليو بمصر هي انقلاب وليست ثورة وأن نظام حكم عبد الناصر ديكتاتوري ولا يحترم الحريات ولا الديمقراطية فقام عبد الناصر بدعوة جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار سنة١٩٦٦ لزيارة مصر ولزيارة كمشيش - وكان هدف عبد الناصر من دعوتهما هو أن يريا أن هناك مثل للثورة الفرنسية في مصر بمحاربة الإقطاع.. ورتبت مظاهرات مصطنعة في كمشيش من الشيوعيين بقيادة شاهندة مقلد زوجة صلاح حسين قتيل كمشيش الشهير - وكانت هذه

المظاهرات في استقبال سارتر وسيمون دي بوفوار ليثبتوا لهما أن النظام عمل ثورة حقيقية للقضاء على الإقطاع - ووجدوا في كمشيش نموذجاً حيا لطبقة سقطت وهي عائلة الفقي - وأن طبقة أخرى ظهرت وهي طبقة الفلاحين الأجراء - وأن هناك ضحية ودماء (صلاح حسين). وعمل هذه الزيارة فرشة إعلامية داخلية وخارجية كبيرة وفي فرنسا وفي مجلات اليسار هناك - واستقبلهما عبد الناصر واحتفى بهم احتفاءاً كبيراً. ومن مصر اتجها إلى إسرائيل وهناك صرح سارتر بأنه لابد من مصالحة بين الحقوق الفلسطينية وحقوق الشعب اليهودي في جميع خطاباته وبياناته نتيجة لهذه الرحلة.

ومما يذكر أن سيارات السفارة السوفيتية وعليها أرقامها الدبلوماسية كانت تذهب علنا إلى كمشيش وبعلم كل سلطات الدولة بما فيهم عبد الناصر - وكانت تتجمع جميع القوى الشيوعية والناصرية وأعضاء التنظيم الطليعي بالمسئولين في السفارة السوفيتية لتحريضهم على الثورة حتى وصل بهم الأمر إلى احتلال مركز شرطة كمشيش وطرد قوات الشرطة في البلدة واحتلال كل مرافق الدولة الحيوية ومكتب هيئة الاستعلامات وقد كان جمال عبد الناصر مليئا بالحقد الدفين على العائلات الكبيرة والثرية في مصر - وقد كانت هذه دائما عقدة حياته. طوال أيام حكمه.

ويذكر أنه عند قيام ثورة ٢٣يوليو قام مكتب المخابرات المركزية الأمريكية C.I.A بكتابة تقرير عن ضباط ثورة ٢٣يوليو أنهم كولونيلات ضد الشيوعية Anticommunict وانهم في مصلحة الغرب ولابد من مساندتهم. ولكن دالاس بسياسته الغبية رفض تمويل السد العالي - ورفض إرسال القمح لمصر - ورفض إعطاء مصر السلاح للجيش. كل هذه السياسات أثرت على نفسية عبد الناصر تجاه الامريكان.. وتحول عنهم ١٨٠ درجة واتجه إلى الاتحاد السوفيتي الذي انتهز الفرصة السانحة التي جاءته على طبق من ذهب - وبادر القادة السوفيت بتلبية كل طلبات عبد الناصر التي رفضها الأمريكان. وكانت هذه هي نقطة التحول

الخطيرة في سياسة عبد الناصر - وكانت بداية السياسات الجديدة في منطقة الشرق الأوسط والمنطقة العربية. وكانت غلطة التاريخ الخطيرة في السياسة الأمريكية وغباء حكامها المطلق.

واستمرت سياسة التعاون بين عبد الناصر والسوفيت تسير وتنمو مر الأحداث والسنين - مع زيادة ونمو العداء بينه وبين الأمريكان وحدثت حروب بين مصر واسرائيل كان انحياز الأمريكان كاملاً وعلنيا وواضحا.. حتى أن عبد الناصر وصل تفكيره وطموحاته إلى درجة خطيرة حين عرض على قيادات الاتحاد السوفيتي بصراحة أن تنقلب مصر إلى دولة شيوعية بالكامل مرتبطة بحلف وارسو وكذلك تتبع الاتحاد لسوفيتي بالكامل.. ولكن العجيب أن عبد الناصر عندما عرض هذا الطلب على بودجرني وناقشته قيادة الاتحاد السوفيتي. انتهوا إلى قرار حاسم برفض طلب عبد الناصر خوفاً من زيادة الأعباء على الاتحاد السوفيتي نتيجة لمشاكل مصر الدولية التي قد تجر على الاتحاد السوفيتي مشاكل سياسية واقتصادية وعسكرية - وقد فاتح عبد الناصر بعض أصدقائه وحوارييه في مصر قبل طلبه من الاتحاد السوفيتي هذا الطلب.

وأكثر من ذلك فإن عبد الناصر في آخر أيامه - وبعد ذلك أن حاصرته المشاكل من كل جانب - وأصبح محاصراً حصاراً سياسياً وفكريا واقتصاديا - وأصبح يراجع حساباته - راودته نفسه وصارح أصدقاءه في مصر أنه اقتنع اقتناعا كاملا أنه لابد أن يسعى إلى الصلح مع إسرائيل وعمل معاهدة سلام معها. ليتفرغ لمشاكل البلد الداخلية التي تراكمت وتضاعفت وساءت حالة مصر الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. وتكلم مع تيتو في هذا الرأي وطلب منه بداية الاتصالات ولكن القدر لم يمهله.

بل إن عبد الناصر في اجتماع سياسي مع بعض القيادات اتجه إلى سيد مرعي قائلا إن هزيمة سنة١٩٦٧ وسوء حالة البلد وانهيارها هو بسبب المعتقلات والسجون والأجراءات الاستثنائية ولجان تصفية الإقطاع والحراسات ومذبحة

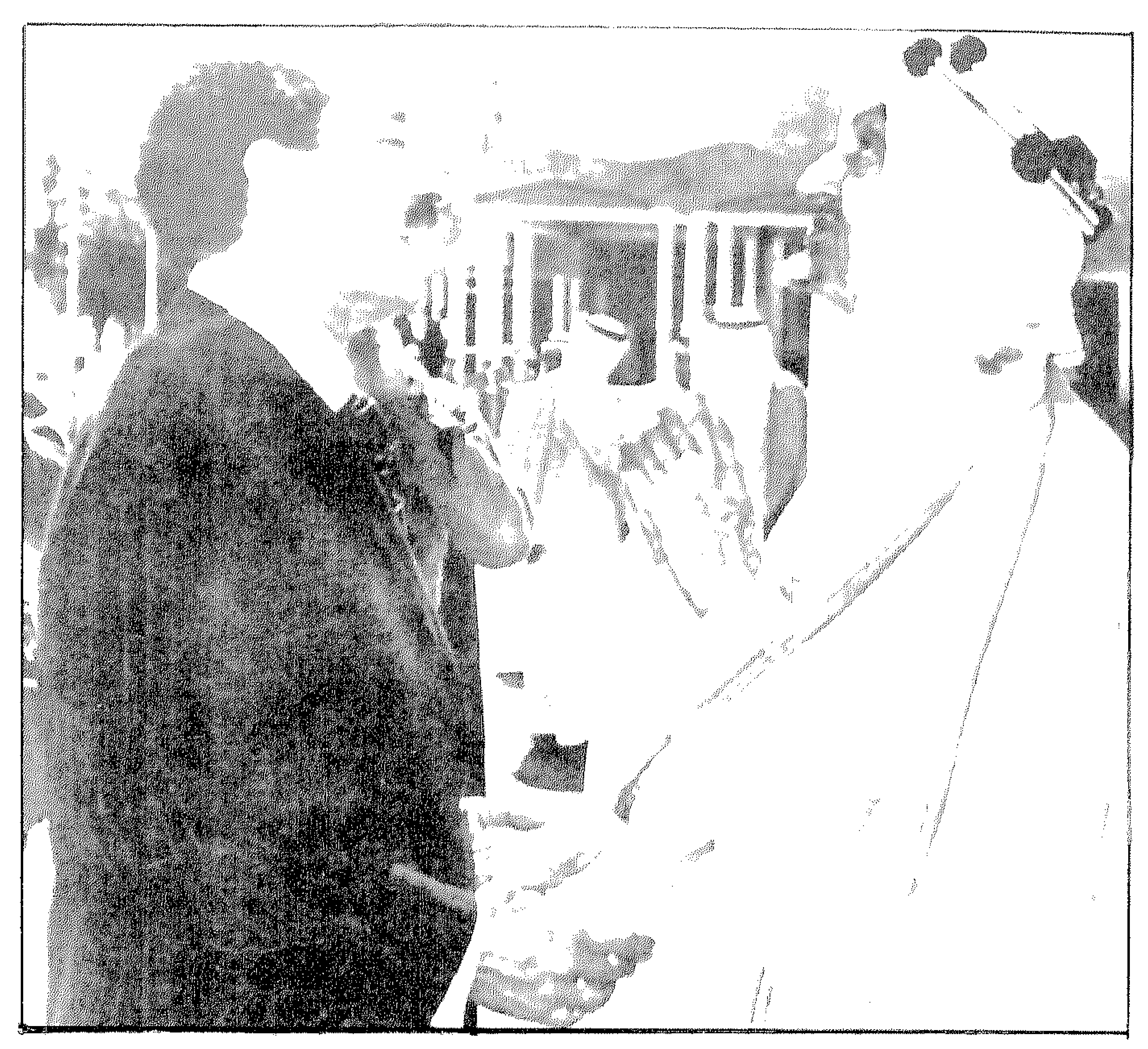
القضاء وغيرها - وقال أمام الجميع في الاجتماع لابد من إلغاء كل هذه التجاوزات فوراً لإصلاح حال البلد.

بل وارسل إلى المستشار مقبل شاكر رسولا يطلب منه إعداد مشروع قانون من مادتين لإعادة رجال القضاء المفصولين ولكن ذلك كان قبل وفاته بيوم واحد.

ولا أرى سبباً لتلك الظاهرة الفريدة في شخصية عبد الناصر المعقدة - وهل هي صحوة ضمير مات مدة طويلة، أم هي صحوة الموت..

وقد تلقى عبد الناصر درساً بليغاً بعد هزيمة سنة١٩٦٧ عندما عقد مؤتمر القمة العربي في الخرطوم - وفوجئ عبد الناصر بالرجل العظيم المؤمن وهو الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية طيب الله ثراه عندما وقف بكل شموخ وإيمان وعظمة ويفاجئ الجميع بأنه لابد من الوقوف بكل قوة وبكل الامكانيات بجوار مصر وقائدها عبد الناصر ولابد من اتخاذ الاجراءات الايجابية الفورية لمساعدتها مادياً وسياسياً. وكان ذلك أمام عبد الناصر الذي كان أشبه بالفأر في المصيدة وكان قزما كبيراً أمام شموخ الملك فيصل الذي طالما تطاول عليه عبد الناصر في خطبه بألفاظ غاية في التدني والانحطاط.. مثل أحنى نشيل شعر ذقنه، وعبادات يندي لها جبين كل حر أو كل مسلم.

رحم الله الملك فيصل الذي كان رجل المواقف بالنسبة للأمة العربية والاسلامية - ولن تنسى له مصر أبداً أنه فتح باب مملكته لجميع المصريين الذين هربوا من مصر أيام حكم عبد الناصر الإرهابي الدكتاتوري - وهربوا من مشانقه سجونه الحربية - وفتح لهم فيصل بلاده وقلبه وبيته وآواهم وآمنهم ووظفهم ورعاهم رعاية كاملة - أجزل الله ثوابه وأدخله فسيح جناته جزاء ما قدم.



السادات والملك فيصل والدعاء بالنصر قبيل حرب أكتوبر.

ولن تنسى مصر أبدا وقفته مع السادات في حرب اكتوبر بأنه استعان بسلاح البترول في مواجهة مخططات العدو الاسرائيلي ومن ساندوهم من الامريكان حتى أن برميل البترول زاد ثمنه من ٤ دولار إلى ٤٢ دولار. وبعد الثغرة لم يهدأ للصهيوني هنري كيسنجر بال حتى خطط مع اليهود سياسة بعيدة المدى- لم ينتبه لها الساسة العرب في منطقة الخليج والدول العربية - وذلك لإجهاض سلاح البترول كمصدر قوة في السياسة العربية - وخططوا لحرب العراق مع إيران - ثم حرب العراق والكويت.. وحصار العراق وليبيا وخلافه. حتى أصبح سلاح البترول وأمواله وقدراته أسيرة للأمريكان واليهود وإسرائيل...

أما شارل ديجول فقد كان بقوته السياسية العالمية، وذكائه المفرط عنصراً هاما للوقوف بجانب مصر وبجانب عبد الناصر في محنته. وهو الذي دعا السيدة أم كلثوم لعمل حفلة غنائية بباريس بعد هزيمة سنة١٩٦٧ يخصص دخلها لمساعدة مصر.

واتصل بعبد الناصر وقال له أنه قال لمتعهد الحفلة أنه مستعد لدفع ثمن كل تذاكر الحفلة من المصروفات السرية في حالة عدم حجز كل التذاكر. ونجحت الحفلة نجاحاً باهراً ونفذت كل التذاكر واشتراها جميع العرب المقيمين بباريس حبا وتقديراً لمصر وشعبها وجيشها.

ويذكر أن أحد المغاربة هجم على أم كلثوم أثناء غنائها على المسرح وقبل أقدامها..

واحتفلت بها السلطات الفرنسية احتفالا عظيماً تقديراً لمصر وشعبها. ولكن السفير عبد المنعم النجار سفير مصر في باريس رفض استقبالها بالمطار - وكان رد أم كلثوم على ذلك أنها اعتذرت عن حفل غداء أقامه السفير على شرفها قبلها بساعتين فقط.. مما سبب له إحراجاً شديداً وشكته لعبد الناصر الذي نقله فوراً. رغم أنه قبل ذلك لم يوقع مع المبعوثين المصريين في باريس على وثيقة تأييد لعبد الناصر عند تنحيه في ٩يونيوسنة١٩٦٧. ولم يتخذ معه أي إجراء. فقد كانت أم كلثوم في صداقة وطيدة مع عبد الناصر وأسرته وكانت كثيراً ما تذهب إلى منزله في المساء وتتناول العشاء من الجبن مع عبد الناصر وأسرته. بخلاف السادات وجيهان الذين كانا يكرهان أم كلثوم وكان شعوراً متبادلاً. وفي إحدى المرات قالت أم كلثوم للسادات أمام جيهان.. (يا أبو الأناوار).. فنهرتها جيهان وقالت لها لاحظي أنك تكلمين رئيس جمهورية - وحدث ما حدث.

ومات عبد الناصر عن ٥٢عاماً - حزيناً منكسراً متداعياً ومنهزماً وترك تركة مثقلة بالهزائم والخطايا والانحرافات والخيانات والفضائح فجرتها محاكمات أعوانه ووثائقه وخزائنه... وحقائق قيلت وأذيعت، وحقائق طويت وغيبت ولكن ليس كل ما يعرف يقال...

وأتذكر في هذه المناسبة أنني ذهبت إلى مكة بصحبة المرحوم الشيخ عبد الحليم محمود والشيخ محمد خليل الخطيب والشيخ محمد متولي الشعراوي وتناولنا الغداء في منزل العالم الاسلامي الكبير الشيخ العلوي المالكي وسألت الشيخ محمد

أمين الكتبي أحد كبار العلماء وكـان يطلق عليه أنه قطب الوقت سألته أمام الجميع عن حقيقة عبد الناصر.. فقال لي يا ولدي دعه فقد مات وهو الآن بين يدي الله عز وجل.. فأصررت على سؤالي وقلت له إنني أبغي الحقيقة، فقد اختلطت علينا الأمور والآراء... فرد قائلا بعد صمت وتأمل.. يا ولدي أقول لله أنه بموته ماتت فتن كثيرة.. وقد تمر مئات الأعوام قبل أن يأتي الزمان برجل مثله في شروره وفتنه ومظالمه.. وقد حكيت هذه الواقعة للرئيس السادات بعد عودتي – فضحك كثيراً.. وكأنه فرح.. وقال لي مازحاً مش مكفيك الأحياء ورايح تبحث عن الأموات في مكة.

وأذكر أن عبد الناصر حضر لزيارة السادات في ميت أبو الكوم عندما كان نائباً له وأحضر معه معمر القذافي قائد الثورة الليبية وزار مصنع غزل شبين الكوم – ثم تناولوا الغداء ومعهم بعض أعضاء مجلس الثورة الليبية في قرية السادات – وفي ذلك اليوم تقدم عمر المحيشي وزير الصناعة الليبي وعضو مجلس قيادة الثورة لخطبة لبنى كريمة السادات – ولكن السادات رفض رفضاً باتا – وأخبرني بعد ذلك أن السياسة ليس فيها كبير – وسبق أن تقدم أحمد بن بيلا رئيس الجزائر للزواج من إحدى كريمات الرئيس عبد الناصر ولكنه رفض.

وقال لي أنه كثيراً ما كان ينصح إبنه جمال السادات بألا يشتغل بالسياسة على الإطلاق – ولا زال جمال يعمل بنصيحة والده.

وكان السادات بعيد النظر – فقد اختلف عمر المحيشي ضابط الثورة الليبية بعد ذلك مع معمر القذافي – وهرب إلى مصر أيام السادات ثم إلى المغرب – وعند توجهه من المغرب إلى المملكة العربية السعودية لأداء فريضة الحج – تمكن معمر القذافي من الاتفاق مع حكومة المغرب على إنزال الطائرة التي بها المحيشي في طرابلس – وصعد القذافي ومعه عبد السلام جلود إلى الطائرة – وتسلما بنفسهما عمر المحيشي وأنزلوه وأعدموه رمياً بالرصاص.

والسياسة ليس لها أمان على الإطلاق.

﴿ ٩ ﴾

الدرس الذي وعاه السادات عن عبد الناصر

" وبعد أن غادر السادات منزلي في الثانية صباحاً، قبضوا على الطباخ والسفرجي..."

في وقت من الأوقات أحس السادات. أن صحة جمال عبد الناصر، بدأت تتدهور، وأنه لابد أن يكون جاهزا لتولى شئون الحكم، فبدأ يرتب لاجتماعات مع رموز وممثلي مختلف القوى السياسية الغاضبة .

وكان السادات، قد حاول، مبكراً، تحقيق مصالحة تاريخية مع الإخوان، الذين كانوا في خصام وقطيعة كاملة مع الدولة. ولكن هذه المصالحة لم تكتمل، لأن أمرها قد أُكتشف في وقت مبكر.

وقد كلفني السادات، بإجراء اتصالات مع ممثلي تلك القوى، ومع رموزها، وأبلغني انه أخبر عبد الناصر، بما سوف يقوم به من اتصالات. وقد كان السادات، كما قال لي يومها، لا يؤمن بالخطب الرنانة. والمؤتمرات الشعبية، وإنما كان يفضل أن يتصل مباشرة بمختلف القوى السياسية، التي يريد الاتصال بها. في جلسات مغلقة

وبالفعل، تم تنظيم عدة لقاءات، منها خمسة لقاءات في منزلي في طنطا، ولقاء في منزل الدكتور هاشم نصار، عميد طب الإسكندرية، وقتها، ولقاءات أخرى حضرها السادات في كل من المنصورة ومرسى مطروح والقاهرة.

وقد شارك في تلك اللقاءات، بالحضور أسماء وأعداد كبيرة، من بينها: لاشين أبو شنب القيادي الإخواني المعروف، والدكتور احمد سيد درويش، الذي عينه السادات فيما بعد وزيرا للصحة، والدكتور نعيم أبو طالب، والدكتور كامل صديق الذي عين فيما بعد محافظاً للجيزة، ود.عصمت زين الدين أستاذ كلية الهندسة وزعيم الحركة الطلابية في جامعة الإسكندرية، وغيرهم.. وغيرهم، وكلها

أسماء كانت تمثل تيارات وقوى سياسية، تختلف فيما بينها، كما تختلف ألوان الطيف.

كانت الاجتماعات تستمر في منزلي، إلى الواحدة صباحاً، تقريباً، وكان السادات يحضر بسيارة عبد الناصر، وقد كانت السيارة الوحيدة، وقتها، المزودة بتليفون، ولاسلكي من الخارج يميزها. كان عبد الناصر في زيارة للسودان، وكان السادات يستخدم سيارته، حتى يمكن الاتصال به، في أي وقت، لأنه كان رئيس الجمهورية بالإنابة.

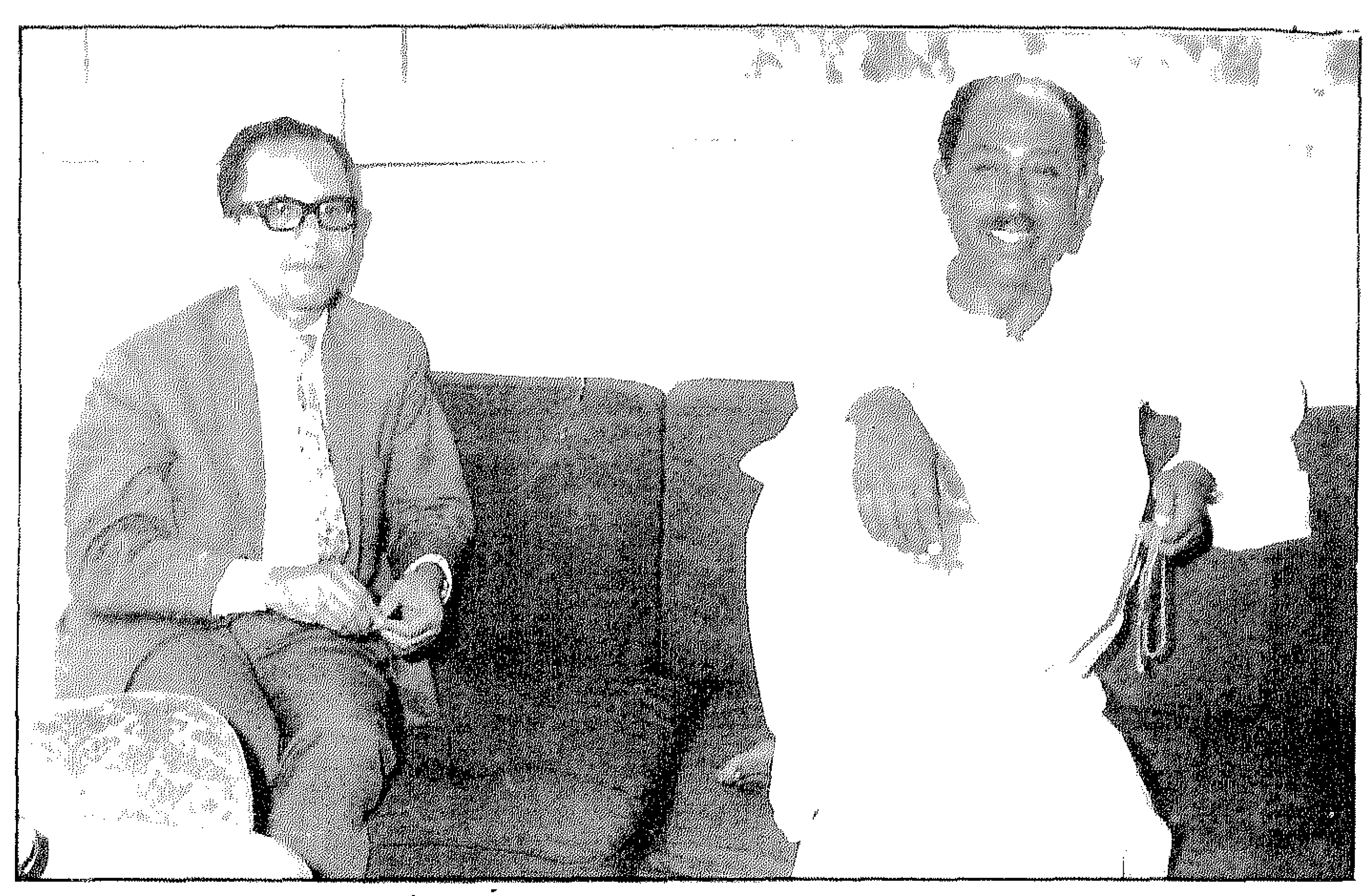
وقد تصادف أن مر، من أمام منزلي، اللواء إبراهيم حليم، مفتش المباحث، ولاحظ وجود سيارة رئيس الجمهورية، فسأل وعرف إنها هي فعلاً، وسارع يكلف الرائد حامد محمد أحمد، بمراقبة منزلي، ومعرفة ما يدور بداخله، بعد أن عرف أن السادات يجتمع عندي، كل ليلة، بعدد من الرموز والقوى السياسية.

ثم ذهب إبراهيم حليم، وأخبر اللواء شعراوي جمعه، وزير الداخلية، الذي غضب كثيراً، وقال ما معناه كيف انه وزير داخلية ولا يعرف تحركات ولا خط سير رئيس الجمهورية بالإنابة.

وبعد أن غادر السادات منزلي، في الثانية صباحاً، قبضوا على الطباخ والسفرجي، واستجوبوهما عما يدور في الاجتماعات، وعن الشخصيات التي تحضر.

واذكر أن ابني محمد كان عائدا ذات يوم من أيام تلك الاجتماعات من عند صديقه عزيز، ابن وجيه أباظه، محافظ الغربية، وسأله السادات يومها، فعرف انه قادم من عند ابن المحافظ، وان شعراوي جمعه، كان في زيارة في ذلك اليوم، لوجيه أباظه، الذي كان على خلاف قديم مع السادات. وقد حاولت يومها قدر مستطاعي، أن يذهب السادات لزيارة وجيه أباظه في بيته، لأنه ليس من المعقول أن ينزل المحافظة ولا يمر على المحافظ، خصوصاً وأن بيته كان قريبا جدا من بيتي. وأقنعت السادات، وذهب وزار وجيه، وعرف انه في طريقه إلى السعودية لأداء

العمرة، فقال له ضاحكا: يجب أن تـترك ذنوبـك هنـاك يـا وجيـه..وضحكـا معـاً، وسادت بينهما في تلك الجلسة، مودة ومحبة.



الســـادات وجـامــع فى جـلسة وديــة خـاصــة بعيداً عن الســياسة والرسميات

وفيما بعد، عرفت أن الأجهزة التي كُلفت بمراقبة منزلي، قد رفعت تقريراً إلى عبد الناصر، بأني من الإخوان، وأني اعمل لقلب نظام الحكم، ورفعوا تقريراً آخر إلى مصطفـى الجنـدي، أمين الاتحـاد الاشـتراكي، وثالثـاً إلى علـى صـبري، رئيــس التنظيم الطليعي. وقالوا في التقارير أن أنور السادات يعقد اجتماعات مشبوهة في منزلي، وأنها تضم عدداً من أعداء الثورة، وأنها تسبب اضطرابا وفوضــى وبلبلـة، بـين أعضـاء التنظيـم الطليعـي، وطلبـوا الأوامــر للتصــرف معهــم، أي أعضــاء الاجتماعات، ومعي أنا أيضاً.

وبعد أيام دق جرس التيلفون، وكان السادات على الخط، يطلبني بسرعة إلى منزله، ولما ذهبت وجدته منزعجاً جداً، وطلب منــى ألا اذهــب لعيـادتي، حتـى لا يقتلونني، ولما أدهشني ذلك، قال: هو أنت أحسن من هيكل، الـذي حـاولوا قتلـه

بمسدس كاتم صوت أمام مؤسسة الأهرام، وهشموا سيارته؟! وأخبرني السادات انهم رفعوا تقريراً إلى عبد الناصر، وطلبوا منه الموافقة على اعتقالي، لولا أني - أي السادات - قد تدخلت، وان نسخة من التقرير، قد وصلت إلى السفارة السوفيتية بالقاهرة، وكاد ذلك أن يعطل صفقة سلاح بين مصر والاتحاد السوفيتي الذي تشكك في تلك الاجتماعات، وفيما تهدف إليه.



السادات يشاهد صورته وهو خارج من ضريح السيد البدوى فى طنطا

وقد أمر عبد الناصر، السادات يومها بألا ينزل طنطا مرة أخرى، وهنا أدركت أن عبد الناصر، لم يكن على علم بتلك الاجتماعات، وان السادات لم يبلغه كما أخبرني، وقد نصحني السادات بان أتجنب الحديث في السياسة، وأن اقبل أي عرض يعرضه عليّ شعراوي جمعه الذي كان يعد العدة، يومها، فيما يبدو، لقتلي، كما فهمت من كلام السادات .

وكان كل المقربين، من عبد الناصر، في تلك الفترة، يحسون انه قد أصبح وحيداً، بعد رحيل عبد الحكيم عامر، وان صحته قد بدأت تتداعى، لدرجة انهم وضعوا له مصعدا في بيته ليصعد به من الدور الأول للثاني.

وقد أنهى إليّ، الدكتور محمد صلاح الدين، أستاذ القلب المعروف، وطبيب عبد الناصر الخاص، أنهى إليّ، في ذلك الوقت، أن عبد الناصر لابد أن يقلع عن التدخين، وان يقلل من مجهوداته، وألا يبذل جهداً كبيراً، لان في ذلك خطراً داهماً على صحته.

وبمرور الوقت، لم يعد عبد الناصر يجد السلوى، ألا في بيت السادات وهنا كان بدء عودة الأضواء مرة أخرى إلى السادات، الذي كان قد اختفى تقريباً، منذ بدء الثورة، حتى ذلك التاريخ عندما لم يجد عبد الناصر أمامه من الضباط الأحرار، ألا السادات، فكان يقضي وقتاً طويلاً في بيته، خاصة وان السادات كان شخصية ودوده، وكان مرحاً، خفيف الدم، وكانت السيدة جيهان السادات، تحفظ الأكلات التي يحبها عبد الناصر، وتجيد صنعها وكانت تقدمها له، في حدود تعليمات الأطباء.

وربما كان القرب الذي حدث بينهما، عبد الناصر والسادات، هو الذي دفع عبد الناصر إلى تعيين لسادات نائباً له. وقد ترك رجال عبد الناصر، زعيمهم يقرب السادات منه، ظناً منهم أن السادات ضعيف، وانهم يستطيعوا التخلص منه، عند اللزوم، ولكنهم لم يكونوا يعرفون، أن السادات كان قوياً جداً، بأكثر مما تصوروا وتخيلوا، وانه كان وثيق الصلة، بمختلف القوى السياسية.

وقبل وفاة عبد الناصر بشهرين، تقريباً، مرض السادات، وأصابته أزمة قلبية فلازم الفراش في ميت أبو الكوم، وأشاع أعداؤه، وخصوصاً سامي شرف، أن المرض كان تمارضاً، وانه كان مرضاً سياسياً، ولم يكن ذلك صحيحاً، ولا يزال الدكتور محمد عطيه، الطبيب الخاص للسادات، حياً يرزق، وهو شاهد على ذلك. وقد كنت مرافقاً للسادات، أثناء مرضه، ومشرفاً على علاجه، وكنت ملازماً له، شبه مقيم معه.

واذكر أن السادات، أثناء مرضه، طلب استدعاء الدكتور محمود صلاح الدين، الطبيب الخاص بعبد الناصر، يراه، ويرى إن كان العلاج الذي يمضي عليه صحيحاً، أم لا. وكان استدعاء الدكتور صلاح الدين أمراً ليس سهلاً، وكان لابد من واسطة قوية، تقنعه بالإتيان إلى السادات، وبالفعل تحدثت مع عدد من أصدقائه في الإسكندرية، ومنهم الدكتور أحمد سيد درويش، والدكتور عبد العزيز خضر، والدكتور هاشم نصار، رئيس جامعة الإسكندرية، واقتنع الدكتور صلاح الدين ولكنه اشترط أن تكون سيارة السادات في انتظاره في محطة طنطا، يستقلها بمفرده، وقد كان. وبعد أن أعاد الكشف على السادات لم يقبل أن يتناول معنا طعام الغداء، ولا أن يقبل عدداً من أقفاص الفاكهة التي أراد السادات أن يجامله بها. كان الدكتور صلاح الدين، رحمه الله، يعتز بنفسه إلى حد بعيد، وكان يعالج نفسه بنفسه، وظل يقيم حلقة علمية أسبوعية، حتى توفاه الله. وكان يصف للأطباء علاجه لنفسه بعد أن يرى الفحوص والتحاليل.. وعندما فقد الأمل.. امتنع عن العلاج ونزع خراطيم العلاج من ذراعه وصدره - وقال لا فائدة - وتوفى رحمه الله فوراً بعد ذلك في سريره في غرفة مكتبه بالكلية.

وذات يوم، والسادات يتلقى العلاج، رن جرس التليفون، وكان المتحدث هو السفير السوفيتي بالقاهرة، وطلب أن يأتي لزيارة السادات، فلم يمانع، وحدد له السادات موعداً في اليوم التالي مباشرة. وقد أخبرني السادات، وقتها أن السفير السوفيتي، في الحقيقة لا يريد الاطمئنان على صحتي، وإنما يريد أن يطمئن

على صحة رئيس مصر القادم. ولأنهم في الاتحاد السوفيتي يعرفون أن السادات لم يكن ميالا إليهم، فقد كانوا يريدون أن يعرفوا أخبار صحته، وحقيقة مرضه، وطبيعة تفكيره، .... إلى أخره .

وقد جاء السفير بالفعل، واعددنا له يومها "الفطير المشلتت" وبعد أن عاد إلى القاهرة، كانت المفاجأة انه هو الذي توفى في اليوم التالي. وقد كان السادات حريصاً عند زيارة السفير ألا يبدو ضعيفاً، أو مريضاً، بل وارتدى ملابسه كاملة، وربما لان هذا هو السبب في انتشار شائعة أن المرض كان مرضاً سياسياً.

وكان اختيار السادات رئيساً بعد رحيل عبد الناصر، راجعاً إلى انه وديع في نظر مجموعة عبد الناصر، وانه مطيع، وليس لأنه يستحق الرئاسة. وقد تعلم السادات، خلال الفترة الأخيرة من حكم عبد الناصر،.. تعلم ورأى بنفسه الشلة التي أحاطت بعبد الناصر، وكيف انهم كانوا هم الذين يحكمون وليس عبد الناصر. وكانت هناك مجموعة تضم سامي شرف، والفريق محمد فوزي، وشعراوي جمعه، وقد كانوا لا يستريحون إلى هيكل، لأنه كان على علاقة وطيدة بعبد الناصر.

وقد استفاد السادات من ذلك كثيراً، وقال لي يوماً، انه كان يحب أن ينشغل الذين حوله وألا يتحابوا، ليظل هو "الجوكر" ولم يكن يشغل نفسه طويلاً مثل عبد الناصر، بقراءة الجرائد وسماع الأشرطة التي تسجلها الأجهزة للمسئولين، وإنما كان ينبه على سكرتاريته ألا يعرضوا عليه شيئاً يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع، وكان يحب ممارسة الرياضة، ويرى فيلماً سينمائياً كل يوم، ولا يتدخل في التفاصيل كثيراً. ولذلك لم يكن الذين كانوا حوله، على وفاق، فلا عثمان احمد عثمان، كان على وفاق مع سيد مرعي، ولا كان سيد مرعى يحب ممدوح سالم... وهكذا. علماً بأن السادات رفض أن يحقق لسيد مرعي صهره ورئيس مجلس الشعب رفض أن يحقق له أمنيته أن يكون رئيس وزراء مصر لأنه لا ينسى له أنه بعد وفاة عبد الناصر كان يؤيد بشدة ترشيح زكريا محي الدين لرئاسة الجمهورية

بدلاً من السادات بالاتفاق مع صديقه هيكل، ثم أطاح به السادات بعد ذلك من رئاسة مجلس الشعب.

تعلم السادات، من مطبخ الرئاسة، أيام عبد الناصر، ألا يشغل نفسه بالتفاصيل، والصغائر من الأمور، وإنما كان يجب أن ينظر إلى المسائل، نظرة أشمل وأعم.

<١٠>

السادات يأكل الناصريين واحداً وراء الآخر

"وعندما أختـاروا السـادات رئيسـاً

قال أنا موافـق بشـرط . . . ."

كان اختيار الشلة التي أحاطت بعبد الناصر، للسادات، رئيساً للجمهورية، قائما على أساس أنه ضعيف، ومطيع، ومغلوب على أمره، ويمكن الإطاحة به في أي وقت. هكذا وظنوا وفكروا ودبروا. وقد تركهم السادات، وهم يفكرون ويدبرون.. وكأنه كان يضحك منهم.. وعليهم.

كانت المجموعة تضم سامي شرف، وعلى صبري، وشعراوى جمعة، وأمين هويدى، ومحمد حسنين هيكل.

ولم يكن على صبري، وجهاً مقبولاً، خصوصاً من بعض قيادات الجيش، الذين رأيتهم وهم ذاهبون إلى السادات، في قصر الطاهرة، بعد وفاة عبد الناصر، وأخبروه أنهم سيقومون بانقلاب، إذا جاء على صبري رئيساً. وكان حسين الشافعي، في الوقت نفسه، يرى أنه أحق بالرئاسة، وكان يذيع ذلك، ويصرح به، ولا يكتمه.

وقد دخل السادات، على عبد الناصر، بعد وفاته، وقبّل جثمانه، وقبل يديه كذلك، وإن كان البعض قد فسر ذلك على أنه كان يشكره لأنه أتاح له فرصة الرئاسة، عندما عينة نائباً. والبعض الأخر كان يرى في تصرف السادات، دليلاً على محبة في قلبه تجاه عبد الناصر.

جلست مجموعة عبد الناصر، ورأت أن تختار السادات، مؤقتاً، حتى يجدوا الفرصة لاختيار الشخص المناسب، وقد ظنوا أن خلع السادات، بعد شهر أو شهرين، مسألة سهلة، والمهم أنهم يحددوا الوقت الذي يرتبون فيه أمورهم.

وكان هيكل، في الوقت نفسه كارهاً لتلك المجموعة، فوقف مع السادات، وساعده ودعمه على أساس أن السادات سوف يعطيه ذات المكان والمكانة التي كانت متاحة له، أيام زعيمه الأوحد. في تلك الأثناء، كان السادات يتصنع الضعف، ويبدى اللامبالاة،

ويتحرك بذكاء شديد، حتى رأوه لقمة سائغة، وقد أسرف هو، في تأكيد هذا الانطباع لديهم.

وأجتمت اللجنة التنفيذية العليا، وبايعت السادات، واختارته رئيساً، وكانت المفاجأة أن على صبري، وافق على اختيار السادات، بل وسافر إلى الأقاليم يقنع أعضاء التنظيم الطليعى الذين لم يكونوا راضين عن اختيار السادات.

ورفض حسين الشافعي، ورأى أنه أحق بالرئاسة، إلى أن أقنعه الدكتور محمود فوزي، رئيس الوزراء، بالموافقة أثناء الاجتماع.

كان على صبري، يرى أن الفترة الانتقالية القصيرة، التي ستعقب اختيار السادات، سوف تكشفه، وأن المناخ سوف يكون مهيئاً لاختياره هو، فيما بعد، لأن عدم نجاح السادات، سيكون في صالحه هو، أي على صبري، كما أن فشل السادات في الرئاسة، سوف يجعل الجيش يتقبله، بعد أن كان رافضاً له

وعندما اختاروا السادات رئيساً، قال أنه موافق، بشرط أن تكون القيادة جماعية، وأنه لن يصدر قراراً بمفرده، وإنما عليهم هم، أن يصدروا القرارات لينفذها هو. وقد شربوا المقلب. وصدقوا السادات. ولكن أمين هويدى، كان رافضاً لهذا الأسلوب، وقال أن الرئيس رئيس، ويجب أن تكون عنده الحرية الكاملة في إصدار القرارات، وقد ظل السادات ذاكراً لهذا الموقف، من جانب أمين هويدى، وقال لي ذات مرة، أنه لا ينس هذا الموقف من أمين هويدى أبداً، وهو موقف كان بالطبع في صالح السادات.

وقد وجد الشافعي، أنه المعارض الوحيد، فوافق مضطراً، وجاء لزيارة السادات في ميت أبو الكوم، وعينه فيما بعد نائباً لرئيس الجمهورية وهو يضمر التخلص منه نهائياً — كما قال لي — فيما بعد، وقد طلب الشافعي، من السادات، كما سمعت منه، أن يعينه رئيساً للوزراء، ولكن السادات رفض، ووضعه في موقع النائب، ثم تخلص منه للأبد، ولم يكن السادات يرتاح إليه أبداً.

وقد لاحظت في بداية حكم السادات لم يكن هو الذي يحكم، وحدثت واقعة أكدت لي ذلك تماماً. فقد أراد الدكتور أحمد العسال، رئيس جامعة إسلام أباد حالياً، أن يأخذ

والديه لأداء فريضة الحج، فرفض الأمن إعطاءهمـا التأشيرة، بحجـة أن ولدهـا مـن "الإرهابيين" على حد تعبير شعراوي جمعة عندما ذهبت أستفسر منه. ولما ذهبت أشكو للسادات، قال لي: أنك تعرف دماغ شعراوي جمعة، وعناده.



السـادات فى طـريقـه إلـى أداء صـلاة الجمعـة ومعـه كـمـال الـشاذلى ودكـتور جـامـع والمهندس أحمد سـلطان محـافظ المنوفية وقـتها .

وأدركت أن السادات لن يتدخل، أو بمعنى أدق لا يستطيع أن يتدخـل، بـالفعل نفـذ شعراوي جمعة كلامه، ولم يسافر والدي الدكتور العسـال. كـان السـادات يريـد أن يعطى نفسه وقتاً، لأنه كان يحسـب حسـاب الجيـش الـذي كـان في قبضـة الفريـق محـمـد فـوزي، والتنظيم الطليعي الذي كان مع شعراوي جمعة وسامي شـرف، وكـان معهـمـا أيضـاً الأمـن المركزي. لذلك كان السادات يريد، عندما يضرب ضربته، أن يضمن حيـاد كـل الأجهـزة والمؤسسات القوية.

كان الاتحاد السوفيتي، بالطبع، يقف مع هذه المجموعة، ضد السادات، وكان أعضـاء المجموعة، وهم تحديداً: لبيب شقير وعلى صبري وسامي شرف وشعراوى جمعة قـد سـافروا إلى الاتحاد السوفيتي، أوائل عصر السـادات، ووعـدوا الكرملـين بتحويـل مصـر، إلى أكـبر

البلاد شيوعية في المنطقة، وكان السادات يراقب الموقف عن بعد . والمثير والمدهش، أن أفراد المجموعة أنفسهم، كانوا يلعبون على بعضهم البعض، فقد كان سامي شرف وشعراوى جمعة، يقفان ويدبران ويتآمران على علي صبري!

وأثناء زيارتهم لموسكو اتفقوا على خلع السادات، ووضع لبيب شقير رئيس مجلس الشعب مكانه، مؤقتاً حتى يتم اختيار على صبري رئيساً. ولكن سامي شرف كان يطمع هو الآخر في الرئاسة وكان يصرح أكثر من مرة. بأن الحرس الجمهوري والتنظيم الطليعي، وهما جهازان قويان جداً، كانا في يديه، وأنه كان يستطيع أن يتولى بهما الرئاسة، ويمكن لأنه كان مع الشرعية وعلى حد تعبيره – فإنه لم يعارض عند اختيار السادات.

كانت تلك المجموعة، تفكر، وتدبر، وتدير أمورها بمسلكها ومنطقها الخاص، ثم بدا لهم جميعاً، فيما بعد، أنهم كانوا في واد، وكان الشعب والجيش في واد أخر تماماً. كان الجيش غير متقبل لهم، وكذلك الشعب، وقد عمل السادات على توسيع الفجوة بين الطرفين، أي بين تلك المجموعة، وبين الجيش والشعب، وأستطاع أن يستميل الليثي ناصف، قائد الحرس الجمهورى في صفه، بعد أن كان الليثي من رجال سامي شرف،

وقد حدث أول احتكاك مباشر، بين بعض أفراد بين تلك المجموعة، وبين السادات، قبل عيد العمال، في مايو ٧١، خلال اجتماع اللجنة المركزية، الذي بحث موضوع الوحدة بين مصر وليبيا وسوريا.

وقتها، أتصل بي عبد المحسن أبو النور الأمين العام للاتحاد الاشتراكي، وقال لي هل يعقل أن أكون أنا الأمين العام ثم أعجز عن لقاء رئيس الجمهورية، لأنه كان مجتمعاً مع زهرة رجب، وهى عضوة بمجلس الشعب. وهل يعقل – هكذا قال لي – أن أظل في سكرتارية مكتبه ساعتين، ثم لا أقابله، وكذلك حدث نفس الأمر مع أحمد كامل مدير المخابرات العامة.

وقد اتصلت بالسادات، ورويت له ما حدث من عبد المحسن أبو النور، فقال أن أحمد كامل لديه الخط الساخن الخاص بي، فلما لم يحدثني تليفونياً، ثم إنني سوف أقابلهما على

كل حال. وبعد إتمام المقابلة، فكرت المجموعة في تدبير محاولة لاغتيال السادات، أو إحداث فوضى أثناء، اجتماعات التنظيم الطليعي لإظهار السادات، بمظهر الشخص الضعيف.

ثم علمنا، فيما بعد، أنه قد جرت محاولة، لاغتيال السادات، من جانب تلك المجموعة، أثناء زيارة له إلى النوبارية، وكنت أنا رقم ٧ في قائمة اغتيالات ذلك اليوم، وهى محاولة لم تنجح، لاكتشافنا مبكراً. وكان الستة الذين يسبقوني هم: محمد عثمان إسماعيل، محمد دكروري، محمد حامد محمود، محمود أبو وافيه، يوسف مكاوى، أحمد عبد الآخر.

وقد ظل السادات يذكر تلك الواقعة، طويلاً، ويناديني وهو يضحك: يا نمرة ٧!



السادات والدكتور محمود جامع والمهندس أحمد سلطان نائب الوزراء ووزير الكهرباء

وقد روى لي السادات، أنه أثناء اجتماع مغلق، في إبريل عام ٧١، عرض عليه بعض أعضاء تلك المجموعة، وتحديداً: سامي شرف وشعراوى جمعة، عرضا عليه حل الاتحاد الاشتراكي وأجراء انتخابات جديدة، مع الإطاحة بعلي صبري وضياء الدين داوود. ولكن السادات لم يصدقهما، ولم يوافق، وأدرك أنها ربما تكون خدعة منهما، لإحراجه وتوريطه، وأنهم ربما كانوا يستهدفونه شخصياً، من وراء صراعهم المحموم.

ولم تكن تلك المجموعة، فقط، هي التي تستهدف السادات، وإنما كانت أمانة الشباب برئاسة الدكتور مفيد شهاب كذلك، وقد أعدت بيانات مطولة، ضد السادات، وأعطوها لعبد المحسن أبو النور، الذي عدّل فيها، ولم يسلمها للسادات، الذي علم بتلك الواقعة بالصدفة.

وفوجئت، في يوم من تلك الأيام، بمكالمة تليفونية من منزل أحمد عبد الآخر، في طهطا بسوهاج، وكانت المكالمة خلال اجتماعه بعدد من أمناء الاتحاد الاشتراكي بالصعيد، ونصحني المتحدث يومها، وكان محمد دكروري، بأن أسرع إلى السادات، في القناطر الخيرية، وأخبره بأن هناك مخططاً لأحدث فوضى أثناء اجتماع اللجنة المركزية القادم، وأن هناك تعليمات صدرت من التنظيم الطليعي، بخصوص هذا الشأن، وأنهم، أي دكروري ورفاقه هناك، في الصعيد، في انتظار تعليمات الرئيس. ذهبت وأخبرت السادات، ولم يصدق، وقال: لننتظر ونرى.



السـادات يستقبل دكتـور / محمود جـامـع فى منزلـه

وفى اليوم التالي، أنعقـد الاجتمـاع، ووجه الحـاضرين انتقـادات حـادة ولاذعـة، إلى السادات، كما هاجمه على صبري، ولم يقف مع السـادات، يومهـا إلا اثنـان فقـط: د.أحمـد سيد درويش، وزير الصحة فيما بعد، و د.مصطفى أبو زيد فهمي، وزيـر العـدل فيمـا بعـد أيضاً وبعدها بأيام ذهب السادات لإلقاء خطاب عيد العمال، ففوجئ بأن هنـاك مـن يرفـع صور عبد الناصر، ويهتف له، وعاد السادات إلى البيت، وكنـت معـه، بالإضافـة إلى محمـد دكرورى ومحمد عثمان إسماعيل، ونصحناه بأن يقيل على صبري، وأن يضرب الحديد وهـو ساخن. وأقتنع السادات، بعد جهد، وأقال على صبري، وتقبل سائر أعضاء المجموعة القرار على خـوف، وبحـذر، وخصوصـاً سـامي شـرف وشـعراوى جمعة، الذيـن أحسـا أن الـدور عليهما، وأن السادات يدبر لشئ، وواصلا اتصالاتهما بامناء الاتحاد الاشتراكي في المحافظة، لتقوية الجبهة المعارضة للسادات، وأستجاب لهم كثـيرون، ومنهـم كمـال الشـاذلي، الوزيـر الحالي، و أول أمين للاتحاد الاشـتراكي في المنوفيـة، وكـان لـه نشـاط نـاصري بـارز، وكـان يعرف السادات، وعندما وقع الخلاف بين السادات، وبين تلك المجموعة، حاول الشاذلي أن

يقف بين الطرفين، على الحياد، حتى لا يصنف على أيهما. وقد جاء من أبلغ السادات، أن الشاذلي يؤيد لبيب شقير، فغضب منه السادات جداً، وأستبعده من موقعه، وعين مكانه فتحي المدبولي، وعمل الشاذلي فيما بعد، في وزارة التموين، ثم في شركة مصر لتجارة السيارات، ورشح نفسه في مجلس الشعب، حتى رضى عنه السادات، مرة أخرى وأعجب، بنشاطه البارز، وقدراته السياسية الكبيرة. وقد حاول السادات، في تلك الفترة أيضاً، أن يستميل إليه، فؤاد محيى الدين، الذي أختاره رئيساً للوزراء فيما بعد، وكان فؤاد محيى الدين محافظاً للشرقية قبل وخلال ١٤مايو ٧١ ولم يقف بجانب السادات إلا بعد انتصاره.



دكتور / محمود جامع والسادات وخلفه سليمان متولى ومنصور حسن

وقد بدأ السادات، بعد إقالة على صبري، يعمل بنشاط، داخل المؤسسات التي كانت تسيطر عليها المجموعة الناصرية، وركز نشاطه وعمله داخل الجيش، وقد كان يحسب له حساباً كبيراً، في أى قرار يصدره، وكان الجيش هو الأرضية الصلبة، التي وقف عليها السادات، وهو يصفى مجموعة الناصريين، وكان الجيش يثق جداً في السادات، الذي كان يعرف ويدرك، معنى أن يكون الجيش مؤيداً، وواقفاً معه، في أي خلاف، أو عند أية أزمة

وبعد ذلك قدمهم السادات للمحاكمة بمحكمة رأسها حافظ بدون رئيس مجلس الشعب وعضوية حسن التهامى وبدوى حمودة وزير العدل ورئيس المحكمة الدوستورية العليا وفى محاكمة سامى شرف أتهمته المحكمة بالاستيلاء على أموال من المصاريف السرية برياسة الجمهورية للإنفاق على زواج أبنتيه – ولكنه دافع عن نفسه قائلاً أنه أخذ هذه الأموال بأمر عبد الناصر الذى كان ينفق سنوياً ثلاثين مليون جنيه من المصاريف السرية على كبار المسئولين والصحفيين والفنانين وخلافهم.

﴿ ١١ ﴾

وكانت رأس سامى شرف .. هى الثمن

"هنا برز دور اللواء الليثي ناصف قائد الحرس الجمهوري الذي وجدها فرصته في تصفية حسابات قديمة معي. . . ."

كانت الأجواء، قبل أن يطيح السادات بمراكز القوى، مشحونة جداً، وكان كل فريق يتحرك، من وراء الأستار، ويرتب أموره، ويعد العدة للانقضاض على الطرف الآخر. وكان السادات في صراع مع الزمن، من أجل الفوز بكرسي الرئاسة، والإطاحة بكل المتآمرين من حوله، من بقايا عصر الناصرية.

وكانت الأجهزة، تسجل لبعضها البعض، ويحاول كل جهاز، أن يمسك على الآخر، ما يدينه، وفي ذلك الوقت تمكن العميد طه زكي، الضابط بجهاز مباحث أمن الدولة، والمسئول عن التسجيلات، من ضبط وتسجيل عدد من الأشرطة، التي تشير إلى أن مجموعة الناصريين، يراقبون الرئيس، ويسجلون كل خطواته، ويستعدون للإطاحة به، وأراد طه زكي أن يُطلع الرئيس السادات ، على التسجيلات التي تحت يديه، ولكن كيف، إذا كان الحرس الذي يقوم بتأمين السادات، تابعاً لسامي شرف،، الذي هو في الوقت نفسه، أحد المتآمرين، والذي إذا أحس بان طه زكي لديه مثل هذه التسجيلات فسوف يتخلص منه فوراً.

فكر طه زكي، طويلاً، واهتدى إلى أن ابن عمه، ضابط بالجيش واسمه معوض جاد المولى، وهو على صله بعفت السادات شقيق السادات، وأن عفت كان صديقاً لأحمد طه، زوج عائشة، شقيقة الرئيس والضابط بالجيش وقتها.

ورأى طه زكي، أن أحمد طه، مدخل مناسب إلى الرئيس، ليخبره بحقيقة ما يجرى لأن طه كان يريد، إذا ألتقى أحد بالرئيس، ليخبره بحقيقة ما يجرى، أن يكون من العائلة، حتى يطمئن الحرس، إلى إنها زيارة عائلية، ولا يوصلون أخبارها إلى سامي شرف.

وبالفعل، أسرع طه زكي، ومعوض جاد المولى إلى أحمد طه، عن طريق عفت السادات، وأخبره بالموقف، فسارع احمد طه يطلب من فوزي عبد الحافظ، سكرتير السادات، موعداً مع الرئيس، ولكن فوزي لم يكن مدركاً لحقيقة ما يدور حول الرئيس، فتباطأ في تحديد الموعد، وكثيرا ما كان يفعل ذلك، أمام مواقف في منتهى الخطورة. ولما أحس أحمد طه بعدم إدراك فوزي عبد الحافظ لخطورة التحركات حول الرئيس، استدرج فوزي خارج مكتبه، وأسمعه بعض التسجيلات وافهمه الحكاية كلها، فعاد فوزي وحدد موعداً لأحمد طه مع الرئيس.

وقد اكتشف السادات، أن سامي شرف، كان يسجل لصديقه شعراوي جمعه، وزير الداخلية، نفس الشيء، وان أحمد كامل مدير المخابرات كان يسجل للجميع، بمن فيهم عائلة الرئيس نفسه!

كان السادات في غاية الدهشة، مما سمع من تسجيلات طه زكي، التي نقلها إليه أحمد طه. وقرر الرئيس، على الفور، إقالة شعراوي جمعه، وبعث بمن جاء بممدوح سالم من الإسكندرية، ليكون وزيراً للداخلية، ولم يشأ أن يحدثه في التليفون، لأنه كان يعلم أن تليفونه مراقب. وجاء ممدوح سالم، وأدى اليمين في غرفة نوم السادات، حتى لا يشعر الحرس بشيء، وفي اللحظة التي ذهب فيها ممدوح سالم إلى وزارة الداخلية، كان هناك من يبلغ سامي شرف، بان شعراوي جمعه قد أقيل. والعجيب، أن ممدوح سالم سأل السادات، عن رأى سامي شرف وموقفه من إقالة شعراوي جمعه، فقال السادات: لا تشغل بالك، فسامي شرف شخص ممتاز وبسرعة، كان سامي شرف قد جاء إلى بيت السادات، الذي أخبره بأنه سمع تسجيلات تدين شعراوي جمعه، وانه لهذا السبب قد قبل استقالته، وكان رد سامي شرف أن شعراوي جمعه لم يقدم استقالته، فقال السادات: اعرف ذلك. وقام السادات واغلق باب غرفة السفرة على سامي شرف، وبعث إليه بطبق فيه تفاحتان، وكان يريد من وراء كل ذلك، تعطيل سامي شرف حتى ينتهي ممدوح سالم من تسلم مكتبه. وغادر سامي شرف بيت السادات، حيث ذهب مع شعراوي

جمعه ومحمد فائق، إلى منزل الفريق فوزي، ومن هناك ابلغ سامي شرف السادات، بأنه مستقيل، فرد عليه السادات وقال: لا تتسرع، إنني أريدك معي، وخذ إجازة يومين لتستريح فيهما.. وبكى سامي شرف على التليفون، ولا اعرف إلى اليوم، هل كان السادات جاداً في عرضه على سامي شرف، بان يظل معه، أم إنها كانت تمثيلية، كما كان بكاء سامي تمثيلا هو الآخر؟!

اجتمعت المجموعة كلها، في منزل الفريق محمد فوزي، وقررت تقديم استقالات جماعية، بهدف إحداث انهيار في نظام الحكم، وفى الدولة. فيتحرك الجيش، وتخرج المظاهرات ضد الرئيس. وفى الوقت نفسه، بعد أن تم تسليم الاستقالات إلى أشرف مروان، سكرتير الرئيس لشئون المعلومات، جاء الفريق صادق، أحد قيادات القوات المسلحة وقتها واخبر السادات باجتماع في منزل الفريق فوزي، فطلب منه السادات أن يذهب ويحضر الاجتماع، على انه معهم، ثم يبلغه بما سوف يدور في الاجتماع. وكانت المجموعة قد بعثت باستقالاتها إلى الإذاعة فطلب السادات من سكرتيره، أن يتصل بالإذاعة، ويطلب إضافة جملة، تفيد أن الأستقالات قد عُرضت على الرئيس وأنه قد قبلها، وكان الفريق صادق، قد أبلغ السادات، وكنت أنا حاضراً ذلك اللقاء، في بيت الرئيس، أبلغه أنهم أتفقوا على أن الرئيس إذا ذهب لإلقاء بيان فسوف يتم منعه والقبض عليه ليستولوا هم على السلطة ولكن السادات قبل الاستقالات وأذيعت فورا في نشرة الأخبار.

هنا، برز اللواء الليثي ناصف، قائد الحرس الجمهوري، الذي وجدها فرصة لتصفية حسابات مع أفراد تلك المجموعة، فأمر قوات الحرس الجمهوري- بالاتفاق مع الرئيس – بالتواجد حول بيت السادات، وسارع وألقى القبض على أفراد تلك المجموعة... مجموعة مراكز القوى.

عندئذ، كانت مواقف الجميع. قد باتت ما بين مؤيد للسادات، ومعارض له، إلا قلة كانت في انتظار حسم الموقف، لتنحاز إلى المنتصر، ومن هذه القلة الدكتور

فؤاد محي الدين الذي أسرع يهنئ السادات، والكاتب محمد حسنين هيكل، وقد تأكد السادات يومها، أن هيكل لم يقف بجانبه، إلا بعد أن تأكد أن الموقف قد حسم بالكامل لصالح السادات، وكان هيكل، في وقت سابق، يلعب في المنطقة الوسط، ومستعداً للانضمام إلى أي الفريقين يكسب!



السادات والدكتور جامع وخلفه حسين الشافعي

وكان السادات قد استفاد من هيكل، في الإطاحة بمراكز القوى، وكان إطلاق مسمى "مراكز القوى" عليهم، باقتراح من هيكل، الذي أوفد من ابلغ السادات، من خلال فوزي عبد الحافظ، بان "مراكز القوى" تخطط لاعتقاله، أي السادات، إذا فكر في الذهاب إلى مبنى الإذاعة، وكانت نصيحته للسادات أن يسارع بالقبض عليهم، لان هيكل، في الوقت نفسه، كان يشعر، بان هذه المجموعة، إذا تولت هي الحكم، فسوف تطيح به أيضاً. وبدأ دور هيكل يتضح كثيرا، وأذكر إني سألت السادات يوماً، وقلت ساخراً: أنا مبسوط جداً انك

تستشير هيكل في كل شئ. وهنا انفجر السادات غاضباً وقال: هيكل ده مين... فاكرني عبد الناصر... هو صحفي زي كل الصحفيين.

وبدأ السادات يتعمد إخفاء أخبار مهمة عن هيكل، ولكنه رأى تأجيل التخلص منه، إلى ما بعد حرب أكتوبر.

وقد كان السادات لا ينسى موقفاً محرجاً حدث له في بيت عبد الناصر، بسبب هيكل، الذي كانت المباحث قد اعتقلت سكرتيرته نوال المحلاوي بسبب تسجيل حديث بينها وبين لطفي الخولي. وبعد اعتقاله، حدثت فجوة بين عبد الناصر وهيكل، الذي أخذه السادات إلى منزل عبد الناصر، فانفرد بهيكل في غرفة وحدهما، وتركا السادات وحده في الصالون، فتضايق السادات جداً، وظل يحمل هيكل مسئولية هذا الحرج.

وكان من الذين انحازوا للسادات، دون انتظار لنتيجة الصراع، الدكتور عزيز صدقي، وكان وقتها وزيراً للصناعة، إذ ذهب إلى بيت الرئيس يوم ١٤ مايو، واصدر تعليماته إلى نقابات العمال بالخروج في مظاهرة حاشدة لتأييد السادات، وقد حملها له السادات فعينه رئيساً للوزراء بعد ١٤ مايو، وكلفه بتولى ملف الاتصالات مع الاتحاد السوفيتي، ونجح عزيز صدقي في ذلك إلى حد كبير، لولا أن سعت الدسائس بينه وبين الرئيس، ونقلوا كلاماً غير صحيح، عن طموحات عزيز صدقي إضافة إلى خلافاته مع ممدوح سالم، فكانت النتيجة أن السادات أطاح به، وأخرجه من دائرة الحكم.

وكان أشرف مروان، زوج السيدة منى جمال عبد الناصر، من الذين انحازوا للسادات أيضاً، الذي تبناه ورعاه، في الوقت الذي كانت عائلة عبد الناصر، وأسرته، تراه خارجاً عليها، وتراه خائنا. وبدأ أشرف يوثق علاقته بالسادات اكثر، ويقفز قفزات واسعة إلى الدرجة التي جعلت على أمين يطلق عليه لقب "الطفل المعجزة".

وتعود قصة اشرف مروان، إلى تخرجه من كلية العلوم، عام٦٥، بتقدير جيد، وبعدها التحق للعمل بالمعامل المركزية للقوات المسلحة، حيث كان والده يعمل ضابطاً برتبة عميد في فرع الإمداد والتموين بالمنطقة المركزية. وكان لأشرف طموح علمي، وهو لا يزال طالباً، وعندما تخرج حصل على الماجستير، ثم سجل للدكتوراه، تحت إشراف د.أحمد مصطفى، وزير البحث العلمي فيما بعد.

وكان ، وهو طالب، يتردد على نادى هليوبوليس، وهناك تعرف على منى عبد الناصر، عن طريق شقيقته عزة، وقد أعجب بمنى جداً، وراح يتردد على الجامعة الأمريكية ليراها، حيث كانت تدرس هناك، وبعد أن ارتبط بها، تم تعيينه برئاسة الجمهورية، وترقى فيها إلى أن وصل سكرتير مساعد لرئيس الجمهورية لشئون المعلومات، يوم وفاة عبد الناصر.

وقد واتته الفرصة، يوم قرر أن يقدم رأس سامي شرف، للسادات. وكان ذلك هو ثمن صعوده المتواصل أيام السادات. لقد عرف اشرف، ذات يوم، أن محمد سعيد - سكرتير سامي شرف، سوف يحمل الخزانة الخاصة بأوراق سامي شرف إلى مكان مجهول. وتربص له أشرف، وأطلق الرصاص على السيارة التي كانت تحمل الخزانة، وأخذها إلى السادات ليجد بها كنزاً ثميناً. لقد كانت تضم كل الأوراق الخاصة بسامي شرف، وبسائر أفراد المجموعة، وأوراق الاتحاد الاشتراكي والتنظيم الطليعي الخاصة أيضاً، وأرقام الحسابات الخاصة في عدة بنوك.. لقد راهن أشرف، وكسب الرهان، وكان السادات يقول عنه دائماً: إنه نوّر طريقي!

وقد اختاره السادات، سكرتيرا له لشئون المعلومات، وكان أشرف على علاقة جيدة بعدد من أمراء الخليج، وبالقذافى والملك حسين، وكذلك بسعود الفيصل وكمال أدهم، وبتجار السلاح في فرنسا وإنجلترا... والمهم أن صعوده قد استمر وتواصل، وظل الرجل محل هجوم من الفريقين: الساداتيون والناصريون، ولا يزال.. وقد تقرب أشرف من جيهان السادات. ولا يزال قريباً منها إلى اليوم،

واشترك معها هي وفوزي عبد الحافظ، في إفساد زواج الشاب أحمد المسيري، من "لبنى" ابنة السادات من جيهان التي أرسلت رسالة إلى المسيري عن طريقي تقول له فيها: ابعد عن البنت فهي لا تحبك. كان المسيري شاباً ذكياً، واسع الأفق، طموحاً، كفئا، ومنطلقاً، وقد خاف منه أشرف، وخشي أن يحتل مكانه في الرئاسة، فأطاح به، فأبعده السادات وجعل مكتبه في مقر عابدين، وأرسله في مهمة إلى اليمن عاد منها بنجاح، وانتهى الأمر بإبعاده وإخراجه نهائياً من الرئاسة إلى وزارة الخارجية. كان يحب بنت السادات جداً، وعندما جاءني إلى طنطا، نصحته بالابتعاد عنها، ما دام الجو السائد، هو جو الدسائس والمشاحنات هكذا، ورأيت يومها أن ابتعاده هو الأفضل، لان الثلاثة (جيهان واشرف وفوزي) كانوا يقفون في طريقه، وكان السادات في الوقت نفسه عاجزاً عن فعل شئ من أجله، تحت ضغط هذا الثلاثي الخطير.

<١٢>

هكذا .... عاد الإخوان !

"والشيئ الذي ظل يحيرني طويلاً، أن كل الذين ساعدوا السادات، ووقفوا معه، سواء في ١٥ مايو أو قبلها .... كلهم...."

أستقر الأمر للسادات، بعد القضاء على مراكز القوى، ففكر في دعوة قيادات الأخوان الهاربة بالخارج، إلى العودة لمصر، وكانوا هم أيضاً على استعداد للتعاون معه. ومن هذه القيادات التي ذهبت أنا والتقيت ببعضهم في الخارج، بتكليف من السادات: د. يوسف القرضاوي، د. أحمد العسال، المهندس عبد الرؤوف مشهور، والمهندس عبد المنعم مشهور و د.سالم نجم.

وقد بدأ السادات بداية مشجعة معهم، فأفرج عن عبد القادر حلمي وصالح أبو رقيق، ولما ذهبت اليهم .. أبلغتهم بنية السادات فى فتح صفحة جديدة معهم، وأنه يريد أن يتعاونوا معا، لبناء البلد. وأعطى السادات تعليمات بإعادة الجنسية إلى الذين سحبت منهم جنسياتهم أيام عبد الناصر، وكان من بين هؤلاء، الدكتور سالم نجم، الذي سحب عبد الناصر منه جنسيته فحصل على الجنسية العراقية وأعاده السادات إلى طب الأزهر، وأعاد إليه جنسيته المسحوبة ..

وفى السعودية، التقيت بمجموعة من قيادات الأخوان، وكان ذلك موافقاً لليلة القدر، وفى الكعبة المشرفة، حيث اتفقنا على السماح بعودتهم جميعاً إلى مصر، وإعادة المفصولين إلى أعمالهم، وطلبوا هم إعادة حقوقهم المسلوبة، والسماح لهم بالدعوة، والإفراج عن معتقليهم.

كان السادات قد وضع خطة، يعتمد من خلالها على الأخوان، في محاربة الشيوعيين والناصريين، وبالفعل كلف محمد عثمان إسماعيل، بتشكيل جماعات إسلامية في الجامعات، ورعايتها، والإنفاق عليها من الأموال المخصصة لرعاية الشباب.

ولم يكن السادات يفكر في إعادة الإسلاميين وإنما كان يفكر في إنشاء مؤسسات وتنظيمات إسلامية، تستطيع أن تواجه الشيوعيين و الناصريين معاً. وقد قال لي يوماً أن

الشيوعيين والناصريين يتغلغلون في الدولة، وأنهم يتعبونه وسوف يستمرون في ذلك، ما لم تكن هناك جماعات قوية، ومؤسسات أقوى تستطيع كبحهم وضربهم، وكسر شوكتهم.

وفى رأيى، أن الجماعات الدينية بدأت العمل، بالفعل في الجامعة، أيام عبد الناصر، وخصوصاً بعد مظاهرات الطلبة، وقد كان عبد الناصر أيامها مكسور الجناح بعد هزيمة ٦٧، فلم يشأ أن يتصدى لهم. ويعود ظهور الجماعات، في الجامعة تحديداً، إلى الطالب عصام الشيخ، طالب الهندسة، الذي أسس جمعية دينية تحتفل وتحتفى بالمناسبات الدينية، ويحاضر بها كبار رجال الدين، ومن الذين فعلوا ذلك: الشيخ محمد الغزالي، الشيخ متولى الشعراوى، الشيخ حسن أيوب، الدكتور عيسى عبده. وبالتدريج، ومع مرور الوقت، بدأ أفراد الجمعية يؤدون شعائر دينية معينة داخل الجامعة، ويصومون، وينظمون إفطاراً جماعياً. وكان كل ذلك أيام عبد الناصر.

أختار السادات، محمد عثمان إسماعيل، أمين التنظيم بالاتحاد الاشتراكي، فانشأ جماعة شباب الإسلام، ثم نشأت الجماعات الإسلامية، بعد محاضرة. للشيخ الشعراوى في قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة، وكان من بين الذين برزوا أيامها: د.عصام العريان، د.عبد المنعم أبو الفتوح، د.حلمي الجزار، مهندس أبو العلا ماضى وغيرهم.

وبذلك، أصبح في الجامعات: جماعة شباب الإسلام، الجماعات الإسلامية، الشيوعيين، الناصريون. وكانت الثانية، أكثرهم شعبية، وكانت تتبع الأخوان المسلمين، وقد انشغلت هذه الجماعات بالتربية، وبضم الشباب إليها، ولم تدخل في صراعات فقهية، أو مناوشات مع الجماعات والقوى الأخرى.

في الوقت نفسه. دخلت جماعة شباب السلام، في مناوشات مع الناصريين والشيوعيين، وصلت إلى التشابك بالأيدي وأستخدام المطاوى والكرابيج.

وعندما فاز الطالب – وقتها – عبد المنعم أبو الفتوح، بموقع رئيس اتحاد الطلاب، أزداد نفوذ الجماعات الإسلامية، أما جماعة شباب الإسلام فكما ظهرت بسرعة، اختفت كذلك بسرعة.

وقام السادات بتعيين محمد عثمان إسماعيل، محافظاً لأسيوط، حيث رعى الجماعات الإسلامية كلها هناك، وكان له دور بارز، ومهم، في هذا الميدان.

وعند اكتمال تلك المصالحة التاريخية التي قمت فيها بدور فعال، واتمامها بين السادات، والأخوان، عادوا يركزون من جديد، على تربية النشء المسلم، وعلى بناء العقيدة، ولم يكن في حسابهم الاحتكاك بأية قوى سياسية أخرى. وقد راحوا يبحثون لهم عن موطئ قدم، في مؤسسات المجتمع المدني، وفى الجامعات، حتى سيطروا على أغلبها.

وكان السادات يعتبر محمد عثمان إسماعيل، إبنه البكر، وبالفعل كان عثمان إسماعيل قد قام بدور بارز في ١٤ مايو، عندما أخرج مسدسة وهدد به سامي شرف وشعراوي جمعه، وأخبرهما أنه مستعد لفداء السادات بحياته.

والشيء الذي ظل يحيرني طويلاً، أن كل الذين ساعدوا السادات، ووقفوا معه، سواء في ثورة ١٥ مايو، أو قبلها، لم يصعدوا في المناصب لأكثر من موقع محافظ.. إن محمد عثمان إسماعيل، مثلاً، لم يتول منصباً أعلى من منصب المحافظ. والليثي ناصف الذي قام بدور فعال ومؤثر، بل وحاسم، في ١٤ مايو، لم يعينه السادات في أي موقع لهم، وإنما أصدر قراراً بتعينه سفيراً فرفض الليثي، وسافر للعلاج في لندن، حيث سقط من شرفة شقته هناك... فمات.

وقبلها، كانت مشادة، قد حدثت بين الليثي وبين السادات، عندما غضب عليه السادات، لأنه أستولي على شقة في عمارة ليبون بالزمالك، كان السادات قد خصصها لأحمد درويش وزير الصحة الذى كان قد أصيب بشلل.

وفى موقف أخر، أنفجر السادات غاضباً عندما دخل عليه الليثي، ذات يوم حاسر الرأس، بغير "قايش" عسكري حول وسطه، فاعتبر السادات أن ذلك استهانه به، وراح يعنف الليثي، ويطلب منه أن يعرف حدوده ويلزمها.

وكانت للسادات، فلسفة خاصة، في هذا الشأن، وهى أنه لم يكن يحب الشللية، التي رآها أيام عبد الناصر، والتي تحولت إلى مراكز قوى كادت تقضى عليه نفسه.

وكان يحب أن يضع أشخاصاً، غير متحابين، ولا متفقين، في المواقع المهمة المختلفة حتى لا يتفقوا عليه، وحتى ينقل كل واحد، أخبار الآخر إلى السادات، فيكون هو المرجع بالنسبة لهم جميعاً.

وكان السادات يسمع كثيراً، لمن حوله، وكانت وشاياتهم تؤثر فيه، وفى قراراته، ويكفى ما حدث لأحمد المسيري مثلاً، الذي أطاحت به من الرئاسة وشايات أشرف مروان وفوزي عبد الحافظ. وهذا الأخير أطاح أيضاً، بوشاية منه، بالدكروري، مدير مكتب الرئيس للشئون السياسية قبل ١٤مايو، ورغم أن الدكروري خدم الرئيس طويلاً، وكان مخلصاً له جداً، إلا أنه أستمع لوشاية عبد الحافظ فيه، إضافة إلى وشاية أخرى من محمد عبد السلام الزيات، شقيق الدكتورة لطيفة الزيات، وكان وزيراً لشئون مجلس الشعب وله ميول يسارية.

وكنت أعجب، كيف يعمل السادات بهذا الأسلوب، وبهذه الطريقة، وكيف لا يحيط نفسه برجاله، ولكنها، على كل حال، كانت طريقته في الحكم، التي عاش ومات عليها .

ومن ناحيتى لم أسع، عنده، لمنصب إطلاقاً، وإنما كنت قد حددت طريقي، منذ البداية، أن أحترام مهنتى كطبيب وأتمسك بها ما حييت.

وعندما جعلني عضواً في مجلس الشورى، عند أنشائه، وفي دورته الأولى، انتقدت أداء ودور المجلس، وقلت إنه بلا لون ولا طعم ولا رائحة، فاستدعاني د. فؤاد محيي الدين، رئيس الوزراء، فكنت حريصاً على أن أوضح له، أنني أفهم العمل العام، بمعنى العطاء لا الأخذ، وأنني بالتالي، لا أحرص على عضويتي بالشورى، ولا بغيره، فأخرجوني في أول تغيرات في أعضاء المجلس، ولم أسعد بشيء قدر سعادتي بخروجي من مجلس الشورى.

آثرت الابتعاد عن احتراف السياسة، لأنني كنت، ولازلت، مقتنعاً جداً، بمهنتي كطبيب، وآراها أعظم المهن، ولم أفضل عليها أي شئ الإطلاق. ثم أن وضعي هكذا، يتيح لي، أن أعمل بحرية كاملة، وأن أتحاور وأتكلم مع كل التيارات والقوى السياسية، بغير تحفظ أو خوف وأنا في كل الأوقات، متمسك بمبادئ إسلامي، دون نفاق، أو زيف، ومستعد في الوقت ذاته، لأن أموت من أجلها، ولقد عانيت بسبب اختياراتي هذه كثيراً، ولكنها تريحني، على كل حال.

﴿١٣﴾

ثم قال السادات غاضباً:

هيكل نعم ....

هيكلية لا!

"ذهبت أشكو إلى السادات ففاجأني وقال: أسمع يا محمود . . ."

من خلال معرفتي الطويلة، والمتعمقة، بالسادات، أستطيع أن أصف حقيقة شعوره الداخلي، تجاه إسرائيل، وكيف انه كان يبتهج ويفرح كثيراً، كلما قامت منظمة فتح بتنفيذ أية عملية ضد إسرائيل. وكان أحياناً يسارع إلى الاتصال بي ليلاً، إذا وصلته أي أخبار عن عمليات فدائية جديدة ضد إسرائيل. كان يتكلم بسعادة غامرة، ويشعر بفرحة شديدة كلما تحدث عن البطولات الفلسطينية، وهى تلقن تل أبيب دروساً في البطولة والفداء.

ولا زلت اذكر، إلى اليوم. أنه بعد هزيمة٦٧، زار المصابين في مستشفى المعادى، وفى سائر المستشفيات، وكان يسمع منهم، ويحاول أن يعرف معلومات عن الهزيمة، وعن سر وقوعها بتلك السرعة الخاطفة. كان يريد أن يعي الدرس، وان يتعلم مما سبقه، من تجارب وأزمات، وان يكون على دراية بالأسباب الحقيقية التي قادتنا إلى الهزيمة، لأنه كان يخطط لمحوها تماماً.

وفي أحد الأيام، كان في ميت أبو الكوم، وبعد صلاة الجمعة، جلست معه، وكان مرتدياً جلبابه الأبيض، وراح يحدثني عما تعرض له ضباطنا وجنودنا في ٦٧، ثم بكى وهو يقول أن جيشنا قد تعرض لخدعة كبيرة، في ٦٧، وان عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، لم يمكناه، أي الجيش، من أن يحارب، ولا من أن يؤدى دوره الحقيقي البطولي الذي يليق به، وبمصر.

من يومها، ومنذ وقعت٦٧، أحس السادات بالعار، وبأن له ثأراً مع إسرائيل، وبأنه لابد أن يثأر لجيشه ولضباطه وجنوده، ولبلده، ودينه، وعروبته، ووطنه. كان يدرك تماما أنه لا حياة لمصر، ما لم تثأر من إسرائيل الثأر الذي يرد ما

حدث في٦٧، كان يحدثني عن كل ذلك، وهو لا يزال بعيداً عن الحكم، وحتى قبل أن يصير نائباً للرئيس.

وقبل٧٣، كان الجو مشحوناً للغاية، وكان المثقفون والكتاب، والصحافة، والجامعات، في واد، بينما السادات في واد أخر.

وذات يوم، كان جالساً في منزله بميت أبو الكوم، وكان منظره يشير إلى انه يفكر في شئ ما تفكيراً عميقاً. واذكر أني في ذلك اليوم، ذهبت أشكو إليه الدكتور محمود محفوظ وزير الصحة، وقتها، الذي كان قد وقع بيني وبينه صدام خفيف، لسبب ما.

ذهبت أشكو إليه، فقال: اسمع يا محمود... دعنا في الأهم... إنني سأحارب... فرددت عليه وقلت: إنني اعلم ذلك.... وكنت أقول ذلك لرفع روحه المعنوية لا اكثر، لأنني، في الحقيقة، لم أكن اعلم أي شئ عن تلك الحرب التي راح يحدثني عنها.

وعاد يقول: إنني أتحدث بجد يا محمود... سوف أحارب في خلال أسبوعين!... وهنا أفقت، وأخذتني دهشة شديدة، وتساءلت تحارب، تحارب مَنْ؟ قال: سأحارب إسرائيل، وسنعبر القناة، ولو أخبرت أحداً بهذا الأمر، فسوف أذبحك. قلت: ربنا معك، وليوفقك الله. وقمنا حيث التقينا بشقيقته التي كان يتفاءل بها كثيراً، وطلب منها أن تدعو له.

والى اليوم، أذكر أن شقيقته سألته، عما ينوى أن يفعله، خاصة وان شكله كان يوحي بان شيئاً عظيماً يشغله. رد عليها وطلب منها أن تدعو له... وخلاص. قالت يومها بتلقائية شديدة: ربنا ينصرك يا أنور يا اخويا على من يعاديك.

كانت هذه الواقعة، التي دونت في أوراقي، يوم ٢٦سبتمبر٧٣. وبعدها بأيام، كانت ذكرى رحيل عبد الناصر، وألقى السادات خطاباً، قال في ختامه عبارة لم يلتفت إليها أحد... إذ قال: مضى وقت الكلام وجاء وقت الجد وسنبدأ التنفيذ.

وبالنسبة لي، أدركت ما يقصده تماماً، في ضوء ما قاله لي في ميت أبو الكوم.

وقفت بعد إلقاء الخطاب، مع كل من الدكتور أحمد كمال أبو المجد، وزير الإعلام، وصلاح هدايت وزير البحث العلمي، ومحمد عثمان إسماعيل محافظ أسيوط فيما بعد، والمهندس أحمد عبد الآخر، محافظ الجيزة، والدكتور محمد الدكروري وكان محافظاً للدقهلية ومستشاراً سياسياً للسادات.

أخبرتهم، جميعاً، أن السادات سوف يحارب وطلبت منهم أن يكتموا الأمر، لأن الحرب، فيما بدا من خطاب السادات يومها، سوف تكون في خلال أيام قليلة.

بعد ذلك، أخبرني السادات، أن الحرب سوف تكون من٣ إلى ١٠أكتوبر، وكان قد ذهب وزار السيد البدوي بطنطا، وطلب من إمام المسجد أن يدعو له، وخرجت الجماهير تهتف بحياة السادات، حول المسجد.

وكان السادات، قد رتب أموره، مع الزعماء العرب، وخصوصاً الملك فيصل، الذي قام بدور رائع، وبطولي، أثناء الحرب، وارتفع سعر برميل البترول، بسبب موقف الملك فيصل الرائع، من ٤ دولارات إلى ٣٤دولاراً. وقد كان موقفاً بطولياً بحق من الملك فيصل ومن المملكة السعودية، وظل السادات يذكره، ولا ينساه، وكذلك المصريون جميعاً.

ولم يقصر اتصالاته وترتيباته على الخارج فقط، وإنما اتجه إلى الداخل أيضاً، وأراد أن تكون أرضيته الداخلية صلبة، يتحرك عليها وهو آمن مطمئن. لذلك كلفني بالذهاب إلى المرشد العام للإخوان المسلمين، الشيخ عمر التلمساني، طالباً منهم أن يقفوا بجوار السادات، إذا حانت اللحظة المناسبة، وإذا جاء وقت الجد، فأخبرني التلمساني أن الإخوان جميعاً، شباباً وشيوخاً، سوف يكونون خلف السادات، وسوف يضحون بأرواحهم وحياتهم، إذا قامت الحرب ضد إسرائيل.

وكان موقف التلمساني، وغيره من رموز القوى الوطنية، من العوامل التي رفعت روح السادات المعنوية، وجعلته يدخل الحرب وهو في أعلى درجات الثقة

بالنفس والجيش والبلد. كانت جميع القوى الوطنية على استعداد كامل، لخوض حرب شعبية كاسحة ضد إسرائيل، في أي وقت، وفي أي لحظة.

ونشبت الحرب، ووقعت الثغرة، بعد أن انتصر جيشنا انتصاراً حاسماً. وحدث خلاف بين الفريق سعد الشاذلي، رئيس الأركان، وبين المشير احمد إسماعيل علي، وزير الدفاع، حول الثغرة، وكان من رأى الشاذلي تطوير الهجوم وضرب الثغرة بالكامل، ولكن المشير رفض، وكذلك السادات. الذي خاف أن يفقد بسبب الثغرة النصر الذي حققه. وقد راح كل طرف يفسر موقف الثغرة، حسب رأيه الشخصي ورؤيته الخاصة، ولكن رأيي الشخصي، أن موقف السادات كان صائباً، بينما كانت آراء الطرف الآخر بعيدة عن المنطق إلى حد بعيد. كان موقف السادات واقعياً عملياً، وكان موقف الآخرين عاطفياً. وقد سألت السادات، بعد الحرب عن السبب الذي دعاه إلى عدم تطوير الهجوم وضرب الثغرة بكاملها، كما كان يريد الشاذلي، فقال لي السادات: اسمع يا محمود، إنني لم اكن أحارب إسرائيل، وإنما كنت أحارب أمريكا. ولو فعلت ما أراده الشاذلي لتكرر معنا ما حدث في٦٧. كانت أمريكا تمد إسرائيل بما تحتاجه من سلاح، في الوقت الذي كنت أحارب فيه أنا بأسلحة قديمة بالية... كان رجالي على درجة عالية من الكفاءة، ولكن هذا لا يكفي، ولو طورت الهجوم على الثغرة. لكان معنى ذلك، هلاك عدد كبير من ضباطي وجنودي، وهذا ما كنت حريصاً على تجنبه باستمرار، وعلى ألا يموت أو يستشهد ضابط أو جندي واحد، إلا بحق، وإلا إذا كان يحارب في ظروف لا تخونه، ولا تكون عبئاً عليه.

كان عبور بارليف، ملحمة بطولية، ليس لها مثيل، في تاريخ الحروب، وقام الإخوان، بقيادة الشيخ حافظ سلامة، بدور بطولي، في السويس، وتصاعدت المقاومة الشعبية هناك، إلى حد اذهل الكافة، واستمات الإخوان في المقاومة والدفاع عن المدينة، واعتبروا أن قتالهم هناك، امتداداً لكفاحهم ضد الإنجليز،

ولمواقفهم البطولية الدائمة، تجاه كل ما يخص الوطن، أو يتصل بمستقبله رغم أن محافظ السويس فى ذلك الوقت رفع راية التسليم لليهود.

وقد اكتشف السادات، بعد الحرب، أن الاتحاد السوفيتي قد خدعه، وان إسرائيل كانت تحارب بسلاح متطور جداً، بينما هو كان يقاتل بأسلحة قديمة لا ترقى إلى المستوى المواجه له على الضفة الأخرى. وقد وضع السادات كل ذلك، في اعتباره، عندما رفض تطوير الهجوم، بل ووافق على فك الاشتباك الأول والثاني، ووقع اتفاقية الكيلو ١٠١ لفك الحصار من حول مدينة السويس.

وبعد النصر العظيم، بدأ السادات يعيد ترتيب أوراقه، ويضع في حسابه انه لا مستقبل مع الاتحاد السوفيتي، وان القوة كلها في الغرب، وان أمريكا تملك أغلب أوراق اللعبة في المنطقة، وان إسرائيل ما هي إلا ولاية أمريكية في الشرق الأوسط.

والمشكلة أن أحداً لم يكن يفهم ما يدور في عقل السادات، ولا كان كثيرون قادرون على استيعاب ما يخطط له، في المستقبل. كان الرجل، بعد الحرب، يريد أن يتفرغ لبناء البلد، خاصة وان الأوضاع الداخلية كانت قد وصلت إلى الصفر، كما قال لي يوماً، وقد كان يريد أن يحقق آمال الشعب، وآن يحقق التنمية التي يراها لائقة بمصر، ومناسبة للمواطنين. ولا أنسى يوماً لقيته فيه، بعد عودته من زيارة لعدد من الدول العربية. يومها وجدته مهموماً مكتئباً، وهو يقول: يا محمود العرب ليسوا موافقين على سياستي، ولاهم فاهمين ما أريده.. كما انهم غير مقدرين لما حققته مصر من نصر، ولا يريدون أن يدركوا أن مصر، بعد الحرب، ظروفها صعبة جداً... ولن يعطوا لنا شيئاً.

وكان السادات، يؤمن بأن لكل مرحلة رجالها، الذين يستطيعون الاضطلاع بما تقتضيه من مهام. ولذلك بدأ طريق التغيير، في رجال الحكم، بعد أكتوبر، وبدأ الخلاف بينه وبين محمد حسنين هيكل، يصل إلى مداه، وكانت العلاقة بينهما قد وصلت إلى شبه القطيعة. بل أن هيكل كان يطلب لقاء السادات، أحياناً، عن

طريق فوزي عبد الحافظ، فلم يكن يتلقى أي رد. وكـان السـادات إذا سمـع اسـم هيكل، قال بسرعة: هيكل نعم ... ولكن هيكلية لا! وقد فهمـت مـن السـادات، أن هذا التعبير، هو للدكتور علـي السـمان، الـذي كـان قـد قالـه، في عهـد عبـد الناصر، كشرح لأسباب اعتقال جمـال العطيفـي، أحـد كتـاب "الأهـرام".. ويعـني التعبير، أن هيكل له مكانه، وترتيب أهميته، في عهـد عبـد النـاصر، أمـا أن ينشـأ تيار حوله يمثل أفكاره، فهذا مستحيل ونفس القاعدة تنطبق على واقعـة احتجـاز نوال المحلاوي، سكرتيرة هيكل، أثر تسجيل مكالمة لها مع لطفي الخولي.

ولعل موقف هيكل من الثغرة، هو الذي اغضب السادات عليه بشـدة. لقـد كان هيكل يردد أن الثغرة تمثيلية تليفزيونية، قامت بها إسـرائيل، وكـان يصـر في كتاباته وتصريحاته للمقربين منه، أن الموقف على الجبهتين المصرية والسورية اصبـح متماثلاً، بعد أن وصلت القوات الإسرائيلية إلى القنطرة شرق، والى منطقة سعسـع بالقرب من دمشق. ومن شدة غضب السادات، استدعى هيكـل، الـذي ادعـى أن حسين الشافعي، هو الذي يردد أن الثغرة تحولت من جيـب إلى "كـرش"... ولقـد انتظر السادات إلى ما بعد الحرب واستغنى عن خدمات هيكل نهائياً، وأخرجه من الأهرام، حصنه الحصين، وحاول السادات أن يجمل ويخفـف قـراره فـأصدر قـرارا آخر بتعيين هيكل مستشاراً صحفياً، ولكن هيكل رفض، لأنه كان يعلم أنه منصب شرفي بالطبع. وخرج هيكل بعدها من دائرة السـادات إلى الأبـد، وبـدأ السـادات يهاجمه هجوماً عنيفاً، ويصفه بأنه كان من "مراكز القوى" وهو نفس التعبير الـذي أطلقه السادات على رجال عبد الناصر من قبل، بنصيحة من هيكل نفسه، وأثنـاء أحداث ١٤ مايو ٧١.

وقد حدثت واقعة، أيامها، ربما كانت هي الـتي عجلت بخروج هيكـل، مـن الأهرام، ومن دائرة حكم السادات كلها، حينما كان السادات مجتمعاً مـع هـنري كسينجر، فسأل هيكل محمود رياض، وزير الدولة للشئون الخارجية، عمـن حضـر الاجتماع، فاخبره بان الاجتماع مقصور عليهما فقط، فضرب هيكل علـى المـائدة بيده وقال: أنا قلت الرئيس ما يقعدش لوحده! ولما سمع السادات هذه العبارة قال

بغضب شديد: أنا اقعد لوحدي زي ما أنـا عـاوز.. ولازم هيكـل يعـرف أن عهـد التلقين انتهى وقام أشرف مراون بإبلاغ الرئيس بكلام هيكل.

والحقيقـة أن هنـاك مـن لعـب دوراً كبـيراً، في إشعال النـار، بـين السـادات وهيكل، وكان لموسى صبري ومصطفى أمـين، تحديـداً، دور كبـير في هـذا الشـان. كان موسى يطمع إلى أن يحقق مع السادات المكانة التي سـبق وحققها هيكـل مـع عبد الناصر، وكان مصطفى أمين لا يزال يذكر ثأره القديم مع هيكل.

ولذلك اجتمع الاثنان على هيكل، وعندما حاول السادات، أن يعـين هيكـل وزيراً للإعلام، رفض كل من موسـى صـبري ومصطفـى أمـين الفكـرة، وراح كـل واحد منهما يدس لهيكل عند السادات، حتى أفسدا الفكرة نهائياً، وتراجـع عنهـا السادات تماماً. وعرض على هيكل أن يعود إلى الجمهورية، أو إلى أكتوبر، فرفـض وأصر على الأهرام، التي لم يكن السادات يريده أن يعود إليها مرة أخرى أبداً.

كان السادات يريد أن يعيد هيكل، على طريقته، وليضرب به، من حوله من كبار الصحفيين، وخصوصـاً مصطفـى أمـين، ولكـن هيكـل رفـض العـودة بشـدة، وذهبت محاولات الصلح بين كل من السادات وهيكل، أدراج الرياح، ونجـح كـل من مصطفى أمين وموسى صبري، في توجيه الضربة الأخيرة، إلى هيكـل مـن خـلال السادات.

وحاول موسى صبرى أن يلعب نفس الدور مع إبراهيم سعده فقد طلب مـن السادات أن يتفرغ إبراهيم سعده لجريـدة مـايو ويـترك أخبـار اليـوم... وعلمـت بالواقعة من السادات وأخبرت إبراهيم سعده فى اليوم التالى فوراً عندماً قابلته فى مجلس الشورى وكنا أعضاء بالمجلس.. وذهب إبراهيم سـعده وقـابل السـادات وتم إلغاء القرار. فقد كان إبراهيم سعده يتمتع بتقديـر كبـير مـن السـادات حتـى أن موسى صبرى نفسه وكذلك جميع الصحفيين فوجئوا بتعيين إبراهيـم سـعده رئيسـا لتحرير أخبار اليوم فى اجتماع السادات بهم عندما سأل عنه وأجلسه فى الصـف الأول وذهل موسى صبرى نفسه ذهولاً شديداً.

﴿١٤﴾

نجوم العصر

"وقد سألت السادات يوماً عن سر تمسكه بأشرف مروان فقال. . . ."

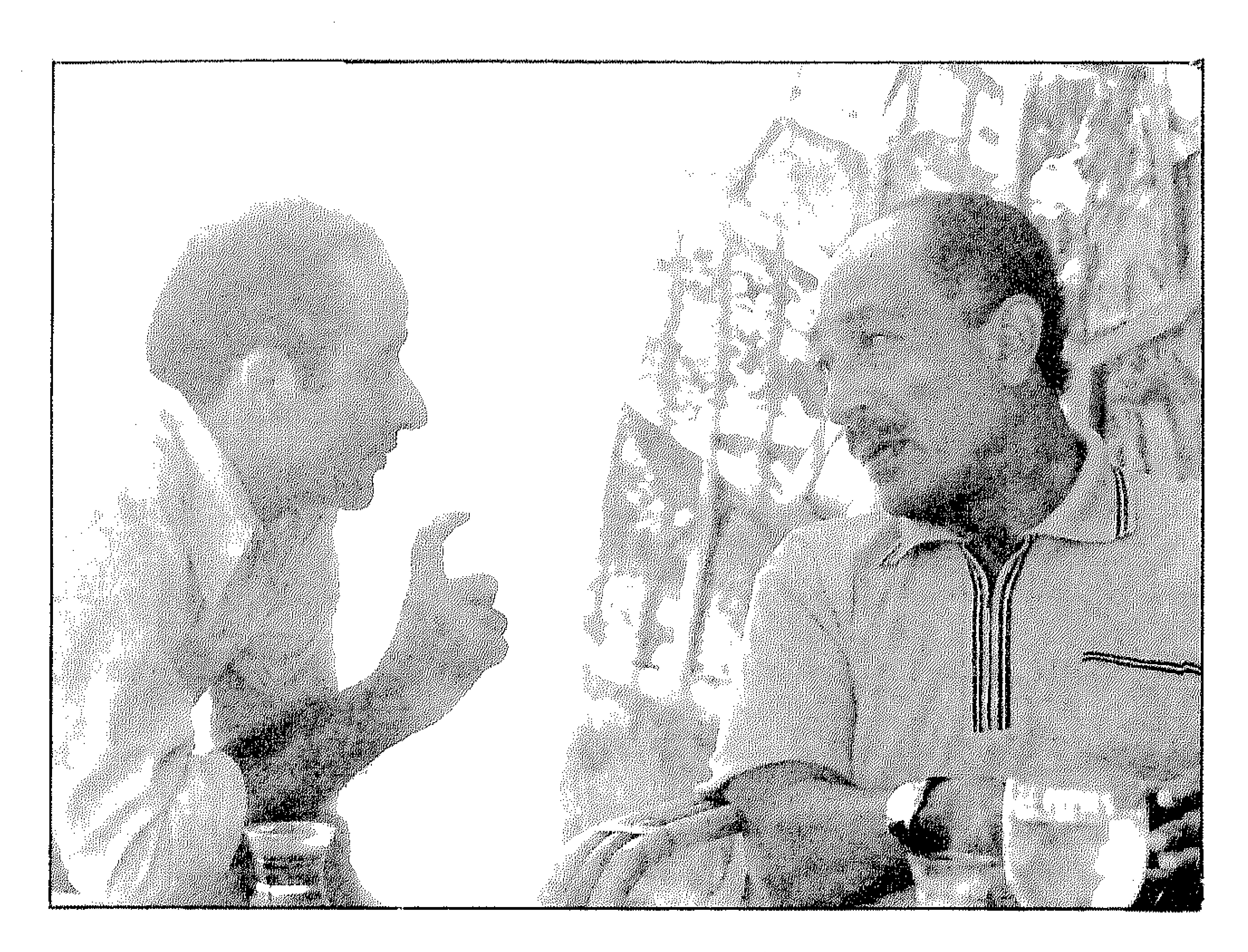
كان انتصار أكتوبر، بالنسبة للسادات، نقطة فاصلة في حياته، وانعكس ذلك على تصرفاته وقراراته، بعد الحرب، واصبح اكثر نرجسية، وكبرياء، ولم يعد يطيق أن ينافسه أحد، في قرار، أو حتى في رأي يراه.

وقد كان ذلك طبيعياً جداً، إذ أذهل نصر أكتوبر، الجميع، بمن فيهم السادات نفسه.

وكانت بداية ضيقه بالرأي الآخر، متمثلة في إطاحته بالفريق سعد الدين الشاذلي، الذي كان له رأى آخر، كما رأينا وعرفنا، في مسألة الثغرة. لم يكن السادات، يطيقه، بعد ذلك اليوم، يوم الثغرة، وأبعده عن الجيش تماماً، وأرسله سفيراً لمصر في لندن، ثم في البرتغال، وبعدها استقال الشاذلي، وتنقل بين بعض العواصم، وهو يهاجم السادات بضراوة، مستغلاً وسائل الإعلام العربية والأجنبية، وكان بعضها يقف موقفاً عدائياً من السادات.

أما المشير الجمسي، فقد أطيح به هو الآخر باعتباره ضحية أخرى من ضحايا تسلط السادات، ونرجسيته التي تضخمت شيئاً فشيئاً، وراحت تفتك بكل من يعترضها، لم يكن الجمسي مرناً، ولا كان قادراً على استيعاب آراء ونرجسية السادات، الذي لاحظ أن الجمسي يعامل رجاله في القوات المسلحة بشدة قد تكون زائدة عن الحد لجيش حصل على أول أنتصار عظيم بعد هزيمتيين فحذره السادات.. من ذلك، ولكن الجمسي لم يستجب، ووصلت الأمور إلى حد خطير، بين الجمسي وبين بعض الضباط فتدخل السادات وأقال الجمسي، وعومل الجمسي معاملة غير كريمة في الإقالة وبعدها، بأن أختار تاريخاً لإقالته يسبق العرض العسكرى الذى كان الجمسي هو الذى دعا ضيوفه وإن كان السادات قد أنكر

انه كان وراء ذلك بعد أن انتشرت شائعات عن أن المعاملة غير اللائقة التي لقيهـا الجمسي، كانت بتعليمات من السادات ومنها تقطيع أسلاك التليفونات فى منزلـه وسحب السيارات وكشك الحراسه.



السـادات وعلى السمان في لقاء خاص بشاطئ المعمورة

استقرت، إذاً، السياسة الجديدة للسادات، بعد أن أطاح بالشاذلي والجمسي، وبدأ يعتمد على رجال جدد، وأطلق يد عثمان أحمد عثمان، فيما يخص المسائل الاقتصادية، إذْ كانت المشورة، في هذا الميدان، لعثمان أحمد عثمان، وكان السادات يستمع لرأيه، ويأخذه في الحسبان إذا ما تعلق الأمر بشأن اقتصادي بحت. وقد كانت هناك صلة نسب بينهما، بعد أن تزوجت جيهان، أصغر بنات السادات، من محمود ابن عثمان.

وعلى جانب مختلف، كان سيد مرعى، يرتبط بعلاقة نسب ومصاهرة، هو الآخر، مع السادات، بعد أن تزوج ابنه حسن مرعى، من نهى ابنة السادات.

وكانت المشورة، في المسائل الداخلية، وشئون الأحزاب ومجلس الشعب، من اختصاص سيد مرعي. وكان السادات يردد كثيراً، أثناء اجتماعاته مع المسئولين، انه ترك لسيد مرعي ترشيح قيادات العمل الحزبي، كما يشاء.

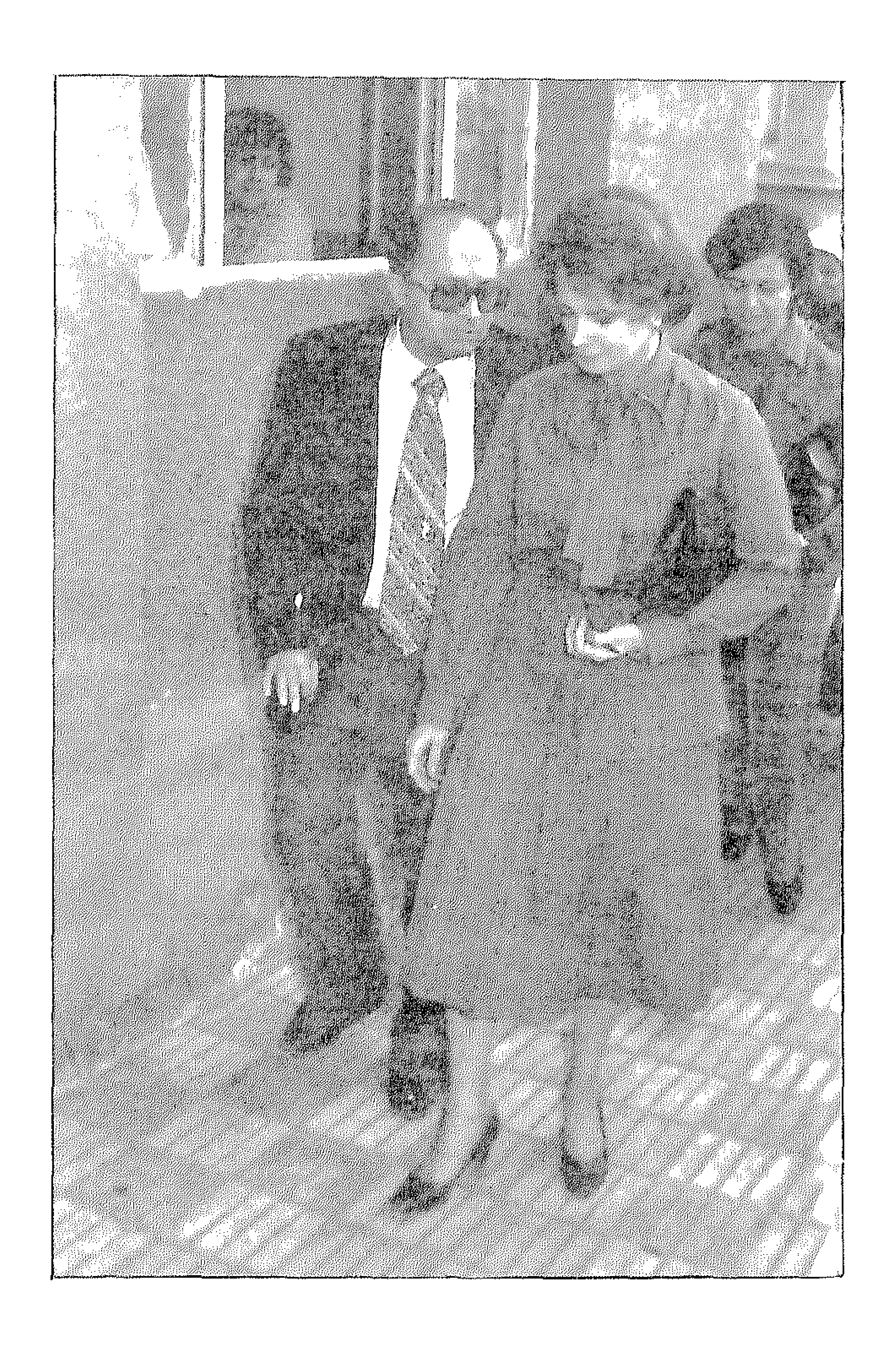
ومن الناحية الأمنية، كان السادات يعتمد على ممدوح سالم، وكان يطمئن إلى أشرف مروان، فيما يتصل بالشئون الخارجية، نظراً لصلات أشرف، في هذا الشأن.

وقد برز الدكتور على السمان بجانب السادات، وبزغ نجمه في تلك الفترة، وطوال ما تبقى من عصر السادات، الذي اعتمد عليه، وكلفه بمهام سرية، وكبيرة، وضخمة، مستغلاً علاقات الدكتور السمان الواسعة، في أوروبا، ومع مسئولين غربيين كثيرين، واتصالاته الحميمة، مع عدد كبير من رموز السياسة والفكر في الغرب، وسوف يأتي ذكر ذلك تفصيلاً في فصل لاحق.

وفى بعض الأوقات، كان السادات يعتمد إلى حد ما، على حسن التهامي، خاصة فيما يتعلق باتصالات عملية السلام، فى بداياتها الأولى.

ومن رجال الجيش، والأمن القومي، كان اطمئنان السادات، متجهاً في أغلبه إلى الفريق احمد إسماعيل على، ثم إلى حافظ إسماعيل الذى كان يعتبر أحد آباء

الجيش المصرى، وكان دائماً وطنياً وموضوعياً فى أتجاهاته، ولهذا كلفه عبد الناصر بتولى مهمة تطهير وتنظيم المخابرات العامة بعد نكسة ٦٧.



السيدة جيهان السادات ودكتور جامع وفى الخلف د/ آمال عثمان وزيرة الشئون الاجتماعية

وبدأت الصراعات، من حول السادات، خصوصاً بين جيهان السادات، وبين عثمان أحمد عثمان، الذي كان أكثر حساسية لكل الذين يحاولون التقرب من الرئيس، وكان بزوغ نجم منصور حسن، في وقت من الأوقات، مثار غضبه وضيقه، وخاصة عند تعيين منصور وزيراً للإعلام والثقافة.

كانت جيهان تميل إلى التعامل مع سيد مرعى، أكثر من ميلها إلى عثمان، وقد حدثت بينهما وبين عثمان أزمات كثيرة، أشهرها تلك التي نشبت بسبب تدخل عثمان، في حديث صحفي كان السادات يدلى به، لصحفي أجنبي أحضره أنيس منصور، ووصل الأمر إلى حد أنها منعت عثمان من حضور تسجيل الحديث وغضب عثمان جداً، ولكن السادات، كعادته دائماً، لم يكن يحب أن يتدخل في مثل هذه الأمور، لأنه كان يراها أموراً صغيرة.

واشتدت الحملة، من رجال السادات، على أشرف مروان، الذي كان دائم الصعود، كالصاروخ، وقد حدث أن اشترت زوجته منى عبد الناصر، قطعة ارض في كرداسة مساحتها ٢٣فداناً، ودفعت ١٥٠ألف جنيه ثمناً لها، واستخدم أشرف نفوذه كسكرتير لرئيس الجمهورية، في تسهيل عملية البيع، ووقع الخطاب الذي كان يحمل توصية أشرف... وقع في يد جلال الدين الحمامصي، الذي شن حملة عنيفة على أشرف، واتهمه بأنه يحاول إعادة مراكز القوى من جديد، فلم يجد السادات مفراً، من تحويل الأمر برمته، إلى المدعى العام الاشتراكي.

وفى وقت لاحق، أشترى أشرف قطعة أرض أخرى، باسم زوجته، ثم باعها وكسب فيها مبلغاً كبيراً، واتضح أن المشترى كان هو كمال أدهم، رجل الأعمال والبليونير السعودي المعروف زوج شقيقة الملك فيصل، وتسربت الأوراق إلى الحمامصي، الذي جدد حملته على أشرف، ولكن السادات لم يتخذ إجراء هذه المرة.

وكان السادات كلما تمسك بأشرف، كلما ازدادت الحملة ضده أقصد أشرف - ضراوة وعنفاً، وكان تبرير السادات لاشتعال نار تلك الحملة. هو أن

أشرف فيه من رائحة الناصرية. كما انه كان مساعداً لسامي شرف، وهذان السببان كافيان لان تظل الحملة ضده قائمه، ومشتعلة، ومتواصلة.

وقد سألت السادات، يوماً، عن سر تمسكه بأشرف مروان، فقال أن أشرف صاحب علاقات واسعة، مع البلاد العربية، ومع عدد كبير من أمرائها وقادتها، وانه قريب، في السن من القيادات في ليبيا، وكل ذلك كان سبباً كافياً، لان يبقيه السادات، ويستفيد منه. وقد كان السادات يثني عليه، وعلى أمانته وكفاءته في توصيل الرسائل المطلوبة، وعلى قدرته على التعامل مع الأمراء العرب، وعلى إقناعهم بمطالب ووجهة نظر القاهرة.

وجاء وقت، لم يعد السادات فيه، قادراً على حماية أشرف، ولا على الوقوف في وجه الحملات المتتالية، التي كانت موجهة ضده باستمرار، وبلا توقف.. وأرسل السادات، أحمد المسيري، الذي كان أشرف وفوزي عبد الحافظ سبباً في خروجه من الرئاسة، والإطاحة به بعيداً، بعد أن طلب أن يتزوج إحدى بنات السادات.... أرسله إلى لندن وكلفه بان يتقصى عن بعض تصرفات أشرف، التي يثار حولها كلام كثير، وعاد المسيري بعد أن أدى مهمته بامتياز، حاملاً معه ملفاً متخماً بمخالفات وتصرفات ضد أشرف، وبعد أن اطلع السادات على الملف، اصدر قراراً، يوم ٢١مارس٧٦، بإبعاد أشرف عن الرئاسة، بعد أن كان قد تحول إلى سامي شرف آخر، وجعله رئيساً للهيئة العربية للتصنيع، وألغى منصبه السابق، في الرئاسة، وقد قوبل القرار سعادة غامرة، من أعداء أشرف، وإن كانوا قد استاءوا من تعيينه في الهيئة العربية للتصنيع.

ورغم كل ذلك، لم تهدأ الحملة أيضاً، ضد أشرف، وظلت تلاحقه حتى وهو في الهيئة العربية للتصنيع، رغم أن الهيئة وهذه شهادة لوجه الله، قامت على أكتاف أشرف، وبعمله وعلاقاته، وجهده، وتفكيره، حتى أصبحت مؤسسة عملاقة. كان السادات نفسه يعترف بذلك، وكان الحكام العرب يقرون بدور أشرف، في بناء الهيئة.

وتضاعف حجم الشائعات، التي راحت تلاحق أشرف، وكان السادات كلما سئل عن سر تمسكه بأشرف، قال أن أشرف، قدم لمصر خدمات جليلة، قبل حرب أكتوبر، عندما نجح في إقناع كثير من الدول العربية، بتقديم السلاح والمساعدات المختلفة.

ومضى خصوم أشرف أو أعداؤه، وقد كانوا كثيرين،... مضوا يتصيدون له الأخطاء، ويتيحون له الفرصة، حتى نجحوا في تسجيل لقاء له مع بعض الحكام العرب وكان ينتقد فيه سياسات السادات، الذي غضب منه بشدة.

وبقى ملف، أشرف رغم كل ذلك مفتوحاً، لفترة أخرى.

﴿١٥﴾

ملف عائلة الرئيس

" وطلب فوزي عبد الحافظ سكرتير السادات من السفير أحمد المسيري أن يخرج من سرادق عزاء عاطف السادات بناءاً على رغبة ...."

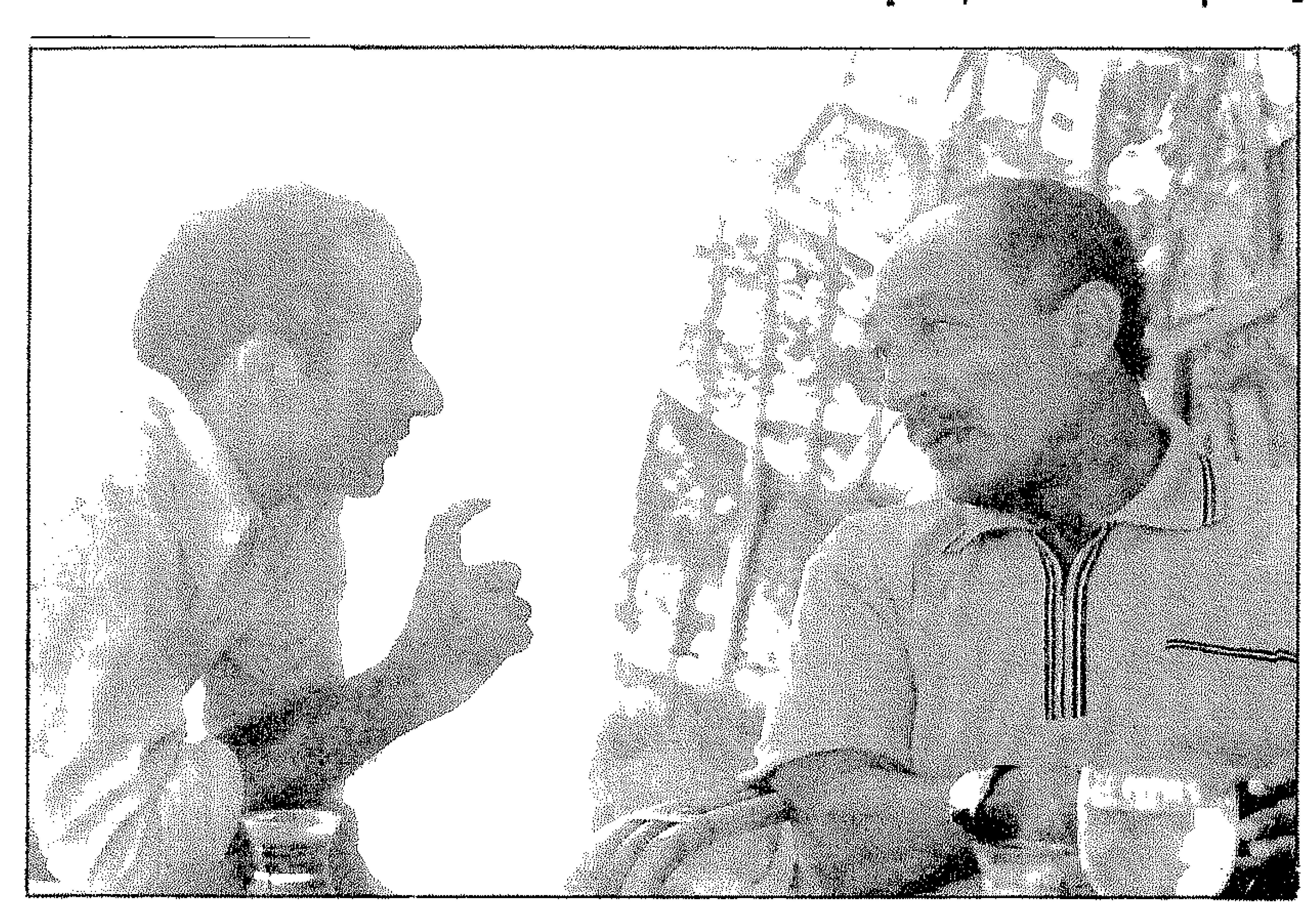
لم ينجح جلال الدين الحمامصي، في الإطاحة بأشرف مروان نهائياً، فجاء موسى صبري، وراح هو الأخر، يجرب حظه، ويشن الحملات المتوالية، والضاربة، على أشرف، ويمد أعضاء مجلس الشعب، وفى مقدمتهم الدكتور حلمي مراد، بما يصلح لتقديم استجواب عن حجم أعمال أشرف، الذي ظل، كما هو، بل وذهب يشكو للسادات، من أن هناك من يتصنت على مكتبه وأنه قد ضبطهم بنفسه بعد عمل كمين وتبين أنهم من جهاز رقابي بالدولة.

وقد فهم البعض، من حملة موسى صبري، أن وراءها ضوءا أخضر، من الرئاسة، ومن السادات شخصياً. ولكن السادات، فيما يبدو، لم يكن راضياً، عن تلك الحملة، ولا كان راضياً أيضاً عن تشويه سمعة أشرف. ومع تزايد خوف السادات من تضخم حجم علاقات وتعاملات وصفقات أشرف، أصدر قراراً يوم ٩أكتوبر ١٩٧٨ بإبعاده عن الهيئة العربية للتصنيع.

وأستغل موسى صبري، قرار الإقالة، أبشع استغلال، ونشره بشكل ضخم، في الصفحة الأولى، من "الأخبار" (هكذا: وانتهت أسطورة أشرف مروان بقرار جمهوري.) وعندما رأى السادات الجريدة غضب بشدة، وطلب موسى صبري على التليفون، وعنفه، وأمر برفع المانشيت من الطبعات التالية، ووضع مكانه بياناً، صادر عن رئاسة الجمهورية، يقول (تعيين أشرف سفيراً من الدرجة الممتازة، بوزارة الخارجية.) وأن الرئيس قد كلفه بالسفر إلى ثلاث دول عربية (السعودية، قطر، الإمارات) لإجراء اتصالات مع قادتها. وكان الهدف من كل ذلك، التخفيف من وقع الحملة على أشرف، حتى يختفي عن الأنظار، وهذا ما حدث بالفعل، بعد أن كان قد جمع ثروة هائلة.

وكان موسى صبري، في حملته على أشرف، يريد أن يأخذ إلى جانب السادات، المكانة التي كان هيكل يحتلها بجوار عبد الناصر، خاصة وأن موسى قد عرف السادات، في المعتقل، في الأربعينات. ولكنني عرفت من السادات أن أنيس منصور، كان هو الأقرب إلى قلبه، من بين كل الصحفيين، وأنه لذلك كان يكتب خطب السادات، في المناسبات الهامة، وقبله كان موسى يكتبها لفترة قصيرة، وقبلهما معاً كان أحمد بهاء الدين، هو الذي يكتب خطب الرئيس، الذي كان يستدعيه من الكويت، حيث كان بهاء يعمل هناك في مجلة "العربي" الكويتية.

وقد أحب السادات، أنيس منصور، دون سواه من كبار الصحفيين، وكان السادات يكلفه بمهام كبيرة، في الاتصالات مع الإسرائيليين، وقد وجد السادات من أنيس تجاوباً كبيراً، في تأييده لسياسة السلام الجديدة، وفي الوقت ذاته، قام أنيس، من خلال مجلة "أكتوبر" التي رأسها ومن خلال غيرها من المطبوعات التي كان يكتب فيها.. قام بتهيئة الرأي العام، لعملية السلام، التي كان السادات قد أستعد للدخول فيها.



دكتور جامع وحديث هامس فى أذن عثمان أحمد عثمان

وكان السادات، قد أفرج عن مصطفى أمين، في قضية التجسس الشهيرة، بعد ضغوط من جيهان السادات والدكتور علي السمان، ومحمود أبو وافية وأحمد رجب بحضور الدكتور علي السمان يوم زفاف أبنة السادات ببيت الجيزة، وقد راحوا جميعاً يضغطون على السادات، للإفراج عن مصطفى أمين، فأفرج عنه صحياً، وأبقى التهمة معلقة، ليستفيد منها، عند اللزوم.

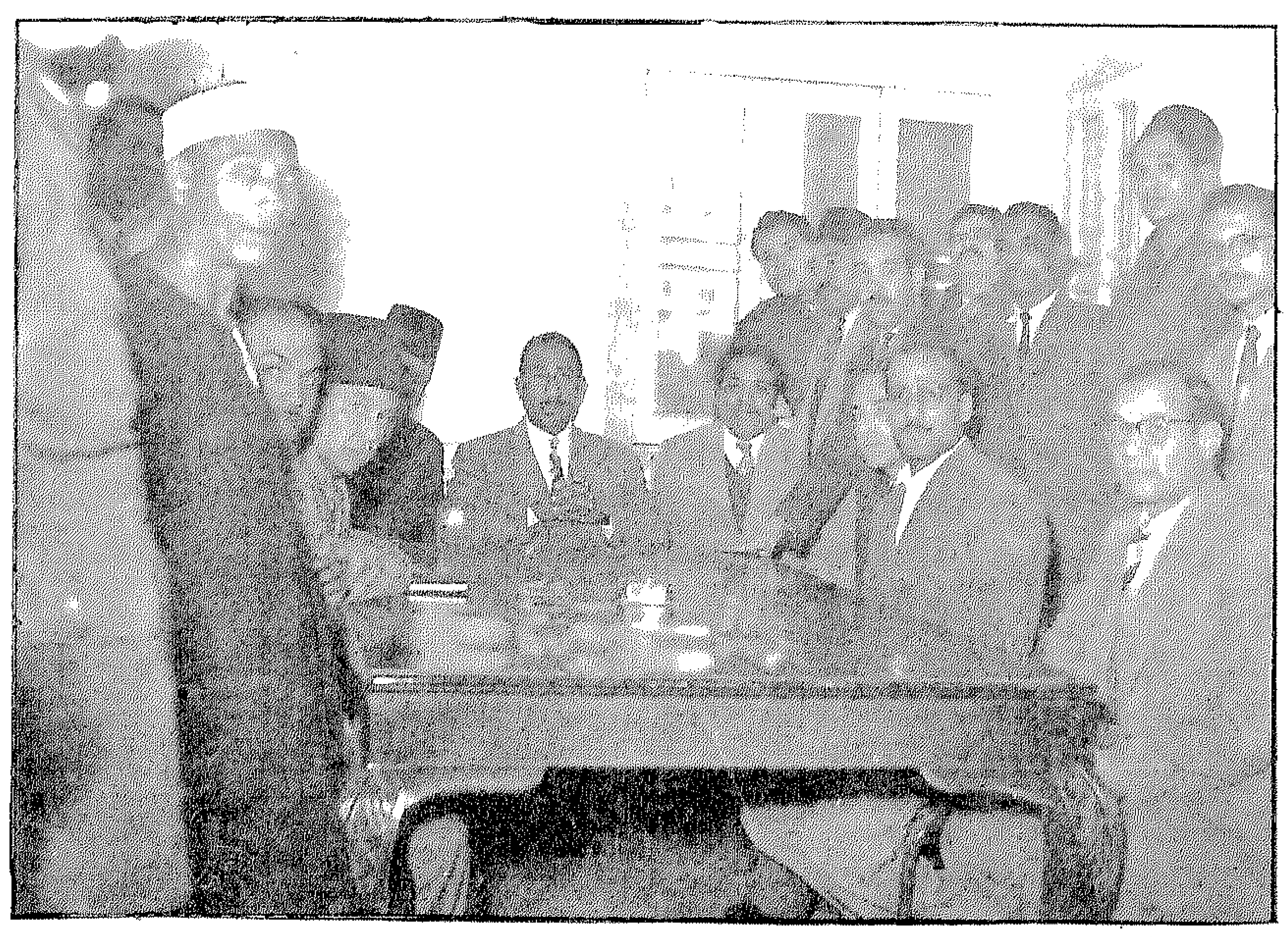
ولكن العلاقات بين السادات ومصطفى أمين، لم تبق ودية، كما بدت عند خروجه من السجن، وخاصة بعد أن بدأ مصطفى أمين يفتح ملف السجون والتعذيب، ويعرى نظام عبد الناصر، كاملاً، ويضربه بضراوة، وعنف، رغم تحذير السادات له أكثر من مرة.

وكان السادات، على مستوى أخر، يجد حرجاً كبيراً، فيما يخص اقتراب أو تدخل أحد من أسرته في شئون الحكم، وقد قيل كلام كثير، عن سطوة جيهان السادات وتدخلها، ونفوذها، وعن أشقائه، وأغلب هذا الكلام، كان من قبيل الأساطير، وتسبب في أن السادات كان يرفض مساعدة أشقائه وشقيقاته في ابسط الأمور، وكان يجد في ذلك حرجاً بالغاً.

وكان عصمت السادات، شقيق الرئيس، هو الذي حظي بنصيب كبير من الأضواء والنجوم معاً. وقد عرفته عن قرب، وأشهد أنه كان ودوداً، اجتماعياً، لطيفاً، وكان قادراً بذكاء شديد، على أن يحيل التراب بين يديه إلى ذهب، وكان رجل أعمال ناجحاً، من الطراز الأول. وأنا أعرف أنه سافر مرة إلى الخارج ، وزار أوناسيس ملياردير اليونان المعروف الذي أهدى له يختاً، فخشي عصمت أن يحضره إلى مصر، لأن أصدقاءه حذروه من أن السادات سوف يصادره. أروى هذه الواقعة، لأقول أننا، كمجتمع مصري، يجامل أقارب وأبناء المسئولين، دون أن يكون للمسئول علم أو أي ذنب في ذلك. ونحن جميعاً نعرف، أن الناس تجامل سائق أي مسئول كبير، لمجرد أنه سائق له، وبغير أن يتدخل أحد ويطلب أو يأمر بهذه المجاملة.

والذين شنوا حملة شعواء على عصمت السادات، وكان عليهم أن يسألوا أولاً، عن ثروات أبناء وأقارب جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة، فيما عدا محمد نجيب، الذي عاش

أولاده وأحفاده ولا يزالون، عيشة الكفاف. ومن أبناء الرؤساء السابقين وأعضاء مجلس الثورة من يقتني طائرات خاصة رابضة في مطارات مصر – ولنشات فاخرة في موانيها من الإسكندرية والغردقة وقصور وشاليهات علاوة على الأموال والقصور في خارج مصر.



السادات فى أول الثورة مع عصمت السادات ودكتور جامع فى طرف الصورة واقفا.

لقد ظلموا عصمت السادات، ظلماً بيناً، خصوصاً عندما جعلوا محاكمته أمام القاضي الذي حاكمه، لأنني أعلم وهذا شهادة لوجه الله، أن شقيق القاضي إياه، وكان قد تقدم في وقت ما لأبنة السادات، فرفض الرئيس، وظل القاضي يحملها فى قلبه حتى وجدها فرصة، ومضى يهاجم السادات، من خلال قضيته عصمت، وأستغل القضية نفسها، وأخذها طريقاً إلى التهجم على السادات وعصره. وقد أخبرت الدكتور فتحي والى، محامى عصمت بذلك، فندم على أنى لم أخبره منذ البداية.

وعندما وقف السادات، في مجلس الشعب يقول أن قرار الاعتقال الوحيد الذي أخذه حتى ذلك التاريخ، هو قرار اعتقال شقيقه الأكبر الحاج طلعت السادات، كان صادقاً. وكان يروى عن قصة حقيقة، موجزها أن شقيقه ذهب يستقبل أحد أصدقائه القادمين من

الخارج، وأستغل قرابته للرئيس، وطلب تسهيل خروج، صديقه ولكن أجهزة الأمن كانت تعرف أن ذلك الصديق يحمل معه أشياء ممنوعة، فاتصلوا بممدوح سالم وزير الداخلية الذي افهم طلعت السادات حقيقة الأمر، فترك لهم حرية التصرف مع صديقه، مادام أمره هكذا.

وعندما علم السادات بالواقعة، أمر باعتقال شقيقة، وظل في السجن ٧شهور كاملة. وكان ذلك في بدايات عصر السادات (١٩٧١).

وأعتقد، أن أسرة السادات، وأفراد عائلته المقربين لم يستفيدوا من وضعه كرئيس جمهورية، وكما أشيع وأشاع أعداؤه وخصومه عنه، ولا يزالون.

ونحن نعرف، أن عاطف السادات، شقيق الرئيس، قد أستشهد في حرب أكتوبر، عندما جاءه أمر بالعودة، فلم يستجب، وظل يطارد سرباً من الطائرات الإسرائيلية، حتى سقطت طائرته، وسقط شهيداً، بعد أن تفحمت جثته. وللسادات أيضاً شقيق أخر، هو عفت السادات، وهو من أشرف الرجال الذين عرفتهم، وكان ضابطاً ترقى في المخابرات حتى صار وكيلاً للجهاز، وأحيل إلى التقاعد، وكان أخر موقع تولاه، هو مستشار محافظ الإسماعيلية. وبالنسبة لجيهان السادات، أعتقد أن الناس قد فهموها خطأ، وفهموا أنها كانت تتدخل في الحكم، وتصدر قرارات وتلغي قرارات، وهذا غير صحيح بالمرة. لقد ظل السادات، فلاحاً، كما هو، حتى بعد أن صار رئيساً للجمهورية، وكان يرفض مطلقاً، أن تتدخل زوجته وتفرض عليه رأياً أو قراراً لا يرضاه. وإن كانت جيهان قد اتخذت بعد وفاة السادات قراراً لا يرضاه السادات ولا نرضاه نحن وهي أنها باعت "استراحته والأرض التي حولها، كما أنها باعت أيضاً مدفن أسرته في ميت أبو الكوم.

وقد كانت جيهان السادات. تحب أن تكون على علم بما يجرى في البلد، وبمن سوف يستقبلهم الرئيس، وكان فوزي عبد الحافظ. يرضي غرورها ويشبع رغبتها، في هذه النقطة، فكان يقدم لها تقريراً وافياً، عن كل شئ، يومياً. صحيح أنها تدخلت في بعض الأخبار، ولكن تدخلها، كان في أمور إنسانية، كقضية مصطفى أمين، على سبيل المثال، وقد كانت مهتمة بقانون الأحوال الشخصية، الذي جلب عليها هجوم رجال الدين والجماعات الإسلامية.

كان الوزراء والمسئولون، يتقربون إليها، ويتطوعون بفعل أي شئ يرضيها، ظناً منهم، أننا سوف تزكيهم عند الرئيس، ولكن تخمينهم كان خاطئاً، لأن قرار السادات، كان من دماغه دائماً.

والذين يضخمون من أمر جيهان، ويصورونها على أنها كانت تتدخل وتعزل الوزراء، وتعينهم، يظلمونها، ويصورون الأمور. على غير حقيقتها. وربما كان حب جيهان، لحضور الاحتفالات، وشغفها بالظهور، ونشاطها الإجتماعي والخيري قد ساعد، بشكل أساسي، في وجود مثل هذا الانطباع، ورسوخه لدى الناس، في غالبيتهم.

وأذكر أن فوزي عبد الحافظ سكرتير السادات أخرج السفير أحمد المسيري خطيب كريمة السادات السابق من سرادق عزاء الشهيد عاطف السادات في ميت أبو الكوم أمامي وأمام الجميع إرضاءً لجيهان ... وقد قمت بتهدئته واصطحبته معي إلى طنطا.

﴿١٦﴾

الطريق الى السلام

"وكانت على درجة عالية جداً من الذكاء والجمال واللباقة وقد وثق بها السادات وكانت تأتي إلى القاهرة بدعوة شخصية منه وكانت جيهان السادات كلما رأتها قالت ...."

جاء وقت على السادات، اقتنع فيه، بأن ما تحقق بحرب أكتوبر، يجب أن يكتمل طريقه بالسلام، وأن حرباً أخرى غير ممكنة، وان طريق السلام، مع إسرائيل، هو الطريق الوحيد، الذي يمكن أن يفتح خطاً مع الغرب، فينتعش الاقتصاد المصري، الذي كان قد وصل إلى الصفر، ولم يكن العرب يريدون أن يساعدوا السادات، وكان هو قد يئس منهم تماماً.

بدأ السادات، يرتب أوراقه بناء على هذا الأساس. وانخرط في مرحلة من الغزل السياسي، مع إسرائيل، بهدف تمهيد الطريق إلى السلام، الذي كان يراه ويريده.

ولم يكن أحد، ممن هم حول السادات، يشعر بالتكنيك الذي كان قد بدأ يأخذه، وينفذه وإن كانت بوادر تفكيره، قد ظهرت كاملة، يوم أعلن في مجلس الشعب، أنه مستعد للذهاب إلى أي مكان، من أجل السلام.

ولم يكن يعلم بدقائق تفكيره، وتفاصيل خطته، في هذا الاتجاه، إلا اثنان: د.علي السمان و حسن التهامي. وقد اعتمد عليهما، بشكل أساسي، في إجراء اتصالات على مستوى عال ورفيع، مع جهات كثيرة عربية وأوروبية، ومع عدد من كبار رجال المال اليهود، في أوروبا.

وكان السادات تواقاً، إلى معرفة ما يدور في كواليس السياسة العالمية، وكان يريد أن يعرف صدى فكرة السلام، وان يجس نبضها، لدى عدد من قادة العالم، على المسرح السياسي العالمي.

واختار لهذا الهدف، الدكتور على السمان، صاحب الاتصالات والصلات والعلاقات الدولية، المتشعبة، والممتدة على مستويات عليا، فقد كان الدكتور

السمان صديقاً شخصياً لمستشار النمسا السابق كرايسكي، وكان له أصدقاء كبار في فرنسا، بحكم إقامته هناك، منذ بدايات الستينات. وقد أحيطت لقاءاته، التي عقدها بتكليف من السادات، بسرية بالغة، وخصوصاً تلك اللقاءات التي كانت مع القيادات اليهودية المتفتحة، والمناهضة لموقف بيجن المتعنت مثل، كارل النمساوي، وروتشلين الفرنسي، وفاربورج الانجليزي، ممن كانوا يملكون نفوذاً واسع المدى، على حكومات أوروبا.

وقد نجح الدكتور السمان، في أداء دوره، ومهمته التي كلفه السادات بها، دون أن يكون له أي منصب رسمي وقتها! لأنه كان قد ترك منصبه الرسمي كمستشار للإعلام الخارجي للرئيس أثناء حرب أكتوبر ٧٤ بكفاءة نادرة، كما انه دعا أغلب تلك الشخصيات العالمية لزيارة مصر، وأجلسهم مع السادات، الذي نجح بخفة دمه، وظرفه في أن يبعث من خلالهم، رسالة مؤداها، انه راغب في السلام، وانه يريد أن يبني بلده، ولا يريد حروباً أخرى. وقد اكتشف السادات خلال اتصالاته تلك، التي مهد لها الدكتور السمان، أن العرب يودعون أموالهم، لدى اليهود، بفوائد ميسرة للغاية، وان اليهود يعيدون إقراضها لنا، بشروط قاسية.

كان السادات، يريد أن يعرف، كيف يفكر، كبار رجال اليهود، وكيف يمكن أن يستقبلوا فكرة السلام، التي كانت تلح عليه. وقد استطاع أن يفهم بالضبط، حقيقة موقفهم من خلال اللقاءات التي نظمها وادارها باقتدار، الدكتور علي السمان. وقد حمل الدكتور علي السمان، في ٧٨، رسالة من مستشار النمسا كرايسكي، ومستشار ألمانيا شميت، يعرضان عليه قرضاً طويل الأجل وبفائدة منخفضة مليار وربع دولار لتمويل مشروع التليفونات، الذي نقل مصر من مرحلة في حياتها إلى أخرى، وكان هذا العرض بمثابة هدية أودت بالسادات لمبادرة السلام.

وعلى جانب آخر، كان حسن التهامي، يتحرك في اتجاه آخر، وفى المغرب تم عقد لقاء بينه وبين موشى ديان، وزير خارجية إسرائيل، وهو لقاء حضره الملك الحسن ملك المغرب، وراح كل فريق يطرح تصوره، وأوراقه، بالنسبة لمستقبل السلام في المنطقة.

وفى تلك الأثناء، توافدت أعداد كبيرة من الصحفيين والمراسلين الأجانب لتغطية الأنشطة واللقاءات التي كانت تحفل بها القاهرة وتمتلئ. ومن بين هؤلاء، جاءت الصحفية الأمريكية اليهودية "جوديت كيبر" وكانت على درجة عالية جداً من الذكاء والجمال واللباقة، وقد وثق فيها السادات بسرعة، كانت تأتى إلى القاهرة بدعوة شخصية منه، خاصة بعد أن عرف السادات إنها على اتصال بمؤسسات الحكم المؤثرة في أمريكا، وان لها تأثيراً على قوى معنيه فيه، والطريف إنها كانت قريبة الشبه بالسيدة جيهان السادات، التي كانت تحذر الرئيس ضاحكة: "إياك تغلط فينا!"

وكانت جوديت على صلة بالمخابرات المركزية الأمريكية (C.I.A) واستطاعت أن تقوم بدور حمامة السلام، بين مصر وإسرائيل، وكانت تقوم برحلات مكوكية سريعة، بين البلدين، وتطير إلى المغرب، وأمريكا، والأردن، وكنت ألاحظ إعجاب الرئيس بها، لأنها قادرة على توصيل رسائل إلى البيت الأبيض. عن طريق صديقها دينيس روس والذي كان يعمل وقتها مستشاراً بالبنتاجون والمنسق الأمريكي لعملية السلام الآن التي قالت لي عنه ضع عينك على هذا الرجل الذي سيكون وزير خارجية أمريكا في يوم من الأيام.

وكانت حريصة على نقل الصورة في المجتمع المصري، إلى وسائل الإعلام الغربية، بدقة، واذكر أنها فاجأت الرئيس يوماً، وكنا في رمضان بأنها سوف تتناول طعام الإفطار في طنطا، وسألها السادات عمن "عزمها على الإفطار معتقداً انه المحافظ، فقالت له وهى تضحك: عند صديقك محمود جامع! وجاءت بالفعل وتناولت طعام الإفطار معنا، ورفضت أن تأكل أي شئ، إلا بعد أذان المغرب.

وقامت بعدها بعدة جولات مكوكية، إلى لبيا، قبل حملة السادات العسكرية على القذافي، بشهر واحد، وأضرب مثلا عن نفوذها.. أن شيمون بيريز وزير خارجية اسرائيل عقد مؤتمراً صحفياً في نيويورك.. وكانت جوديت حاضرة... وكلما وجهت إليه سؤال يقول لها آخر المؤتمر سأرد. وبعد انتهاء المؤتمر اصطحبها معه في نزهة بالشارع وصحبها إلى منزلها وقد بهره جمالها وشخصيتها.

وفى تلك الفترة، جاء القاهرة، كارل كاهان، رجل الأعمال النمساوي اليهودي، الذي كان يمتلك بنك كبير في أوروبا، وكان كاهان وسيطاً في تمويل عدد من المشروعات في مصر، واستطاع مع ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي، أن يمهدوا الكواليس السياسية، لعملية السلام، وان يسحبوا جانباً من رأس المال الغربي للاستثمار في مصر.

وبسبب إيمان الرئيس السادات، واقتناعه بعملية السلام، وإصراره على المُضي فيها إلى مداها، فإنه تعرض للهجوم، والاتهام بالخيانة، وتم ضبط عدة محاولات لاغتياله، نجا منها جميعاً.

كانت أول عملية، قد دبرتها منظمة التحرير الفلسطينية، عن طريق شخص عراقي تمكن من تجنيد مصري كان على علاقة صداقة بسائق الرئيس. ولما نجحت مباحث أمن الدولة في رصدها، أبلغت طه زكى، مسئول أمن مقر إقامة الرئيس، ولم يصدق طه زكى، وأدهشه أن يراقب جهاز أمن الدولة، منزل الرئيس، فوصل الأمر إلى النبوي إسماعيل، وزير الداخلية، وتم بالفعل ضبط قنبلة، اعترف المتهم بعد القبض عليه، بأنه كان ينوى وضعها اسفل سيارة الرئيس، بحيث تنفجر بمجرد دورانها.

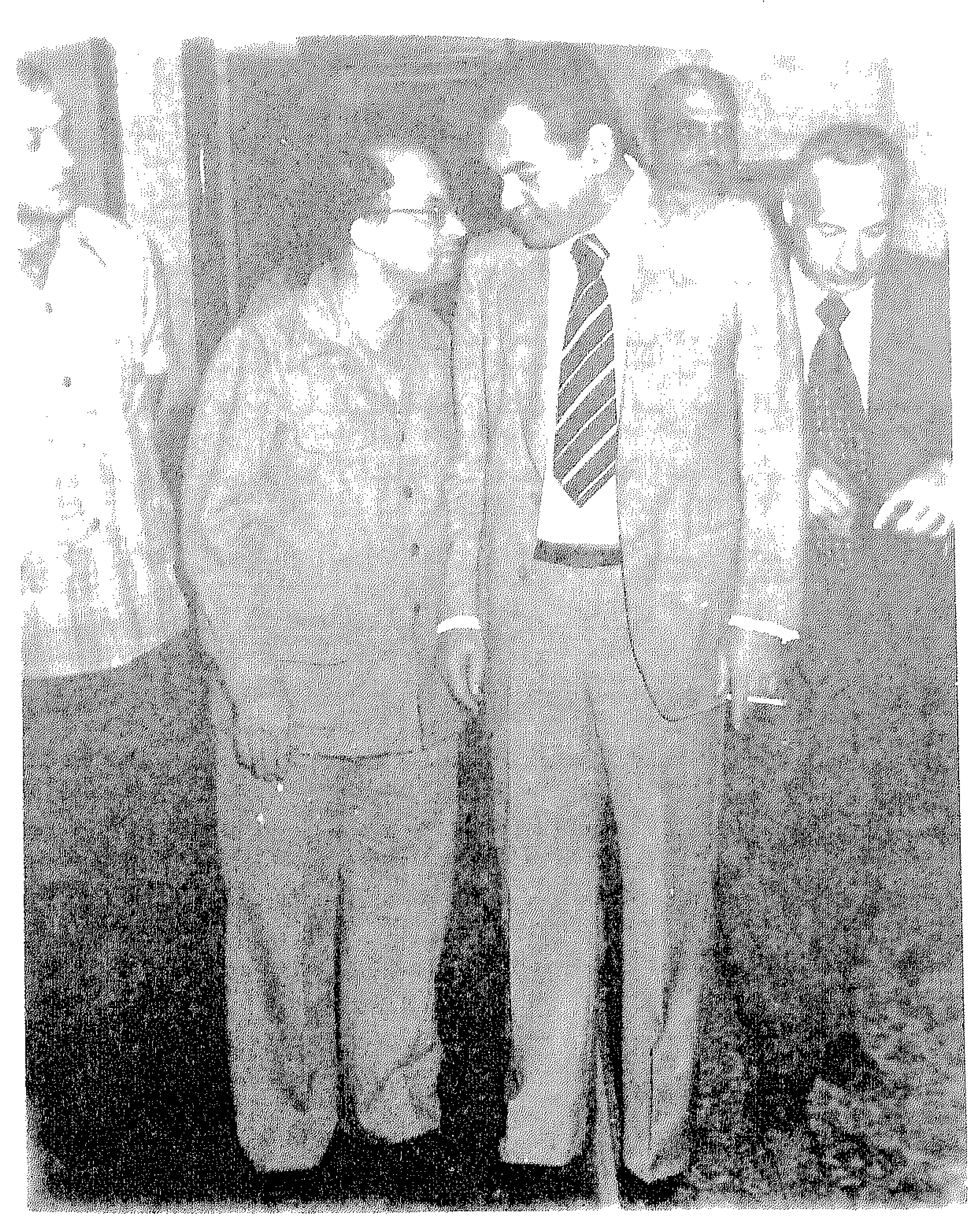
وكانت هناك محاولة ثانية، لاغتياله، بواسطة فلسطينيين، أثناء رحلة إلى القدس، وتم كشفها هي الأخرى.

أما أكبر محاولات الاغتيال، وأضخمها فقد كانت تلك التي دبرتها مجموعة أبو نضال في فيينا، عندما وضعت أربعة أكمنه، في المطار، بحيث يتم اغتيال الرئيس، في أي كمين منها، إذا افلت من الآخر.

كان السادات في زيارة لأمريكا، وبعدها كان من المفترض أن يمر على النمسا للقاء كرايسكى، الذي كان قد وصلته معلومات عن عملية فيينا فأبلغها إلى عصام السرطاوي مسئول منظمة التحرير الفلسطينية في باريس، وإلى الدكتور علي السمان، وتمكن الأثنان من اكتشاف العناصر المدبرة لمحاولة الاغتيال وكان المدبر هو جماعة أبو نضال، وقام الدكتور السمان بإرسال رسالة للسادات من باريس إلى أمريكا وتم إلغاء زيارة الرئيس بناء على نصيحة الدكتور علي السمان، بعد أن اعترف بان الأمن قد لا يتمكن من حماية الرئيس على النحو الذي ينبغي. وقد كان السرطاوى، والذي اغتيل فيما بعد بسبب دوره في عملية فيينا، كان مؤيداً لعملية السلام، ومحباً للسادات، وكان أيضاً من بين الذين مهدوا لعملية السلام. وقد دفع حياته ثمناً لإفشائه سر خطة محاولة اغتيال السادات.

وكان لابد، أن يقدم السادات،- داخلياً- ما يقنع الغرب، بأنه راغب في بناء البلد فعلاً، وانه مستعد لعملية السلام، ولذلك كان قراره بإنشاء الحزب الوطني، وكان قراراً مفاجئاً، على الطريقة التي كان يحبها السادات. ويومها كلف سيد مرعى بالبحث عن شخصية سياسية شابة، تستطيع أن تعطى، في مجال العمل السياسي، لان السادات كان قد مل الوجوه القديمة، في الاتحاد القومي، ثم الاتحاد الاشتراكي، وكان يحب التجديد والتغيير، ولعلنا نلاحظ انه أجرى ١٨ تغييراً وزارياً، في ١١عاماً، هي فترة حكمه. وانتهى بحث سيد مرعى، باختيار منصور حسن، الشاب الطموح، وابن أحد أثرياء الشرقية، وخريج كلية فيكتوريا بالإسكندرية، وزميل دراسة لكل من الملك حسين وسعود الفيصل وغيرهما، من خريجي تلك الكلية العتيدة.

لاقى اختيار منصور حسن، قبولاً خاصة من زميل دراسته، محمد عبد الحميد رضوان، وزير الثقافة، فيما بعد، وقد دارت مناقشات واسعة، في استراحة الرئيس، عما إذا كان من الأفضل، إلغاء حزب مصر، أو الإبقاء عليه. وكان من رأي منصور حسن، على عكس كل الآراء، هو الإبقاء على حزب مصر، لان إلغاءه معناه أن يتحول كل أعضائه إلى الحزب الوطني، فنكون قد غيرنا اللافتة فقط، ولا يكون هناك أي تغيير.



منصور حسن وزير الإعلام ودكتور جامع

ومن هنا، بدأت حملة من الهجوم، على منصور حسن، واتهموه بأنه هبط بالبراشوت، على استراحة الرئيس، الذي كان مؤيداً لرأى منصور حسن، ولكن السادات لم يستطيع أن يقاوم الضغوط الهائلة، التي كانت تحيط به، وكانت كلها ضد منصور حسن.

واذكر أني سألت السادات: هل تريد أحزاباً حقيقية أم ديكوراً؟! فابتسم ابتسامة ساخرة، وفهمت أنها الأخيرة، وانه فقط كان يريد أن يلوح للغرب، بورقة الديمقراطية في يده.

كان منصور حسن، نموذجاً مختلفاً، في العمل السياسي، وكان متطوعاً، لا يريد سيارة من سيارات الدولة، ولا ينتظر راتباً، وقد نجح في إقناع السادات، بضرورة البحث عن وجوه جديدة، في المحافظات فرحب السادات بذلك، لأنه كان يحب التجديد والتغيير الدائمين. واتصل منصور حسن بالمحافظين، وطلب منهم أن يرشحوا وجوها جديدة، للعمل السياسي، تتسم بالنزاهة والنظافة، وبدأ بعض المحافظين في هذا الطريق بالفعل، وإذا بثورة من نواب مجلس الشعب، ضد منصور، بعد أن اعتقدوا انه يبحث عن بدائل لهم، والتقى الجميع، نواباً ومحافظين ورجال حزب، على ضرورة الإطاحة بمنصور حسن.

وكانت البداية من محمود أبو وافية، الذي اقنع السادات، بان منصور حسن، القيادي الحزبي الشاب النشط يسعى إلى تشكيل تنظيم طليعي، داخل الحزب الوطني، وان أعضاء التنظيم الجديد في اغلبهم، من بين أعضاء التنظيم الطليعي القديم، كنت حاضراً اللقاء، بين السادات ومحمود أبو وافية، ولاحظت أن السادات تأثر بقوة كلام أبو وافية، عن منصور حسن، الذي كان قد احتل مكانة خاصة، لدى السادات، وكان شديد الاقتناع به، كعقلية سياسية، من الدرجة الأولى، وكان الرئيس، يعتقد أن إمكانيات منصور حسن، تتجاوز موقع الوزير، وانه يستحق ويقدر على ما هو اكبر من ذلك، ولم يتوقف أبو وافية عند هذا الحد، وإنما قدم للسادات قائمة بأسماء مختلفة. قال انهم أعضاء التنظيم الذي

أنشأه منصور حسن في البحيرة، وان أحدهم كان متورطاً في محاولة اغتيال السادات بالنوبارية عام٧١.

استشاط السادات غضباً، وراح يعنف منصور حسن بشدة، ويتهمه بالخفة والتسرع، وعبثاً حاول منصور حسن، أن يشرح للسادات، انه يحاول فقط، أن يجدد دماء الحزب، والعمل السياسي، وان القائمة إياها ليست نهائية، ولكن السادات لم يقتنع، وبدا واضحاً انه كعادته، قد تأثر بما قيل له، وتحول عن منصور حسن، بعد أن كان مقتنعاً به، ومؤيداً له كل التأييد.

بدأت دائرة الفتن والدسائس، المحيطة بالرئيس، تجذب منصور حسن إلى داخلها، بعد أن أحس رجال السادات، أن منصور قد بدء يسرق الأضواء منهم.

ويوم كتبت إحدى مجلات لبنان عن منصور حسن، ووضعت صورته على الغلاف انه "الرجل القادم في مصر" كانت محطة النهاية بالنسبة له، مع السادات، الذي كان قد جعله وزيراً للثقافة والإعلام ووزير دولة لشئون رئاسة الجمهورية، ويومها – يوم أن أسند إليه تلك المهام – قال السادات للدكتور مصطفى خليل: سيبه يتولى الوزارات التي يقدر أن يقوم بها.

وأجرى السادات تعديلاً وزارياً محدداً، ومفاجئاً، بعد أن كثر الكلام، وتناثرت الشائعات عن قوة وسطوة منصور حسن، فأخرجه، وجعله يتولى منصب وكيل مجلس الشعب، ولكن منصور رفض هذا المنصب، ووقف على الحياد، أثناء أحداث سبتمبر، فوصفه السادات بأنه يريد أن "يمسك العصا من النص". ولكن الحقيقة أن منصور اعترض على بعض قرارات السادات في أحداث سبتمبر.

وعندما صدر قرار خروج منصور حسن، من منصبه كوزير لشئون رئاسة الجمهورية، آثر أن يبتعد عن الدائرة الجهنمية التي التهمته، خاصة وان السادات، ألغى المنصب نفسه، من يوم تعيين منصور فيه، بمعنى أن المنصب اصبح كأنه لم يكن!

والى الآن، لا يزال منصور بعيداً، مفضلاً التنقل بين القاهرة ولندن، مستريحاً إلى عدم الكلام فيما كان.

وفي أثناء معركة منصور حسن، مع رجال السادات، نشبت معركة أخرى، لم تكن اقل إثارة، وهي معركة منصب نقيب المحامين، الذي خلا بوفاة مصطفى البرادعي، وتقرر فتح باب الترشيح، للنقيب الجديد، فتقدم كل من عبد العزيز الشوربجي، وأحمد الخواجة، وعلى منصور. وصدر بيان في الصحف يقول أن على منصور هو مرشح الحزب الوطني.

وكان الجميع يعرفون أن على منصور لم يكن يتمتع بالشعبية الكافية، وانه سوف يسقط، في حين كانت شعبية احمد الخواجة طاغية. أسرعت إلى السادات، في ميت أبو الكوم، وكان على وشك السفر إلى أمريكا، بعدها بأيام، وشرحت له الوضع، وقلت انه من الأفضل أن يصدر بيان يقول أن على منصور ليس مرشح الحزب الوطني، وهذا هو الحل الوحيد، لأنه من المستحيل، تزوير الانتخابات في نقابة عتيدة كهذه.

أبلغني الرئيس انه مسافر إلى أمريكا، وانه ليس لديه وقت، وكلفني ببحث الأمر مع النائب -وقتها- حسنى مبارك، وطلب مبارك أمامي ، وأوضح له الأمر، وفي اليوم التالي ذهبت -بناء على تكليف من السادات- إلى موعد مع مبارك، وكان النبوي إسماعيل خارجاً من عنده، ولما جلسنا معاً وأطلعته على حقيقة ما يدور داخل النقابة، كلفني مبارك بالإشراف على الانتخابات، فأخبرته بأني مسافر بعد أيام إلى اليابان، فأرسل إلى منزلي ماهر محمد علي، عضو مجلس الشورى السابق، وأحد قيادات الحزب الوطني وقتها، واقترحت عليه الاتصال بالصحف من منزلي، وإبلاغها بأن على منصور الذي كان يعالج بالخارج ليس مرشح بالحزب الوطني، وجرت الانتخابات، ونجح الخواجة بالفعل.

ورغم العداء القديم، بين السادات والخواجة، إذ الأخير كان صديقاً لشعراوي جمعه، ورفض تأيد السادات أمام مجموعة الناصريين، أثناء معركة في

مراكز القوى، قبل ١٤مايو١٧... رغم ذلك استدعاه السادات، بعد نجاحه في الانتخابات، ونقل التليفزيون المقابلة.

وروى لي السادات بعدها، انه وقف في آخر الغرفة، حتى يسعى إليه الخواجة، بينما التليفزيون يصور ذلك، وإذا بالخواجة يتباطأ، مما اضطر السادات لأن يتحرك ويقطع نصف المسافة، ليلتقيا في منتصف الطريق.

قال لي السادات، وهو يروى ما حدث: لن أنسى هذا للخواجة أبداً، علاوة على موقفه القديم، مع مجموعة الناصريين.

وبعد ذلك بفترة طويلة استدعى السادات أحمد الخواجه نقيب المحامين لمقابلته باستراحة القناطر الخيرية ودخل الخواجة أمام الصحفيين والمصورين - وكان السادات يجلس في الحديقة على كرسي ولا يوجد كرسي لأحمد الخواجة.. وبدأ الصحفيين في تصوير السادات وهو جالس وأحمد الخواجة يقف أمامه - وإذا بالخواجة بحركة ذكية يجلس بسرعة وافترش الأرض على الحشيش، وفوت على السادات اللقطة المصورة التي كان يريدها. وضحك السادات من قلبه وهو يحكي لي هذه الواقعة.

﴿١٧﴾

الطاووس

" وكثيراً ما كان يزور السيد البدوي سراً وأنا في صحبته وبدون حرس وبدون أن يشعر أحد ...... ومن الطريف أنه كان يفكر في ...... "

كان السادات رجلاً ريفياً في أصالة الفلاح المصري الأصيل شهامة ووفاء ومجاملة وبسالة وتديناً.. مرتبطا بأهله وأصدقائه وأبناء قريته وقد صهرته الأحداث الحسام التي مرت به طوال حياته .. من سجن وتشريد وحرمان وفصل من الخدمة واشتغال بالحركات الوطنية والسرية .. ومعاشرته المباشرة لكافة طوائف الشعب كبيرها وصغيرها، فقيرها وغنيها مثقفها وجهالها .. حتى أنه عاشر الأجانب مثل الألمان والإنجليز وغيرهم

عاشر جميع التنظيمات السياسية على اختلاف ألوانها وميولها وأهدافها. وكان نسيج وحده في مكونات شخصيته. ولم يكن يطمع في جاه أو مال أو سلطة – كانت حياته كلها عطاء .. ورسم طريق كفاحه جيداً وعرفه .. وسار عليه بكل ثقة .. حتى وصل إلى رئاسة الجمهورية وسعى إليه المنصب سعياً .. دون أن يسعى إليه.

وثقف نفسه، وثابر وقرأ، ودرس وتعلم – ومارس مختلف المهن من ضابط إلى سائق نقل إلى عامل أجير إلى صحفي إلى كاتب إلى فنان إلى محارب ومقاتل، إلى مذيع إلى برلماني ممتاز إلى سياسي محترف داخلياً وخارجياً .. وتألق في كل موقع ..

كان إذا جلست إليه .. وجدت المتعة والراحة والكلام الحلو والقصص الممتعة والنكتة الظريفة. ولا تشبع من جلسته أو حديثه الجميل.

فكان بلا شك الشخصية الوحيدة من أعضاء مجلس الثورة بهذه المقومات النادرة.. وبهذه القدرات المميزة، حتى تميزت شخصيته عن شخصية عبد الناصر نفسه.

وكان يحضر دائماً كل أسبوع إلى قريته ميت أبو الكوم – وكان يصارحني أنه يجد فيها الراحة النفسية والبدنية والروحية – ويلبس جلبابه البلدي المحبب إليه –ويزيد عليها العباءة شتاءً .. ويفتح بيته وقلبه لكل أهله وأحبابه وأهل قريته يعيش معهم .. ويحل لهم مشاكلهم .. ويسهر معهم – ويصلى معهم الجمعة في المسجد الوحيد ببلدته .. وكان يقف

على باب المسجد بعد الصلاة حتى آخر لحظة في حياته ويسلم على جميع المصلين أثناء خروجهم ويعرف أسماءهم واحدا واحدا وينادى كل واحد منهم باسمه ويسأله عن زوجته وأبنائه ويتلقى منهم طلباتهم بكل ود وحنان ونحن جميعاً من حوله واقفون .. ويخرج من المسجد فيجد سيدات البلدة يقفن في انتظاره ويسلمن عليه ويناديه باسمه ويناديهن بأسمائهن بكل بساطة وينظر في طلباتهن .. وأذكر في إحدى المرات أنه جلس في منزله ليصلح بين سيدة وحماتها لخلافهما على نصف جاموسة – ولما طلبت منه أن يتركني لحل المشكلة حرصاً على وقته قال لي: يا محمود أنني أريد إن أسعد أسرة.

وكان يتمشى على قدميه ويسير بشوارع القرية بنفسه – وقد يدخل أحد المنازل ويشرب الشاي مع أهل المنزل بكل بساطة وهو يرتدى جلبابه الريفي الأنيق. وكانت جيهان السادات هي الأخرى، إذا ذهبت معه هناك ارتدت الجلباب الريفي للسيدات.

وأذكر أنه في إحدى المرات سألني هل سيارتك معك فقلت له نعم – فركب بجواري وقال أذهب إلى بمم وهي صغيرة تبعد عن ميت أبو الكوم بحوالي خمسة كيلو مترات، وقدت السيارة وهو بجواري وكان ذلك لزيارة صديقه إبراهيم نصار العمدة وكان مريضاً – وبعد الزيارة عدت معه إلى ميت أبو الكوم ولكن سيارتي تعطلت في الطريق رغم أنها جديدة تماماً – فقال لي قف .. السير مقطوع ونزل وكشف غطاء السيارة ووجدنا السير مقطوع فعلاً – وتركنا السيارة وركبنا سيارة أجرة مع مواطنين بوسطاء دون أن يتنبهوا لشخصية السادات، حتى وصل إلى المنزل.

وكثيراً ما كان يزور السيد البدوي سراً وأنا في صحبته ودون حراس ودون أن يشعر أحد.

وفى أحد المرات طلب أن يركب حماراً ويجوب به في شوارع ميت أبو الكوم .. وكان في قمة سعادته. وكان عند حضوره إلى ميت أبو الكوم من القناطر الخيرية – كان يطلب من سائق السيارة أن يسير على مهل وعلى سرعة ٤٠ كيلو مثلاً – ويتأمل منظر الخضرة في الزراعات والأراضي وينظر إليها بعمق شديد – وكان يقول أنه يشعر براحه نفسيه عميقة من ذلك – وكان ينصحني بذلك دائماً.

وكان يحب الأماكن المفتوحة والجلوس فيها – والسهر في الليالي القمرية.

وكان يهوى الاستماع إلى أغاني أسمهان، وكذلك كان كثيراً ما يطلب منى أن أحضر له الشيخ سيد النقشبندى من طنطا إلى ميت أبو الكوم لينشد له التراتيل الدينية وقصائد في مدح الرسول.

وقد كان يهوى الإقامة في ميت أبو الكوم في عطلة نهاية الأسبوع ويصلى الجمعة مع أهلها – وإذا كان في القاهرة كان دائماً يفضل الإقامة في استراحة القناطر الخيرية – وكذلك استراحة جزيرة الفرسان في الإسماعيلية.

وفى الصيف بالإسكندرية في برج العرب – وشتاء في أسوان،

والعجيب أنه كان يحب الوحدة .. وكانت زوجته السيدة جيهان وأولاده يقيمون بالقاهرة بمنزل الجيزة – وفي الصيف باستراحة المعمورة – وكانوا يترددون عليه غالباً كل أسبوع.

وكان يهوى أفلام الكاوبوي مثل عبد الناصر – كما كان يهوى الجلوس في حديقة المنزل وبجواره الراديو الترانسستور على ترابيزة صغيرة. ويستمع إلى إذاعة B.B.C وغيرها، وكان يختلف عن عبد الناصر فى طريقة عمله، أعنى أن عبد الناصر كان يقرأ كل شئ بنفسه ويسهر حتى الفجر يقرأ تقارير سامي شرف التي كان يرفعها له يومياً عن كل أمور الدولة في الداخل والخارج بطريقة مرتبة ومنظمة وكان يقرأ صحف الصباح قبل أن ينام. أما السادات فلم يكن له صبر على قراءة التقارير أو الأوراق المرفوعة له من فوزي عبد الحافظ –وشتان بين قرارات سامي شرف وقرارات فوزي عبد الحافظ .. فالفرق بينهما شاسع وسحيق:

وقد تتعطل أمور خطيرة في الدولة بسبب الإهمال أو عدم تقدير المسئولية. فقد كان عبد الحافظ يؤجل عرض الأمور بحجة "إن سيادة الريس مش فاضي".

ويذكرني ذلك بأن زوج شقيقة السادات وهو المقدم أحمد طه الضابط بالقوات المسلحة رفض فوزي عبد الحافظ أن يحدد له ميعادا مع السادات لأكثر من عشرة أيام

ليخبره بمؤامرة ١٤ مايو. حتى أخذ فوزي عبد الحافظ بعيداً عن الرياسة في شقة بعيدة وأدار له شرائط التسجيل التي أعطاها له المقدم طه زكي ليوصلها للرئيس ويعرف خطورة المؤامرات عليه التي كانت ستؤدى إلى اغتياله.

وكان يحب رياضة المشي وكان يمشي يومياً حوالي ساعتين – وأكلته كانت ضعيفة – وكان يرتل القرآن بصوت غاية في الجمال.

وكان يسمي جمال عبد الناصر ويناديه بالمعلم. وكان مطيعاً له – ولم يصطدم به في رأى طوال حياته – وكنت أحس كراهيته الشديدة لتسلطه ودكتاتوريته – ولم يظهر حقيقة شعوره لعبد الناصر إلا بعد وفاته. وتخلصه من مراكز القوى الناصرية في ١٤ مايو.

وكان يكره حسين الشافعي من قلبه – وهو شعور متبادل بينهما وظهر بوضوح بعد وفاة عبد الناصر.. عندما قابله في قصر الطاهرة.

وأخبرني أن قيادات الجيش قابلته وأخبرته بأنه إذا عين على صبري رئيساً للجمهورية فإنهم سيقومون بانقلاب ويطيحون به. فقلت للسادات هذا شئ طيب بالنسبة لك. فرد على قائلاً ولكنهم لم يبايعوني وأن حسين الشافعي يتطلع إلى الرئاسة ويجاهر بأنه أولى الناس بها – وفعلا في اجتماع اللجنة التنفيذية العليا كان أول من بايع السادات هو على صبري كحركة تكتيكية – وكان الشافعي آخر من بايعه بعد ضغوط شديدة عليه من الدكتور محمود فوزي.

وكان أقرب صديق إليه هو المشير عبد الحكيم عامر – وكانوا يداومون السهر سوياً، وفى أماكن مختلفة حتى مات عبد الحكيم عامر. فلم يجد عبد الناصر السلوى والصداقة إلا مع السادات وفى منزل السادات وكان رفيقه الدائم في سفره للإسكندرية علاوة على الزيارات المنزلية – وتوطدت العلاقة بينهما حتى عينه نائباً وحيداً لرئاسة الجمهورية.

وبعد تعيينه رئيسا للجمهورية وانتخابه بالقنوات الشرعية – جلست معه جلسة في ميت أبو الكوم – وطلبت منه أن تكون المواكب حوله محدودة – أعني أن سيارته يكفي أن يمشي أمامها موتوسيكل واحد وأن يستمر شعبيا كما كان أي أن ينزل بنفسه في صفوف الشعب ويستمع إلى مشاكله ميدانياً وألا يعتمد على تقارير الجهات الأمنية

والرقابية كلها – وأن يفتح بابه للجميع – وقلت له لا تجعلنا نقف على بابك ونطلب مقابلتك – فقد تغيرت ظروفك وكثرت مسئولياتك ومشاغلك فلتكن المبادرة دائماً منك – وتطلبنا لمقابلتك والجلوس معك.

وقلت له أنني أخشى من النشاط الاجتماعي المتسع للسيدة جيهان – فسيكون سبب مشاكلها لأن المجتمع لا يرحم – والحاقدون كثيرون.. وطلبت منه أن تبقى هي بجانبك دائماً .. ولكن كل ذلك لم يتم – رغم وعده لي بتنفيذ كل هذه النصائح وفرحته بها كثيراً ..

وكثرت الفتن والدسائس من حوله. لدرجة أن عبد المحسن أبو النور أمين عام الاتحاد الاشتراكي قبل ثورة التصحيح أشتكى من أنه طلب لقاء الرئيس السادات أكثر من مرة وكذلك السيد أحمد كامل مدير المخابرات العامة – ولكنهما فشلا رغم أنه ذهب إلى مكتبه ومكث بالسكرتارية ساعات .. وبالداخل كانت زهرة رجب عضو مجلس الشعب مع الرئيس ..

وتوالت خبطاته السياسية الموفقة والغير مسبوقة – تخلص من أعوان عبد الناصر العتاوله الذين كانوا يشكلون عنصراً ضاغطاً عليه ومقيداً له في كل قراراته كما كانوا عنصراً ضاغطاً على عبد الناصر نفسه في آخر أيامه عندما تدهورت صحته ونفسيته وأصبح خائر القوى – وأخذوا منه ختمه – وأصبحوا يصدرون القرارات ويعينون الوزراء ويفعلون كل ما يحلو لهم في هذا البلد دون علم عبد الناصر وباسمه – ودون أدنى تدخل من السادات.

وقد طلبت من السادات بعد توليه الرياسة أن يفرج عن عبد الفتاح باشا حسن وزير الداخلية الوفدي الذي كان معتقلاً وكذلك عن المستشار صالح أبو رقيق والمستشار عبد القادر حلمي أعضاء مكتب الإرشاد للإخوان المسلمين وهم من أصدقاء السادات – ولكن شعراوي جمعة رفض أن ينفذ القرار – وذهبت للسادات في منزله ورجوته أن يأمر شعراوي جمعة بالإفراج عنهم ويحضرهم له في منزله. وأخذ السادات يلح في رجاء الشعراوي جمعة أمامي عدة مرات حتى وافق.

وقال لي شعراوي جمعة: "أنا لا يهمني رئيس جمهورية أو خلافه وأنني أنا الأمن وأنا المسئول وأعمل مايعجبنى". بل وطلبت منه أن يسمح بالسفر إلى الخارج للمستشار على محسن مصطفى رئيس مجلس الدولة والمستشار مدحت طاهر نور اللذين فصلا ظلماً في مذبحة القضاء الشهيرة أيام عبد الناصر، وطلب السادات من شعراوي أن يسمح لهما بالسفر للخارج لتأدية العمرة ولكنه رفض.

وبعد ثورة التصحيح أنطلق السادات كالأسد وأفرج عن المعتقلين وسمح للهاربين خارج البلاد بالعودة وأعاد لهم جنسيتهم وأعاد رجال القضاء المفصولين وألغى الحراسات والإجراءات الاستثنائية – ونال حب الشعب من القلوب. ثم جاءت عملية العبور ونصر أكتوبر – ثم زيارة القدس ومبادرة السلام ثم معاهدة كامب ديفيد.

وأصبح بطلا أسطوريا في جميع أنحاء العالم – وذاع صيته حتى أنني عندما زرت الولايات المتحدة الأمريكية وزرت بعض الأسر الأمريكية في منازلهم كنت أجد صورة السادات معلقة عندهم في المنازل.

وتسابقت الجامعات الأمريكية في منحه درجات الدكتوراه الفخرية – وحضرت لزيارته بمصر وفود كثيرة من جميع أنحاء العالم – وحصل على جائزة نوبل.

كل هذه الأمور أثرت على نفسه – وأعطته ثقة كبيره في شخصيته حتى أصابه بلا شك غرور قاتل – واستبد بالرأي – وفقد الرغبة في المشورة – والمشاركة بالرأي – وأخذ يطيح بقرارات استثنائية – ومفاجآت من هنا وهناك.

وأصبح لا يقبل أي مناقشة أو مشورة من أقرب الناس إليه جميعاً حتى عثمان أحمد عثمان – أو سيد مرعى ..وإن كان قد صارحني بأن في قلبه غصّه دائمة من سيد مرعى رغم أنه صهره – لأنه بعد وفاة عبد الناصر أتفق سيد مرعى مع صديقه الحميم محمد حسنين هيكل على أن السادات لا يصلح لأن يكون رئيساً للجمهورية – وأن أصلح شخص هو زكريا محي الدين. وعلم السادات بذلك ولم ينس هذا الموقف أبدا حتى أنه عزل سيد مرعى من رئاسة مجلس الشعب – وكان سيد مرعى يتمنى من قلبه أن يكون

رئيساً لمجلس الوزراء بدلا من ممدوح سالم ولكن السادات لم يمكنه من ذلك – وقال لي: (بعينه).

وكان السادات دائماً يقول لي إن جميع من حوله يكرهون بعضهم ويتصارعون مثل عثمان أحمد عثمان وسيد مرعى وممدوح سالم والسيدة جيهان السادات التي كانت أميل لسيد مرعى – وبذلك أكون أنا أي السادات الجوكر وأتفرج عليهم وقد تعلم هذا الدرس من عبد الناصر الذي كان كل أعوانه من حوله متضامنين ومتحدين وأصبحوا قوة مؤثرة على الجميع حتى أصبحوا قوة ضاغطة على عبد الناصر نفسه بعد انهياره الصحي والنفسي والسياسي. في أخر أيامه.

وكنت أحس أن السادات بدأ ينظر إلى الجميع من أعلى .. وكنت أحزن وأتمزق من ذلك – وكانت وسائل الإعلام الأجنبية واليهودية والأمريكية تنمي فيه هذا باستمرار – حتى أنه في إحدى الأيام صلينا الجمعة في مسجد بالحرانية – أمام منزل عثمان أحمد عثمان ونحن نجلس بعد الصلاة قبل تناول الغداء – قال لنا السادات بكل زهو وفخر – إن مناحم بيجن قال له إنه عندهم كتاب مقدس يقول إنه في هذا الزمن يظهر رسول جديد ينشر السلام في المنطقة واسمه محمد وأوصافه تنطبق بالتمام على السادات وأنه سيموت ويدفن في سيناء – وكان السادات في غاية الفرح والابتهاج من أن بيجن قال له إن الأوصاف تنطبق عليه – وأصدر السادات قرارا بناء مسجد ومعبد يهودي وكنيسة في سيناء وأوصى بأن يدفن هناك .

وكان يذهب في كل عيد إلى سيناء ويمكث عدة أيام في وادي الراحة هناك وبنى هناك ميت أبو الكوم الجديدة. ولكن بعد اغتيال السادات كانت السيدة جيهان في منتهى الذكاء عندما طلبت أن يدفن في مقر الجندي المجهول حتى لا يكون بعيداً عن زيارات الملوك والرؤساء عند حضورهم للقاهرة. وأن يكون مدفنه أمام كل الناس – وأنتصر بذلك على عبد الناصر حتى بعد وفاته.

ومن الطريف أنه كان يفكر في آخر أيامه أن يلبس لبساً فرعونياً ويركب مركبة فرعونية تسير به شارع الهرم حتى الأهرامات وأبو الهول في مهرجان شعبي كبير – وكانت الفكرة مختمرة في ذهنه تماماً –ولكن الفكرة لم تتم نظراً لاغتياله.

وكثرت الحواجز حوله وأنفصل عن الجميع في آخر أيامه وتقطعت معظم الأسلاك الموصلة له – وكان عصبياً متوتراً حار المزاج – وفقد متعة الصفاء الروحي، والصبر، والتسامح، والمجاملة، والهدوء، والراحة النفسية، وقد كان دائماً يعيب على عبد الناصر أنه دائماً متوتر الأعصاب، وأن كل من يحتك به أو يجالسه يتوتر – حتى أصبح السادات نفسه أكثر توتراً من عبد الناصر في آخر أيامه قبل اغتياله وأصبحت قراراته وتصريحاته في منتهى العصبية.

وكانت المجموعة من حوله تتسلط عليه وتعطيه من المعلومات والأخبار ما يوتره ويؤثر عليه حتى أنني بعد عودتي من رحلة في باريس – نصحني صديق بألا أفاتح السادات في خطئه باعتقالات سبتمبر وقال لي بالحرف الواحد:– إنه قد يعتقلك أنت بالذات ولم أستمع لنصيحته – وعدت إلى القاهرة وكان بجانبي في الطائرة الصديق العزيز الدكتور فتحي سرور رئيس مجلس الشعب الآن وفاتحته برأيي وكان مع رأى الصديق وذهبت للسادات وكلمته برفق عن الخطأ في أعتقالات سبتمبر – وقلت له أنت أبو الحرية والديموقراطية – وأنك جربت السجن مثلنا وذقت مرارته – فثار فيَّ ثورة عارمة وتركني في حديقة المنزل ودخل إلى شرفته وخرجت كسير النفس وكانت هذه آخر مرة أراه قبل اغتياله بيومين.

وكان السادات قبيل اغتياله قد أصدر قراره بترقية. زميله وصديق عمره ورفيق كفاحه اللواء عبد المنعم عبد الرؤوف القطب الإخواني وقائد التنظيم العسكري للإخوان المسلمين – أصدر قرارا بترقيته إلى رتبة الفريق وكان ينوى بعد انتهاء العرض أن يكرمه على المنصة – وأرسل له في منزله ضابطاً من سلاح المهمات بالقوات المسلحة لتفصيل بدله عسكرية زرقاء بالمواصفات الألمانية التي كان يرتديها في آخر عرض عسكري. فقد كانت سمة الوفاء عند السادات عالية إلى درجه كبيرة وكان في بعض الأحيان يتذكر صديقاً لم يره منذ ثلاثين سنة ولا يهدأ له بال حتى يسأل عنه ويذهب إلى زيارته أو زيارة أولاده وأهله.

وهل ننس أنه تذكر سائق نقل من قرية في مركز المحلة الكبرى كان صديقاً وزميلاً له في نفس المهنة عندما فصل من الجيش وأخذ يبحث عنه وزاره في بلدته باحتفال شعبي كبير.

كما زار أسرة المرحوم على الجراحي وكيل وزارة الاقتصاد وشقيق المناضل الوطني عبد الحكم الجراحي الذي أستشهد أثناء مظاهرات الجامعة ضد الإنجليز. وفجأة تذكره السادات وذهبت إلى أسرته في الزمالك لزيارتهم والسؤال عنهم.

كما زار المرحوم أحمد الخطيب زعيم الطلبة الوفدين بالجامعة عندما مرض في مستشفى المبرة بطنطا، وحضر السادات لزيارته ومعه النائب حسنى مبارك وممدوح سالم رئيس الوزراء وجميع الوزراء.

وكان يذهب للأفراح ويشارك الأصدقاء فرحتهم - ولم يكن يتأخر عن الذهاب إلى واجب العزاء - ويسافر بالطائرة الهليكوبتر أحياناً للمواساة.

وعندما لا يسمح وقته أو جهده - وكان يدعو العروسين -مثلاً- إلى منزله ويحضر عقد القران ويوقع كشاهد في العقد ويلتقط معهم الصور التذكارية. وتنشر في الصحف المجلات.

حتى أنه دعا بنات الملك فاروق إلى استراحة في المعمورة وأحتفل بهم وطيب خاطرهم - كما أهدى نجله الملك أحمد فؤاد سيفاً ذهبيا في مناسبة زواجه وكان مرصعا بالماس.

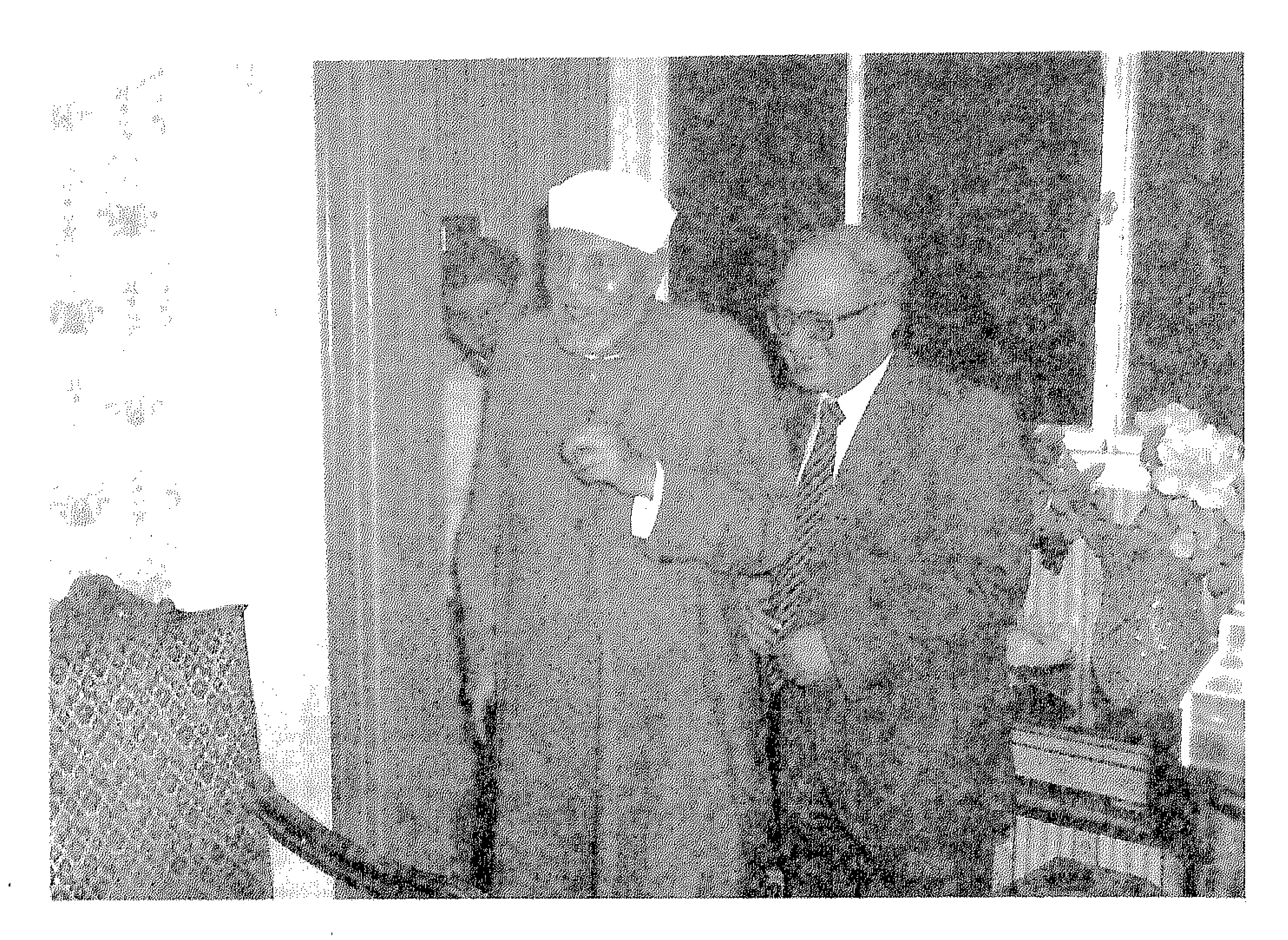
ولم يكن يسمح بأي حال بأي استثناء لأحد من أقاربه أو أشقائه وكان أقرب الأشقاء إلى قلبه المرحوم الشهيد الطيار عاطف السادات.. وكان أحبهم إلى نفسه، وإلى المشاورة في قراراته هو المهندس زين السادات نائب رئيس مجلس إدارة المقاولون العرب الآن. وكان يحترم رأيه كثيراً في الأمور العائلية والخاصة.

وكان يتفاءل دائماً بزيارة ودعوات شقيقته نفيسة وكان دائم السؤال عنها ولا يؤخر لها أي طلب.

وعند اغتياله كانت تؤدى فريضة الحج وقطعت الرحلة وعادت لتوها إلى القاهرة وعندما ذهبت لمنزل شقيقها منعت من دخول المنزل بالقاهرة بأمر السيدة جيهان السادات وذهبت إلى ميت أبو الكوم لتلقى العزاء فيه. كما خصصت طائرة لنقل جمال السادات نجل الرئيس الذي كان في أمريكا – وقت الحادث الأليم – ولما حاولت السيدة كاميليا كريمته من الزوجة السابقة الحاجة إقبال – لما حاولت ركوب الطائرة مع أخيها جمال للذهاب إلى القاهرة لحضور جنازة والدها – رفضت السيدة جيهان السادات الأذن لها بذلك تليفونياً وبقيت بالولايات المتحدة الأمريكية – ولم تحضر جنازة والدها.

وأذكر أنني كنت قد سجلت عشر حلقات في حديث الروح بالتليفزيون مع المخرج الفاضل الأستاذ عبد النعيم شمروخ وأذيع منها سبعة حلقات قبل نشرة الساعة التاسعة مساءً وكانت أيامها يذاع مسلسل زينب والعرش وفوجئت بإلغاء البرنامج وعجبت لذلك – وقابلتني السيدة جيهان السادات وقالت لي:– إيه الأحاديث الجميلة المذاعة في حديث الروح دى – نحن نسمعها وإحنا مبسوطين منها وعايزين منها كثير – فقلت لها أن الأحاديث توقفت إذاعتها –فأبدت دهشتها من ذلك. وفوجئت بالإمام الشيخ محمد متولي الشعراوي يطلبني تليفونياً من محل أحمد أبو شقرة الكبابجي الذي كان قد خصص غرفة كبيرة للشيخ وأحبابه – وأخبرني بأنه قد صدر أمر بمنعي من تسجيل أحاديث بالإذاعة أو التليفزيون بل ومن دخول المبنى نفسه بأمر السادات شخصيا، الذي ثار ثورة عارمة عندما سمع حديث الروح على لساني خاصة عندما قلت أن صديقاً لي قال أنه يتعاطى كأسا من الخمر قبل النوم لتنشيط الدورة الدموية والقلب، وأنه قد يتعاطى بعض المخدرات مثل الحشيش لتنشيط قوته بشكل عام – وشرحت في الحديث أن هذا حرام شرعاً، وغير صحيح علمياً..

وهمست لي المرحومة السيدة همت مصطفى رئيسة التليفزيون في ذلك الوقت وزميلتي عندما كنت عضوا بمجلس الشورى. وأخبرتني بصدور القرار بعد مكالمة قاسيه من السادات بسبب هذا الحديث بل ألغى البرنامج من خريطة البرامج بالكامل.



دكتور جامع يستقبل الشيخ الشعراوى بمنزله

وكان السادات قد منع أحاديث الشيخ الشعراوي أيضاً من التليفزيون بسبب احتجاج السلطات الإسرائيلية على تفسيره لسورة الإسراء ومهاجمة اليهود. وأوقفت كل برامجه – حتى أن الشيخ الشعراوي رحمه الله – قال لي: "بقينا في الهوا سوا".

وكانت السلطات الإسرائيلية قد اشتكت كثيراً لأنيس منصور عندما زار إسرائيل وعمل بلباقته على شرح كثير من الأمور وتهدئة ثورة الإسرئيلين.

وأخبر السادات بكل شئ.

رحم الله السادات وأجزل ثوابه جزاء ما قدم وغفر له

ولا أستطيع أن أقول لو طال العمر بالسادات –لفعل الكثير من أجل مصر دينياً واجتماعياً وسياسياً –وقد كان هذا أمله المرتجى الذي طالما كان يذكره أمامي – خصوصاً آماله في الإصلاح والبناء وخاصة في القرية المصرية – وكان دائماً يردد أنه لابد من العودة إلى تعاليم الدين الإسلامي السمح الحنيف.

ولكنى أقول هذه مشيئة الله عز وجل، وأقول إن "لو" من عمل الشيطان. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

<١٨>

النهايات

"وقد اتصل السادات برئيس الوزراء وطلب منه تدخل القوات المسلحة . . .
ولكن الجمسي رفض!!"

سوف تبقى أحداث ١٨و١٩ينـاير ٧٧، مـن أصعب المحطات، والمواقف، في حياة السادات، منذ تولى الحكم، عام ٧٠، وحتى رحيله في ٨١.

وكان السادات قد أطلق عليها انتفاضة حرامية وظل مصراً، على أن ينعتها بهذه الصفة، رغم أن البعض حاول أن يشرح له، أنها كانت انتفاضة خبز بالفعل، وليست انتفاضة حرامية. وقد ساهم اليساريون، والشيوعيون، بغير شك، في إشعال لهيب تلك الانتفاضة، حتى امتدت وزحفت كالنار، في مدن عديدة، وليس في أحياء القاهرة فقط.

وكان السادات وقتها في أسوان، ولاحظ أن الانتفاضة قد تعاظمت، واتسعت دائرة خطرها، وأصبحت الأمور تنذر، بأوخم العواقب. ووصلت الحكاية، إلى أن بعض الوزراء، تركوا بيوتهم، هاربين منها، بعد أن أصيبوا بالفزع. وقتها كان ممدوح سالم هو رئيس الوزراء، وكان اللواء سيد فهمي وزيراً للداخلية، وكان مبارك نائباً للرئيس.

وقد أتصل السادات برئيس الوزارء، وطلب منه تدخل القوات المسلحة. لإخماد الفتنة، غير أن الفريق الجمسي وزير الدفاع، رفض طلب رئيس الوزراء، وأصر أن يوقع له رئيس الوزراء، على أمر كتابي بتدخل الجيش. ورفض رئيس الوزراء التوقيع على مثل هذا الطلب، كما رفض النائب مبارك أيضاً، أن يتحمل مسئولية نزول الجيش إلى الشارع، وحاول السادات أن يركب الطائرة، هو وزوجته، إلى القاهرة، ولكن ذلك كان مستحيلاً.

وهنا ظهر دور النبوي إسماعيل، الذي كان مديرا لمكتب ممدوح سالم، فقد أتصل بالسادات، وأوضح له أن الموقف خطير. وأنه لابد من تدخل الجيش. وبالفعل استطاع النبوي إسماعيل بتصرفه، أن ينقذ البلد من كارثة، وقد صدر قرار بتعيينه وزيراً للداخلية، فيما بعد مكافأة له على شجاعته وحسن تصرفه. وصدرت الأوامر أن يظهر الجيش في

الميادين فقط كمظهر وللتهويش فقط دون الاحتكاك بأي حال بجماهير الشعب. وكان قراراً حكيماً ومفيداً.

ولابد أن موجة الغلاء أيامها، والصحافة كذلك، مسئولان بشكل أساسي، عما جرى، فقد كانت البلد، فعلاً، غير مستقرة، وكانت الأعصاب مشدودة، والنفوس متوترة.

وقد ربط البعض، بين انفعالات السادات، وغضبه، فيما بعد، وبين تلك الأحداث وتأثيرها عليه، وقد كان ذلك شيئاً طبيعياً، وإلا فماذا تتوقع من رئيس الدولة، وهو يرى الوزراء يهربون، من مواجهة المسئولية.. وكان من الطبيعي أيضاً، أن يبدأ السادات ويتوعد الذين حركوا المظاهرات والناس، في تلك الأيام، رغم أن أغلب المتهمين خرجوا براءة، وبعضهم فقط هو الذي أدين ودخل السجن، بعد أن ألغى السادات قرارات رفع الأسعار فوراً. وبعد ذلك رفعت الأسعار بطريقة ذكية.

وقد كانت بعض تقارير الأمن، عن الجماعات الإسلامية ، وتزايد خطرها.. كانت سبباً في أستثارة عصبية السادات، وفى أستدراجه إلى الانفعال الغاضب، خصوصاً في سنواته الأخيرة، بعد أن راح كثيرون، يصورون له خطر الأخوان المسلمين، والجماعات الإسلامية، على نظام الحكم، وبعد أن انتهزت عناصر الشيوعيين والناصريين، الفرصة، لتخريب العلاقة بين السادات، وبين القوى السياسية المختلفة.

وزادت الفجوة، واتسعت، بين السادات والإخوان، بعد تبني جيهان السادات، لقانون الأحوال الشخصية، إذ تعرضت لهجوم عنيف، من الأخوان، الذين بدأوا يهاجمونها، في كل مكان، وفى مجلات الحائط الجامعية. وبدأ السادات يستخدم في خطاباته، عبارته الشهيرة: لا سياسة في الدين، ولا دين في السياسة.. فاصطدم أكثر بالإخوان، الذين اعتبروا أن مثل هذا العبارة، تصطدم بمبدأ رئيسي، من مبادئهم الاستراتيجية.

وكان السادات، قد سمح للإخوان بالعودة، في الحدود التي يتمكن من خلالهم، من التصدي للناصريين والشيوعين، وفى الوقت نفسه، أحتفظ لنفسه، بحق إيقافهم، أي الأخوان، خارج حدود اللا مشروعية.



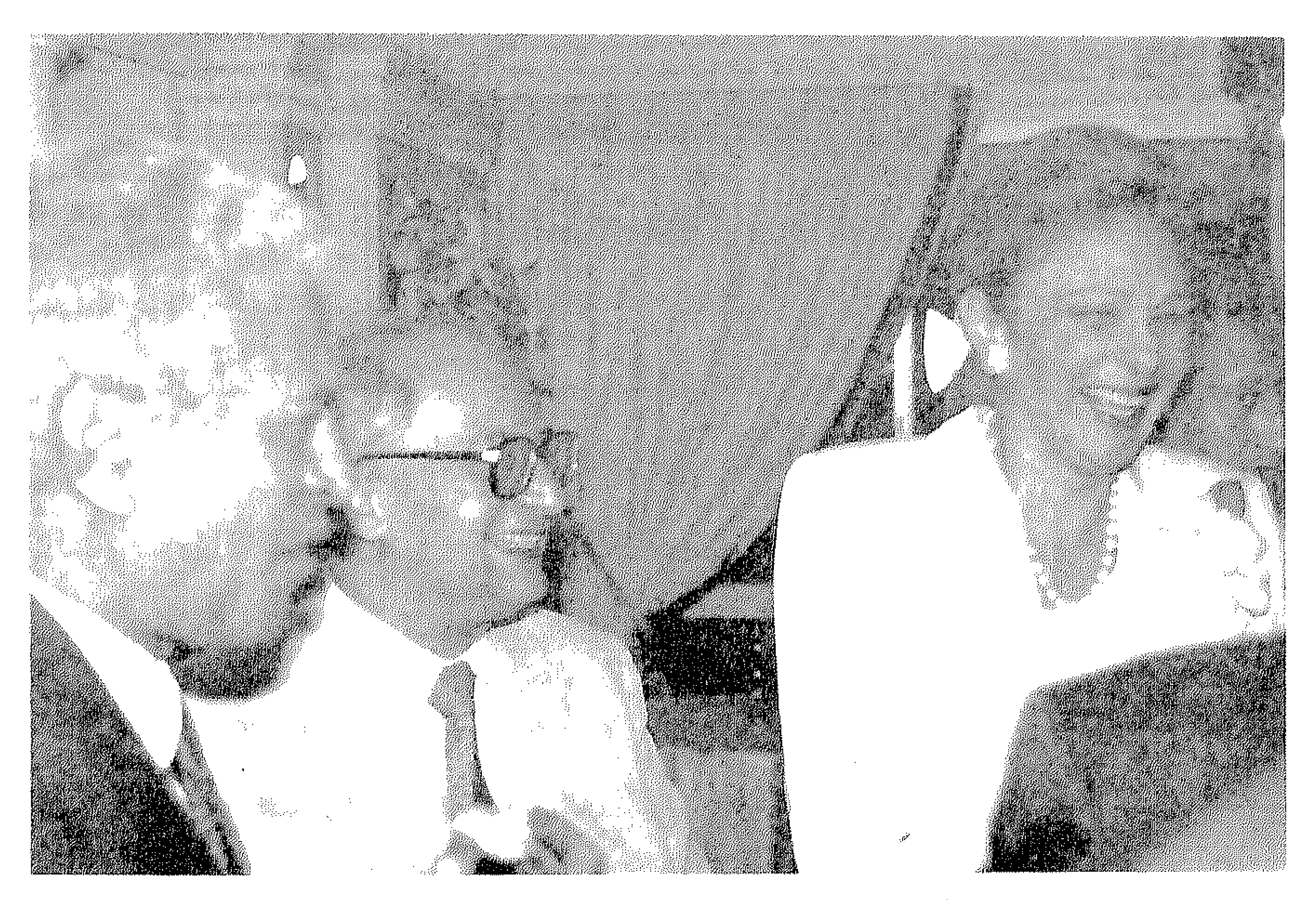
السيدة جيهان السادات يتحدث إليها دكتور جامع وهو يرتدى الجلباب والطاقية فى أحد اللقاءات الرمضانية بميت أبو الكوم وبجوارها دكتورة عائشة راتب وزيرة الشئون الاجتماعية

ولم يكن السادات، يتوقع أن ينقلبوا عليه، وأن يبدأوا في مهاجمته، ومهاجمة زوجته السيدة جيهان السادات، ففقد أعصابه، وراح يهاجمهم هو الأخر، ودون أن يقصد، ساهم في إشعال نار الفتنة، عندما هاجم المحجبات والمنقبات، في بعض خطاباته، فاصطدم، دون أن يرى، بعدد من مبادئ الإسلام، ثم تصاعدت معاركه أكثر، باصطدامه مع البابا شنودة الثالث، ففتح الباب لعدد من حوادث الكنائس، في الصعيد، بين المسلمين والمسيحيين.

ويحسب للسادات، أنه كان قادراً على الفرز بين الجماعات الإسلامية المختلفة، فقد كان يرى مثلاً، أن الأخوان لا علاقة لهم بالعنف، وعلى وجه خاص قيادات الأخوان وشيوخهم ورموزهم. وفى الوقت نفسه، كان يعرف أن هناك. جماعات أخرى، تتخذ العنف سبيلاً ومنهجاً في العمل، مثل جماعة "الجهاد" و التكفير والهجرة بقيادة شكري مصطفى، والشوقيين، والناجون من النار، وطلائع الفتح، وكلها تيارات آمنت بالعنف، بدرجات متفاوتة، وتورطت فيه، على نحو أو آخر.

وكانت الفجوة بين الطرفين، السادات والأخوان، أو بمعنى آخر، بين السادات من جانب، والتيار الديني من جانب آخر تتسع، ومضى عدد من خطباء المساجد، يهاجمون السادات وزوجته على المنابر، وكان من بين هؤلاء الخطباء: الشيخ كشك، الشيخ الغزالي، الشيخ المحلاوي، الدكتور عبد الصبور شاهين، د. عبد الرشيد صقر. وغيرهم.

ولما أستقبل السادات، شاة إيران في مصر، هوجم بعنف، وتصاعدت حدة هجومهم عليه، وأحرق بعض شبابهم معرضاً للكتب في جامعة الإسكندرية، وأشعلوا النار في كتب طه حسين ونجيب محفوظ وتوفيق الحكيم. وأصبح كل طرف، سواء أكان هذا الطرف، هو السادات، أو هو التيار الديني.. أصبحا مسئولين عن إذكاء نار الفتنة، وإشعال الحرب بينهما. وكان الزمام قد فلت، وعرفت الجماعات الإسلامية طريق الرصاص، وذاقت طعم الدم، بعد عملية الكلية العسكرية، وبعد حادث مقتل الشيخ الذهبي.



الشهبانو فرح ديبا في لقاء باسم مع دكتور جامع ودكتور ممدوح البلتاجى وزير السياحة

وبدأ السادات يفكر، بذات الطريقة التي فكر بها من قبل، وبنفس التكتيك، إذ دعا محمد توفيق عويضة الذي كان مفصولاً من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وقت أن

كان الشعراوي وزيراً للأوقاف.. أتى به، وطلب منه أن يشكل جماعات لضرب الجماعات الإسلامية، بعد أن جعله مستشاراً لرئيس الجمهورية للشئون الإسلامية. وبدأ ما سمي بمعسكرات أبو بكر الصديق الصيفية، وكانت نفقاتهم تأتي في ميزانية خاصة تحت إشرافه، وكان السادات حريصاً على زيارة شباب تلك المعسكرات، والالتقاء بهم، وأغدق عليهم، ولكن أحداً لم يكن بمقدوره أن يقف في وجه الجماعات الإسلامية، بعد أن وصلت إلى المكان الذي لا يستطيع أحد الوقوف أمامه.

وقد حاولت من جانبي، تلطيف الجو بين الطرفين، وخاصة بعد الصدام بين السادات وبين عمر التلمساني، الذي صالحه السادات وحاول استرضاءه، بتعيينه عضوا في المجلس الشورى، إلا أن التلمساني رفض.

وأذكر أني تقدمت باقتراح للإخوان، لو أخذوا به، لكانوا اليوم، في حال غير الحال تماماً، ولكانوا قد استراحوا من هذا المطاردات التي لا تكف، من جانب السلطة.

عرضت عليهم أن يؤلفوا حزباً ويطلقوا عليه أسماً مدنياً كحزب الرفاه -مثلاً- في تركيا، وأفهمت عدداً من قياداتهم، أن تغيير الاسم. لاشئ فيه، مادامت المبادئ ستظل كما هي وما داموا سيظلون متمسكين بما يعتقدون فيه من مبادئ وقيم الدين. وأن جماعة الإخوان المسلمين تبقى كما هي كنت وقتها عضواً في مجلس الشورى، وقلت أنى سوف أنضم إلى مثل هذا الحزب فوراً، لو أخذوا بنصيحتي فعلاً.. لولا أنهم رفضوا، ولو قبلوا اقتراحي يومها، لكانوا اليوم قد صاروا جزاءاً من نسيج الحياة السياسية، ولكانوا قد اندمجوا في نظام الحكم، وفى العملية الديمقراطية.

وكان اقتراحي ينصح، بأن يكون الحزب لكل الفئات والطوائف، وأن يدخله المسيحيون والنساء.. إلى أخره.

غير أن اقتراحي، واقتراحات أخرى مماثلة، أحبطت في مهدها، ولم يكتب لها النجاح، بسبب بعض العقول المتحجرة، التي أبت إلا الغباء ورفضت أن تستجيب لنداء العقل، الذي أراد إبعادهم عن دائرة الصدام مع السلطة، تلك الدائرة الجهنمية، التي لا نهاية لها، والتي تستنزفهم كل يوم. وحدث بعد إنشاء حزب الأمة برياسة أحمد الصباحي أن قامت

مفاوضات بينه وبين عمر التلمساني مرشد الإخوان للإنضمام للحزب ولكنـه طلـب مبلغاً كبيراً من المال وتمسك برياسة الحزب وفشلت المفاوضات التي اشتركت في جزء منها.

وبدا واضحاً، أن طريق اللا رجعة، بين السادات وبين الإخوان ومختلف القوى الأخرى، قد بدأ بالفعل، وبالذات بعد أن صدرت قرارات سبتمبر، الـتي أعتقـل السـادات بموجبها١٥٦٩شخصاً، من مختلف المهن والطبقـات، وقـد أحتـوى هـذا الرقـم، في داخلـه، أعداداً من الكتاب والصحفيين والأدباء، والسياسين، والمهندسـين، والطـلاب.. وغـيرهم.. وغيرهم، ممن أقنعه الأمن، بأنهم خطر على أمن النظام.

وعقد السادات مؤتمراً صحفياً، وكان أثناءه في غاية الغضب والثورة، وقـد أنفجـر في صحفي أجنبي، حاول أن يستفزه، فاستفزه فعلاً، وكاد السادات أن يطرده من المؤتمر. وقد كنت وقـت صـدور القـرارات في بـاريس، فعـدت مسـرعاً، وقصـدت إلى مـنزل الرئيـس، وحذرت السيدة جيهان السادات، من أن ما حدث ليس في مصلحة الرئيس، كما حذرتها من المحيطين بالرئيس والذين كانوا يزينون له أي عمل، ويقنعونه أنهم يكتشفون، كل يـوم، محاولة جديدة لاغتياله، وقد كان ذلك أدعى دائما، لأن يتفجر غضب الرجـل، وأن يحتفـظ في الوقـت ذاتـه، بـالمحيطين بـه، الـذي أقنعـوه تمامـاً، أنهـم حريصـون علـى أمنـه وسـلامته، وساهرون على حمايته.

بعدها، ذهبـت لزيـارة السـادات، في حديقـة منزلـه، وجلسـت إليـه، وأوضحـت لـه الأخطار التي يمكن أن تهدده، من جراء قـرارات سـبتمبر، ونقلـت لـه لصـورة، كاملـة، في الخارج، وكيف أنهم يهاجمونه في الغرب، ولذلك فلابد من الإفراج عن رموز الأمة، الذيـن أعتقلهـم، ولابـد مـن إصـلاح مـا حـدث، وفوجئـت بـه ينفجـر غضبـاً. ويثـور في وجهـي، ويطردني، ثم قام وتركني وحدي، وألغى الشاي الذي كان قد طلبه لي، فقمت وانصرفت، بعد أن لاحظ الحرس ما حدث بيننا، وطوال الطريق، إلى بيتي، كنـت أفكـر فيمـا حـدث، وأفكر في المصير الذي يسعى إليه السادات بنفسه، وكانت تلك المقابلة، هي آخـر لقـاءاتي معه، إذ اغتيل بعدها بيومين فقط.

آمنت في ذلك اليوم، وبعد لقائي الأخير العاصف بالسادات، أن الرجل لم يعد يسمع لأحد، وأنه ماضٍ إلى مصيره، بإصرار وعناد رافضاً تماماً. أية مشورة أو نصيحة، من أى من المحيطين به.

وسقط الرجل، في يوم عيده، يوم ٦أكتوبر، على يد خالد الإسلامبولى، الذي قالوا أنه كان من الإخوان، والحقيقة غير ذلك تماماً، فلا علاقة لخالد بالإخوان، ولا بأي تنظيم ديني أخر. والمسألة تتلخص في أنه كان ضابطاً في الجيش، وفي إحدى أجازاته، فوجئ بأن المباحث قد ألقت القبض على شقيقته ووالدته، وأخذتهما رهناً، حتى يعود شقيقه، الذي كان مطلوباً من الأمن للاعتقال. وذهب خالد، يطلب الإفراج عن شقيقته ووالدته، ووجد في ذلك معاناة ومهانة، ونحن جميعاً نعرف معنى أن يمس أحد، المرأة، في الصعيد بالذات بكلمة، أو حتى بإشارة من بعيد ونعرف أن المرأة هناك، عصب حساس لا يجوز لأحد الاقتراب منه، كم سالت دماء، في الصعيد، بسبب إصرار رجال الجنوب، على أن تظل المرأة، في المربع المقدس، الذي لا ينبغي أن يدركه أي شخص، بأذى.

تأذى خالد، جداً، لحبس شقيقته ووالدته، وعاد إلى وحدته، متأزماً، محبطاً ساخطاً غاية السخط، والتقي مصادفة، بأحد أصدقاء شقيقه الهارب، وكان هذا الصديق هو الضابط عطا طايل، الذي جمع خالد على زميل ثالث، هو محمد عبد السلام فرج، صاحب "الفريضة الغائية" في أحد المساجد.

والتقى الثلاثة، على أن الحاكم كافر، وأنه ظالم، وإن دمه حلال، وكان خالد – نفسياً، مستعداً للتجاوب مع مثل هذه الأفكار، ومهيأ للأخذ بها، وتنفيذها فوراً. وجلس الأسلامبولى، وعط طايل، مع ثلاثة آخرين، التقوا معهما في ذات الأفكار، واتفقوا جميعاً، على ضرورة اغتيال السادات، لأنه في رأيهم – حاكم ظالم، وكافر، ولابد من قتله!

سقط السادات شهيداً، ولم أذهب –إلى مستشفى المعادى، حيث قضى ساعاته الأخيرة وإن كنت قد حضرت الجنازة، ومعها كانت نهاية عهدي، برجل وطني، مخلص لبلده، حاول جاهداً أن يصعد بها، ويرتقي بظروفها، وصنع مجد أكتوبر العظيم، ومضى في طريق السلام، واضعاً نصب عينيه تجنيب شباب بلاده، للدم والعنف والحرب، ومصراً على

أن يستعيد بقية أرضه المسلوبة، بالسلام، لا بالحرب. ووسط كل هذه الأجواء، سقط الرجل، وكأنه بطل من أبطال الأساطير اليونانية، الذي يتهاوى وهو في عز مجده وهيلمانه وانتصاره، بسبب الخيانات.. خيانات المستشارين والمساعدين، والمحيطين به، وتقارير الأمن الكاذبة. وبسبب عدائه، غير المبرر، لأغلب رموز القوى السياسية، على أرض الوطن. وكان يقول لي دائماً أنا لا أحارب إسرائيل أنا أحارب أمريكا بكل هيلمانها ولابد أن يعرف الناس ذلك.. ولا يقدر على القدرة إلا الله عز وجل... وما فعلته مع اسرائيل هو آخر جهدي.. وعلى الذين يأتون من بعدي أن يحرروا القدس والضفة الغربية وغزة كما يشاءون.. بالأفعال وبالرجال وليس بالتصريحات والشعارات... ويكاد يبكي منفعلا...

«١٩»

ذكريات مع السادات النائب والرئيس

"وقــالوا أنهــم جــاهزون، وأعطونــي الشــنطة، وبهــا كتالوجــات الأســلحة المتاحــة. . . ."

كان لي زميل وصديق هو المهندس صلاح أحمد العبد وكان يعمل عضو مجلس إدارة في شركة المضارب وكان من أسرة العبد المعروفة بشبرا النملة – وفي أحد الأيام طلب مني موعدا بمنزلي لزيارتي وبصحبته بعض الأصدقاء بشأن موضوع هام وخطير لتوصيله للسادات عن طريقي مباشرة. وكان ذلك في أوائل سنة١٩٧٣. وحضر إلى منزلي بشارع النادي بمدينة طنطا وبصحبته السيد بسيوني عبد الرحمن وهو وكيل أعمال رجل الأعمال السعودي الشربتلي – ومعهم لواء طيار بالمعاش يقطن بشارع عبد العزيز آل سعود بالمنيل على النيل مباشرة، ومعهم قطب برلماني معارض الآن وعضو بمجلس الشعب وشخصان آخران .. وكانت معهما شنطة سامسونيت. وبعد تبادل التحية قال أحدهم أنهم يعرفون علاقتي المباشرة بالسادات.. وأنهم يعلمون من مصادرهم الموثوقة أن السادات يبحث عن سلاح لتسليح الجيش واستعدادا للحرب ضد إسرائيل.

وإنهم على استعداد لإمداده بكل ما يطلب من أسلحة أو طائرات من الكتلة الشرقية أو الغربية.. أما مصدر أسلحة الكتلة الشرقية فكانت من دول مجموعة حلف وارسو مثل بلغاريا أو تشيكوسلوفاكيا وليست من الاتحاد السوفيتي مباشرة.

وأخبروني بأنهم علموا أن الاتحاد السوفيتي لا يريد أن يعطي السادات أسلحة متطورة – ولكنه يريد أن يبيعه أسلحة قديمة مثل طائرات الميج.. وخلافه.

وأكدوا لي أن أخبر السادات أنهم سيزودوه بأحدث الأسلحة المتطورة دون علم الاتحاد السوفيتي.

وكذلك بالنسبة للأسلحة المتطورة من دول الكتلة الغربية مثل أمريكا وانجلترا وفرنسا – وأخبروني أن جنرالات حلف الاطلنطي يبيعون هذه الأسلحة المتطورة الحديثة لتجار السلاح سرا ويقبضوا ثمنها من وراء ظهر مجموعة الحلف.

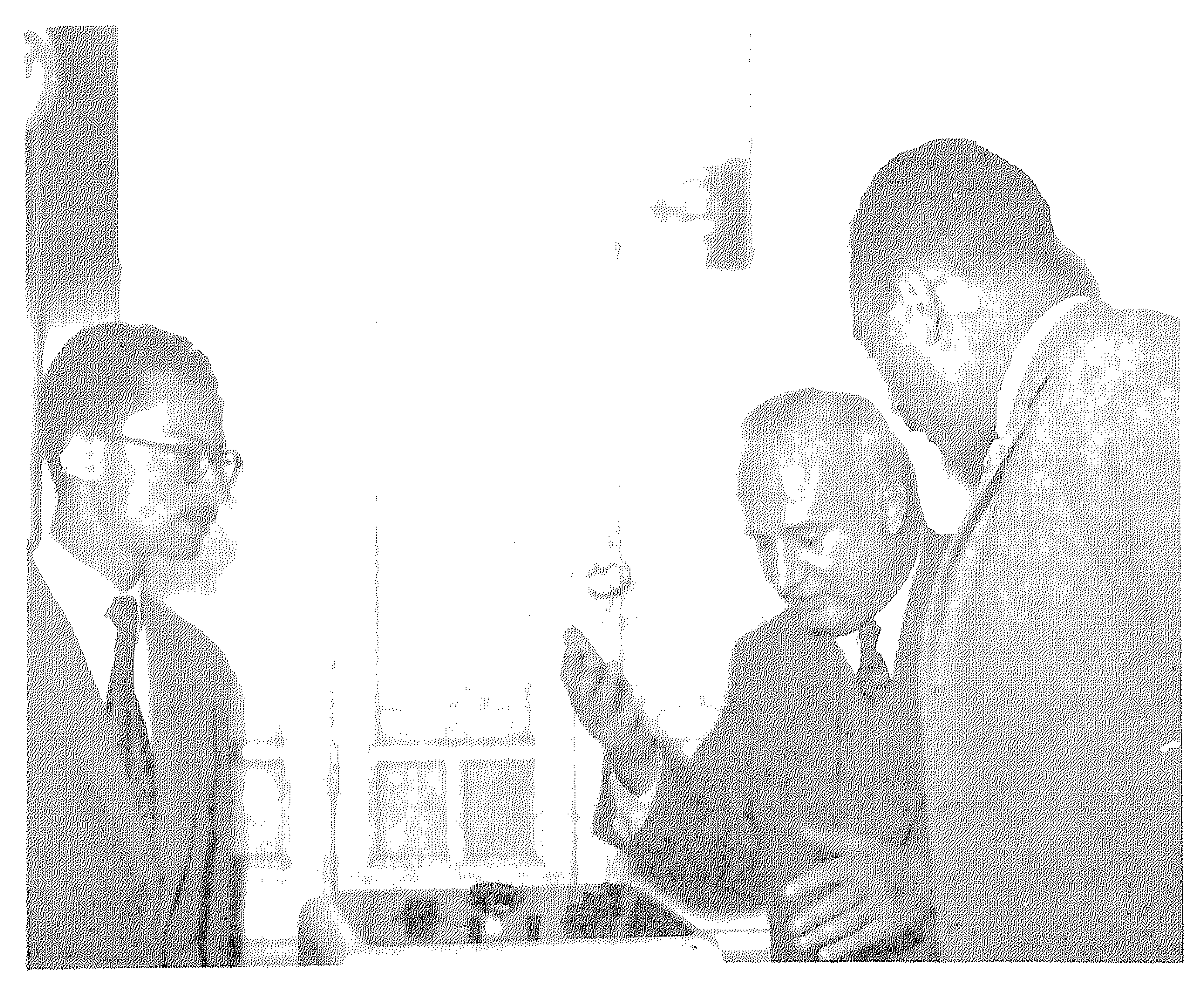
وأخبروني أنهم لن يقبضوا ثمن الصفقة إلا بعد تسليمها في الزمان والمكان والميناء الذي يحدده السادات. وأخبروني أن معمر القذافي وقع ضحية عملية نصب من تجار سلاح قبضوا منه ثمن السلاح مقدما – ثم أرسلوا له صناديق مليئة بالأحجار والزلط.

وقالوا أنهم جاهزون فوراً وأعطوني الشنطة وبها كتالوجات الأسلحة المتاحة.

ثم قالوا لي تحديداً "قل للرئيس السادات إن العمولة التي ستكون من نصيبه جاهزة وعليه أن يحدد إسم البنك الذي ستوضع فيه مبالغ العمولة خارج مصر.. وبنفس النسبة وبنفس الطريقة التي كنا نتعامل بها مع جمال عبد الناصر ويقولون لك.. وهم يعرفون إنك عارف بذلك.

وطلبت السادات تليفونيا فوجدته بالقناطر الخيرية وسافرت فوراً ومعي الشنطة والكتالوجات.. واستدعى المرحوم المشير أحمد إسماعيل وكان مديراً للمخابرات العامة في ذلك الوقت قبل تعيينه وزيراً للحربية وقائداً عاماً للقوات المسلحة.

وجلس ثلاثتنا وتصفح أحمد اسماعيل مع السادات الكتالوجات وتناقشنا في المطلوب. وقال لي السادات هذا عرض إيجابي وجيد. ولكن زيادة في الاحتياط طلب مني المشير أحمد اسماعيل أسماءهم وعناوينهم حتى تتحرى عنهم المخابرات بدقة قبل البدء في إجراءات الصفقة خوفاً من تسلل الموساد الاسرائيلي عن طريق أحد منهم.



في أول الثورة السادات يستمع إلى شرح الدكتور فهمي سيدهم على جهاز طبي
والدكتور جامع يستمع

وقال لي السادات إن المخابرات الاسرائيلية (الموساد) قد تدس أشخاص مثل هؤلاء لمعرفة حقيقة موقف التسليح عندنا – وقد لا نطلب نحن أسلحة نحن في أشد الحاجة إليها لنضلل العدو الإسرائيلي – وهكذا...

وبواسطة المخابرات تقابلت بالملحق العسكري البلغاري في الجيزة – ثم طلب مني السادات أن أبتعد تماما بعد ذلك خوفا على حياتي وتركت لهم إتمام الصفقة واستراح ضميري عندما أحسست أنني قمت بعمل وطني أخدم به وطني ومبادئي.

وأذكر أنني بعد انتهاء الجلسة في القناطر الخيرية وانصراف المشير أحمد اسماعيل قلت للسادات إنهم أخبروني بمعلومة خطيرة أتردد في ذكرها لك – ولكنني قررت أن أذكرها لك لأنه ليس هناك أي تكليف بيني وبينك.. ولابد أن أصارحك بكل قول مهما كان كعهدي بعلاقتي بك دائماً. واخبرته بموضوع إيداع العمولة الخاصة بالرئيس في البنك الذي يراه خارج مصر.

فضحك كثيراً وكان يجلس على الكرسي الهزاز المشهور وأخذ نفخة طويلة من غليونه.. وقال لي "صح يا محمود هم بيتكلموا مضبوط - وعبد الناصر كان يخصص حساب مستقل لهذه العمولات في بنوك الخارج - ورئيس الدولة لا يأخذ هذه الأموال لنفسه - ولكنها توضع في حساب مستقل بإسم رئيس الدولة في أحد البنوك بالخارج ينفق منها رئيس الدولة بطريقة سرية على أمور تخص الأمن القومي للبلد - ولا ينتفع بهذه الأموال أبناء الرئيس أو أسرته بأي حال من الأحوال.

وأفهمني بأن تجار السلاح هم مجموعات منتشرة في جميع أنحاء العالم ولهم أساليبهم التي قد تودي بحياة الشخص الذي يدخل هذه الدائرة.

وذكرني ذلك بالضابط على شفيق مدير مكتب المشير عبد الحكيم عامر والذي تزوج المطربة مها صبري الذي أقام في لندن في آخر أيامه بعد تولي السادات الحكم وأشتغل بتجارة السلاح في لندن - ووجد مقتولا في شقته وكان بحوزته مليون دولار تقريباً في شنطة جلدية.

وكان السادات دائما صريحاً معي إلى أبعد الحدود - وكنت دائما أسعد بذلك - لأن الحاكم دائما معذور بكثرة مسئولياته ومشاغله الجسيمة - وإذا اعتمد في قراراته على تقارير الأجهزة - فهنا يكمن الخطر فكثيرا ما تكون تقارير الأجهزة غير صادقة أو غير دقيقة أو متناقضة. والوشايات كثيرة في دهاليز السلطة - وقد رأيت بنفسي بعض الأشخاص - وكيف يسيئون إلى الأشراف بالمعلومات الكاذبة التي يسربوها إلى رئيس الدولة - وقد يتعاون البعض في تسريبه نفس الوشايات بقنوات مختلفة - والحاكم معذور ومعذور.

ولكن الحاكم لو فتح أبوابه للناس والأصدقاء وسمع من الجميع لخشيت الأجهزة والبطانة أن تنقل الأكاذيب لرئيس الدولة.

وقد كان سامي شرف دائما يتكلم على الناس بكل سوء عند عبد الناصر - ولا يتكلم أبداً عن أي إنسان بالخير - وكان يقول أنه يعرف دبيب النملة في

مصر. ومن سلبيات السادات بعض أفراد بطانته التي كانت تبث لـه، والمعلومات الكاذبة التي تسئ إلى الأشراف ظلماً وعدوانا.

وأذكر أن السادات لم يذكر كلمة شكر واحدة للقوات المسلحة بعد أحداث ١٨، ١٩ يناير رغم أن الجيش هو الذي أنقذه وأنقذ البلد من أحداث دامية. بل إنه أعطى الصحافة توجيهات بذلك، وقال في خطبة له بالإسكندرية أن الفضل كان للشعب ونقابات العمال ونقيبهم.

وبلغت وشايات الأجهزة الحساسة في البلد مبلغها حتى أنني أذكر أن أحد الأجهزة حاول الإيقاع بين السادات ونائبه مبارك – ونجحوا في ذلك في فترة وجيزة – وبعد ذلك فهم السادات الوشاية وتم الإصلاح. ولا داعي للخوض في تفاصيل أكثر وكان لزوجة الرئيس السيدة جيهان تأثير قوي عليه في بعض القرارات أكثر من بعض الأجهزة المعنية.

وبعد إغتيال السادات – طلب محمد نبوي إسماعيل وزير الداخلية من النائب حسني مبارك التعجيل بإجراءات تعين رئيس الجمهورية الجديد نظراً لأن رؤيته للأمور عامة توجب ذلك حتى يتم الإستقرار المنشود. والقضاء على الفتن، وكان متشككا في نوايا كمال حسن علي ولما ذهبوا إلى مجلس الوزراء وعقد اجتماع برياسة النائب حسني مبارك – طرح الموضوع للمناقشة فصمم كمال حسن علي على أن تمر مدة الستون يوما التي نص عليها الدستور قبل اختيار رئيس الجمهورية الجديد – وهنا نظر النبوي إسماعيل إلى النائب حسنى مبارك نظرة ذات مغزى ومعنى من طرف خفي – وصمم على عمل إجراءات الانتخاب فوراً – وتم له ما أراده!!

وفي حياة السادات كانت السيدة جيهان تقول له دائما لا تجعل أذنيك الأثنين ملكاً للنائب حسني مبارك – ولكن إعطْ له أذن واحدة والأذن الأخرى للفريق الماحي رئيس المخابرات وصهر محمود أبو وافية زوج أخت السيدة جيهان – وكانت الأخبار التي يعطيها الماحي للرئيس تدعو للإستغراب. عندما أصدر

الرئيس السادات قراره الجمهوري بإعادة رجال القضاء المفصولين والمبعدين عن الهيئات القضائية أيام حكم عبد الناصر. رفض بشدة إعادة المستشار يحيى الرفاعي إلى الخدمة - فقام برفع قضية أمام القضاء الذي حكم بإعادته إلى الخدمة وعاد إلى القضاء ووصل إلى منصب نائب رئيس محكمة النقض حتى بلغ سن المعاش.



الرئيس حسنى مبارك والمستشار يحيى الرفاعى في أحد الاحتفالات

وأنتخب لدورات متتالية رئيساً لنادي القضاة ثم رئيساً شرفياً مدى الحياة للنادي.

وكان مصطفى أمين "عميل مزدوج" مع الأمريكان بتكليف واتفاق مع عبد الناصر - وبالطبع كان لابد أن يعطى الأمريكان بعض المعلومات ليأخذ معلومات أكثر..

وسجلت له المخابرات المصرية أن الأمريكان قالوا لمصطفى أمين أن عبد الناصر تاعبهم - فقال لهم مصطفى اتقلوا على عبد الناصر من ناحية تسليم

القمح – وسيتداعى النظام بأكمله – ونقلها صلاح نصر لعبد الناصر – وجن جنون عبد الناصر – وأمر بالقبض عليه.

وقبضوا عليه في منزله بالإسكندرية بطريقة مهينه وعذب تعذيباً شديداً في ليمان طره.

وقد لعب محمد حسنين هيكل دوراً كبيراً للوشاية بمصطفى أمين عند عبد الناصر وكان يكرهه ويحقد عليه – وحاول بعد ذلك هيكل أن يوهم مصطفى أمين أنه برئ ولكن مصطفى أمين لم يقتنع بذلك حتى أخر لحظة في حياته.

ويذكر للصحيفة المتألقة الأستاذة مها عبد الفتاح مديرة مكتب الأخبار في الولايات المتحدة – وقد كانت زوجة مصطفى أمين لمدة سنتين وانفصلت عنه وتركته ولكنها بعد سجنه وقفت بجانبه – وشهدت لصالحه رغم الضغوط الهائلة من صلاح نصر وأجهزة مخابراته وكان سفير مصر في اليونان وهو من الضباط الأحرار كان يريد وقتها الزواج من مها عبد الفتاح ولم يتم الزواج وقال لصلاح نصر صديقه مهددا – لو عملت أي شئ مع مها عبد الفتاح لوقوفها بجانب مصطفى أمين سأضربك بالرصاص وكانت تزوره دائما في ليمان طره وتأخذ معها المأكولات والهدايا بين حين وآخر متحمله المشاق الكثيرة – وضربت مثلا رائعا من أمثلة الوفاء العظيم.

وكان الإفراج عن مصطفى أمين إفراجاً صحياً لأن السادات كان يكرهه ويخشاه ويؤمن في قرارة نفسه أنه عميل للأمريكان وسمع عنه قديما أنه تزوج أم كلثوم وكانت إشاعة غير صحيحة. وكان السادات دائما يرددها.

ولكن السادات كان يحب أنيس منصور من قلبه ويستريح له ويحترمه واستغل اتصالاته وكلفه بمهام سرية كثيرة ساعدت في عملية السلام مع إسرائيل – وفي حل المشاكل الدائمة بين البلدين بين حين وآخر لثقته الكاملة فيه. وعمل له خصيصاً مجلة أكتوبر وكان يختصه بكثير من الأسرار.

وعندما تولى سعيد سنبل رئاسة تحرير الأخبار قال له السادات أمامي بالحرف الواحد خللي بالك من أثنين مصطفى أمين وجلال الحمامصي لأنهم بيكتبوا عنـدك - وكان سعيد سنبل رجل في قمة الأدب الرفيع فقال له يا ريس لا تخف.

وفتح أنيس منصور بطريقة سرية قنوات اتصـال مـع الساسـة الاسـرائيلين - وكان يزور إسرائيل كثيرا بطلب مـن السـادات. وتعـددت زيـارات الشـخصيات الإسرائيلية للقاهرة.

﴿٢٠﴾

عمائم في حياة السادات

"وعندما أبلغت السادات حزن جداً وكان مجتمعاً مع الرئيس الفرنسي ديستان في قصر عابدين، فأستأذن واستقل الطائرة إلى ...."

عرف السادات، في حياته، مشايخ عديدين، ورجال دين بلا عدد، وأصحاب عمائم بلا حصر، ولكنه. ارتبط بعدد قليل جداً منهم، سواء كان هذا الارتباط، علاقة عمل، عندما أصبح رئيساً للجمهورية. أو كان علاقات إنسانية، ومودة، واعتزاز، من جانبه، تجاه بعض الذين دخلوا قلبه، من رجال الدين.

وخلال مسيرتي معه، أحصيت خمسة من الشيوخ كانوا قريبين إليه وهو أيضاً قريباً إليهم. وهؤلاء الخمسة هم: الشيخ محمد متولي الشعراوي، الشيخ عبد الحليم محمود، الشيخ سيد النقشبندي، الشيخ عبد الحميد عيسى، وأخيراً الشيخ محمد خليل الخطيب.

أما المرحوم، فضيلة الشيخ الشعراوي، فقد عرفته أنا، وفدياً صميماً، في أربعينات هذا القرن، عندما كان مدرساً بمعهد طنطا الديني، وكان وقتها يشارك الطلاب في مظاهراتهم ومسيراتهم، وكان قريباً جداً من قلب مصطفى النحاس، وكان كلما أقبل ليسلم على النحاس، سارع إلى تقبيل يده. وبعد أن نال شهادة العالمية، وأقلع عن هذه العادة، وجاء ليسلم عليه، هكذا، بغير تقبيل اليد، فنهره النحاس وقال: بوس يا ولد، كما كنت تفعل... وقد قبلهما فعلاً. امتناناً، وإجلالاً، للزعيم الجليل.

وعندما ألقى البوليس القبض على مجموعة من الطلاب، جاء مكرم عبيد لطنطا للإفراج عنهم، وبعد أن أطلقوا سراحهم، حملوا مكرم على الأعناق، وطافوا به المدينة، وهم يهتفون،، بعد أن ألبسه الشعراوي عمامته: يحيا الشيخ مكرم!

وكان الشعراوي، يحب في شبابه أن يأكل عند كبابجي كان مشهوراً بوفديته في طنطا، وكان الشعراوي أيضاً يجالس بائع طرابيش في طنطا كذلك. كان يحبهما ويقضي معهما أوقاتاً طويلة. وذات يوم، نزل النحاس طنطا، فخرجت الجماهير تهتف بحياته، وإذا به يسأل الشعراوي، عن حسن أبو علي (الكبابجي) وعن إبراهيم رمضان (صاحب الطرابيش) فأخبره الشعراوي أنهما مريضان، فما كان من النحاس، وهو زعيم الأمة، إلا أن أصر على أن يزورهما بنفسه، وكم كانت لفته كريمة منه، أشارت إلى عظمته، وإلى معدنه كزعيم عظيم. وكان حسن الكبابجي، يوزع الكباب مجاناً على أبناء طنطا، كلما زار النحاس المدينة، كما كان إبراهيم رمضان يفعل نفس الشيء، بالنسبة للطرابيش. رغم حاجتهم للمال.



الشيخ الشعراوى والشيخ الخطيب في جلسه حب صافيه

وقد تعرف الشعراوي، على السادات، في بيتي بطنطا، وكان السادات وقتها نائباً لرئيس الجمهورية، وعندما أصبح رئيساً، اختار الشعراوي وزيراً للأوقاف، وكان وقتها أستاذاً بجامعة الملك عبد العزيز بالسعودية، فتردد في قبول المنصب،

لولا أن ممدوح سالم قد ألح عليه، وألححنا عليه نحن أيضاً، حتى تولى الوزارة. وقد كان نعم الناصح الأمين، للسادات، دائماً، وبغير مجاملة، أو نفاق.

وجاء وقت على السادات، رشح فيه الشعراوي شيخاً للأزهر. وكلف فؤاد محيي الدين، بإبلاغه ، ولكن فؤاد محيي الدين، لشئ في نفسه لم يبلغ الشعراوي، وأخبر السادات بأنه فاتحه في الموضوع، ورفض،... ولم يكن ذلك صحيحاً على الإطلاق.... ولا نعرف إلى اليوم. لماذا لم يخبر فؤاد محيي الدين، الشيخ الشعراوي، بطلب السادات؟



السيدة جيهان السادات مع دكتورة سهير القلماوى والدكتور جامع في أحد اللقاءات..

ولم تكن جيهان السادات، تستريح إلى الشعراوي كثيراً، خاصة بعد الموقف الشهير، الذي دعته فيه إلى إلقاء محاضرة لسيدات مصر الجديدة، ولما دخل وجدهن جميعاً سافرات بغير حجاب، فغادر القاعة فوراً، وأحرج جيهان السادات، وظلت غاضبة منه، وقالت لي بالحرف الواحد: أنا حاشيله من الوزارة وأبلغه ذلك

على لساني. ولما أبلغته قال: ومن قال إنني حريص على الوزارة، أو حتى أريدها.... إنني طلبت تركها أكثر من مرة، ولكنهم رفضوا.

ولم يكن هناك ود، بين جيهان السادات، وبين الشعراوي، بوجه عام، ثم جاءت إطاحة الشعراوي، بتوفيق عويضة، من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لتضيف سبباً آخر، إلى أسباب عدم الارتياح، بين جيهان، وبين الشعراوي، الذي عينه السادات عضواً بمجلس الشورى، في أول تشكيل له، إلا أن الشعراوي ظل رافضاً لحلف اليمين وللمنصب نفسه، إلى انتهاء الدورة.

كانت جيهان السادات، تؤيد محمد توفيق عويضة، لأنه كان ضد الإخوان والجماعات على طول الخط، فلما أطاح به الشعراوي، وأخرجه من وظيفته، بقرار من المحكمة التأديبية العليا، ظلت جيهان حانقة، وغاضبة، على الشعراوي، أو لنقل أن حنقها وغضبها قد زاد عليه، ولم تكن تخفي سخطها عليه، في كثير من المواقف.

وقد كان الشيخ الشعراوي، عليه رحمة الله، خفيف الدم، لطيفاً، ابن نكتة، لا يحب التجهم ولا العبوس في وجوه الآخرين.

إن ما عندي عن فضيلة الإمام الراحل، كثير... كثير، وفي إيجاز أقول إنه كان شديد الاعتزاز بدينه، وقيمه، وكرامته، ولا يقبل التفريط في شئ منها، وفي الوقت نفسه، كان يحب أن يكون ليناً، بشوشاً مقبلاً على الناس.

★★★

أما العالم الجليل، د.عبد الحليم محمود، فقد كان شخصية قوية، عاش من أجل دعوة الإسلام، ومن أجل تطبيق الشريعة الإسلامية في مصر، وجاهد في سبيل ذلك طويلاً، بمقالاته، وخطبه واتصالاته، ولم يكن يهدأ أو يستريح وهو يعمل من أجل تطبيق الشريعة، في كل منحى من مناحي العمل في مصر، ولم يكن يعبأ أبداً، بما لقيه، أو يمكن أن يلقاه، فيما بعد، من مشاكل، بسبب دعوته وإصراره عليها.

وقد غضب ذات يوم، وعكف في بيته شهراً كاملاً، وقدم استقالته، ورفض تقاضي راتبه، وصرف سائقه وسيارته، مما سبب حرجاً شديداً للسادات، الذي أصدر قراراً بأن يكون منصب شيخ الأزهر، بدرجة رئيس وزراء، وكلف الدكتور صوفي أبو طالب ببحث ما يدعو إليه الشيخ عبد الحليم محمود، بالنسبة لمسائل الشريعة، وأصدر تعليماته إلى مجلس الشعب بدراسة ما يراه الشيخ، ثم دعاه على الغداء في ميت أبو الكوم، وكنت حاضراً، وحاول استرضاءه بأي شكل. ووعده بتطبيق الشريعة الإسلامية في جميع قوانين الدولة.

والطريف أني بعد عودتي من غداء السادات والشيخ عبد الحليم محمود، تلقيت اتصالا تليفونياً من الشيخ محمد خليل الخطيب. وكان في منزله بطنطا، وأخبرني أن الشيخ عبد الرحمن بيصار، وكيل الأزهر وقتها. عنده في البيت، وأنه يريد أن يلقاني.

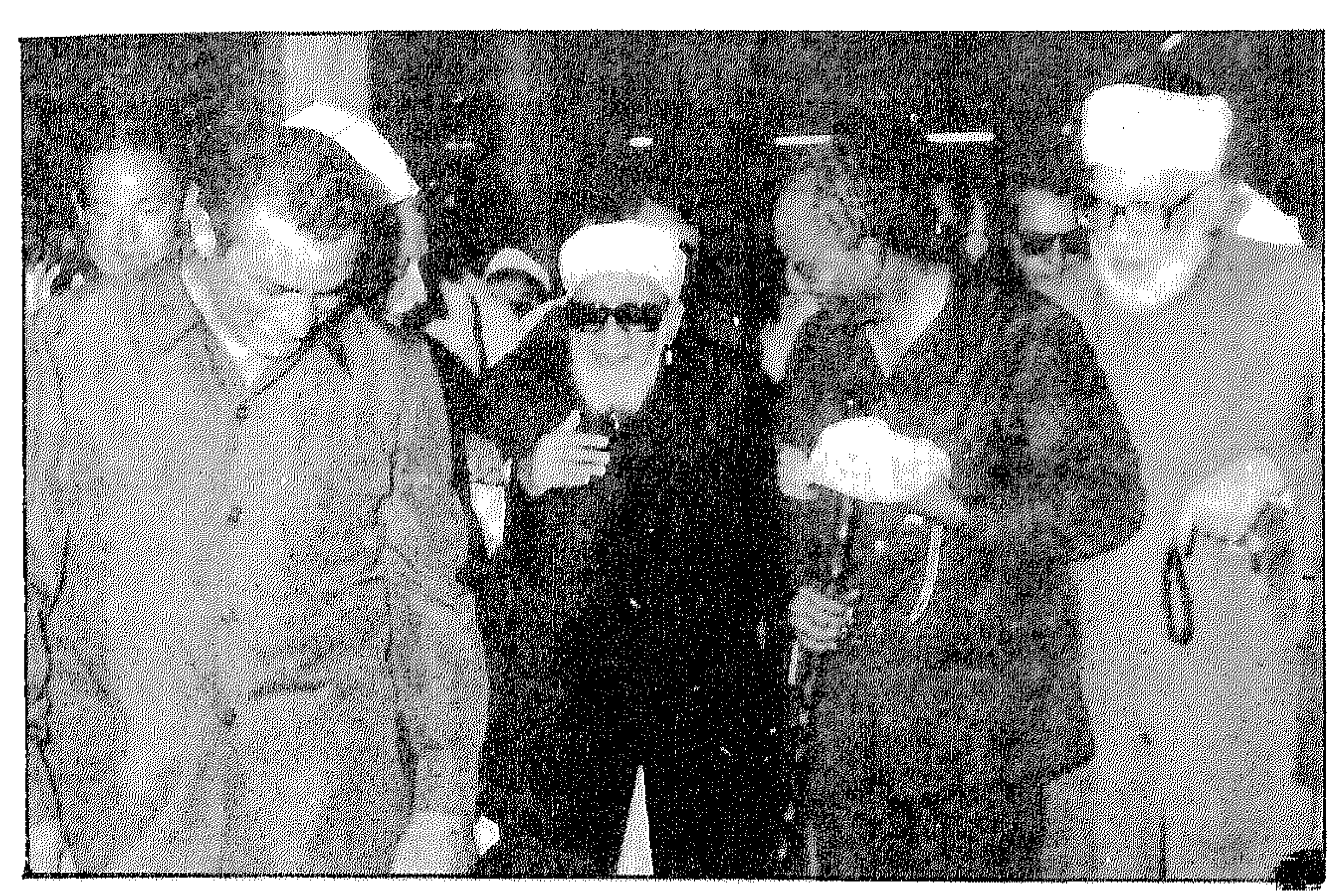
ذهبت إلى بيت الشيخ الخطيب، وفوجئت بأن الشيخ بيصار يعدد لي أنشطته وخدماته للدولة. من الاتحاد الاشتراكي، إلى حزب مصر، وغيرهما، وطلب مني في نهاية الكلام، أن أتوسط لتعيينه شيخاً للأزهر، خلفاً للشيخ عبد الحليم محمود الذي استقال.

سألته عن أسباب استقالة الشيخ عبد الحليم، فقال إنها مسائل شخصية، وأنه لا يحب الخوض فيها، فشرحت له أن الشيخ عبد الحليم، استقال دفاعاً عن كرامة الأزهر، وعن رسالته، ومكانته، ورجاله، وأنه يجب أن يقف بجوار الشيخ، قبل أن يطمع في أن يخلفه.

وأخبرته في النهاية، بأن السادات قد استدعى الشيخ عبد الحليم، وانه قد استرضاه، وجعل موقعه في درجة رئيس وزراء، وأن الشيخ عبد الحليم، سوف يكون في مكتبه صباح غد، بعد أن وعده السادات بدراسة كل مطالبه، بجدية وعزم.

وأسقط في يد الشيخ بيصار.

ويوم زار الرئيس الأمريكي كارتر مصر، دعى الشيخ عبد الحليم محمود، ليكون ضمن مستقبلي كارتر، فرفض رفضاً قاطعاً.



السادات و حسني مبارك يتوسطهما الشيخ محمد خليل الخطيب
وفى اليمين الشيخ بيصار شيخ الأزهر.

وبعد أن توفى الشيخ عبد الحليم. تولى الشيخ بيصار مشيخة الأزهر. بعد أن عرضها السادات على الشعراوي، من خلال فؤاد محيي الدين، الذي لم يبلغ الشعراوي، كما قلت من قبل، لأسباب لا نعرفها إلى اليوم.

رحم الله الإمام الراحل، عبد الحليم محمود، الذي كان مجاهداً في سبيل دينه، وأعطى، ولا ننسى أنه بشرنا بالنصر في أكتوبر ٧٣، عندما رأى حبيبه رسول الله، عليه الصلاة والسلام، في المنام، وهو يرفع راية الله أكبر للجنود، ولقوات أكتوبر.

كان صاحب مبدأ، لا يحيد عنه، وصاحب رؤية، وصاحب فكر، ولم يكن يقبل أن يلين أبداً، أمام كلمة حق، يجب أن تقال... إنه من القلائل الكبار، الذي تبوأ مشيخة الأزهر الشريف.

أما الشيخ عبد الحميد عيسى، فقد كان فقيه قرية ميت أبو الكوم، وعلى يديه حفظ السادات القرآن الكريم، وكان يضرب السادات، وهو صغير، إذا قصر في حفظ القرآن، أو قلد الصغار في شقاوتهم. وكان السادات يروي عنه نوادر كثيرة، وكان دائم العطف عليه، وعلى أسرته.

وفي إحدى المرات ذهب السادات يصلي الجمعة في ميت أبو الكوم، واصطحبنا معه، وبعد أن انتهينا من الصلاة، سأل عن الشيخ عبد الحميد، وطلب أن يراه، وقال أنه يحس بأن الشيخ مريض. فقلت له، إنه من الممكن أن يبعث في طلب الشيخ، ليحضر هو إلى بيت السادات، الذي رفض بشدة، ومضى إلى بيت الشيخ، حيث وجده جالساً في ركن من البيت، وحيداً، فخلع عليه عباءة كان قد أهداها للسادات، الملك فيصل، وأخذناه معنا، إلى بيت السادات، حيث جلسا يتذكران، الذكريات القديمة، لأيام الصبا. وطلب منه أن يحج إلى بيت الله في صحبتي فوافقه السادات وأوصاني أن أرعاه وأنفذ له كل طلباته.



السادات... الشيخ الخطيب... حسنى مبارك .. وممدوح سالم فى مسجد السيد البدوى

وكان السادات يطلب مني دائماً، أن أكون في خدمة الشيخ عيسى، وأن أنفذ له كل طلباته، وأن يكون ذلك على حساب السادات الشخصي. ولا أنسى منظر عدد من كبار المسئولين، كانوا يتسابقون لإرضاء الشيخ، لأنهم كانوا يعلمون أن السادات يحبه.

ولما مرض، كان السادات دائم الاطمئنان عليه، وعندما توفى أخبرت السادات، فحزن جداً. وكان مجتمعاً في مباحثات مع الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان في قصر عابدين، وأسرع ليتقبل العزاء في وفاة الشيخ عبد الحميد عيسى، ثم عاد إلى القاهرة. بالطائرة الهليكوبتر.

كان السادات يتفاءل كثيراً، برؤية الشيخ محمد خليل الخطيب، إمام مسجد السيد البدوي، وكان كلما زار طنطا، أصر على أن يزوره، وأن يطلب منه الدعاء والبركة.

تعرف عليه في منزلي، وهو نائب للرئيس، وبعد أن أصبح السادات رئيساً للجمهورية حضر إلى طنطا في زيارة للمدينة، وزار السيد البدوي، وطلب من الشيخ الخطيب أن يدعو له، فأخبره الشيخ - أن الله سينصره على المتآمرين عليه، ممن حوله، وسينصره أيضاً على أعدائه من الصهاينة، وسيعينه الله على استرداد الأرض المحتلة. وقام السادات، وطبع قبلة على جبين الشيخ الخطيب.

وتحققت نبوءة الشيخ، عندما تخلص السادات من شرور مراكز القوى، ثم نصره الله على الصهاينة في٧٣.

وكان الشيخ الخطيب، يرى أشياء في منامه، ويبلغني بأن أوصلها للسادات، وكنت أفعل، وكانت رؤياه تصدق دائماً؛ لأنه من رجال الله المخلصين. وكان السادات يعلق صورة الشيخ محمد الخطيب وهو بصحبته في منزله تبركاً وحباً واحتراماً.

وكان قبل إقدمه على أي قرار مصيري خطير، كان يزور سيدي سيد البدوي تبركا... وقد فعل ذلك قبل ثورة التصحيح، وقبل العبـور، وقبـل زيـارة القـدس، وقبل مباحثات كامب ديفيد.

ولا أنسى يوم أن ذهب السادات يصلي، في مسجد السيد البدوي، وقد كان السادات يحب دائماً، أن يجلس عند الصف الأخير، من المصلين. وأن يستند بظهره إلى الحائط. وبينما خطيب الجمعة يستعد لإلقاء خطبته، لاحظ الشـيخ الخطيـب أن بعض رجال الحرس، يعطون ظهورهم لـه، بينمـا عيونهـم علـى الرئيـس فاستشـاط الشيخ غضباً، وطلب إخراجهم من المسجد وكاد يضربهـم بعصـاه، وطلـب منهـم الجلوس للصلاة، وكادت تحدث مشكلة كبرى، وكانت الصلاة مذاعة على الهـواء مباشـرة، لـولا أن تدخـل السـادات وأشـار إلى الحـرس أن يطيعـوا الشـيخ وألا يستفزوه، وأن يجلسوا، وبالفعل ذهب بعضهم، وتوضأ، وصلى مع الرئيـس وسـائر المصلين.

كان رحمه الله، لا يخشى في الله لومة لائم، وكان يرى الرسـول كثيراً، رؤيـا يقظة ويخبرنا بما رآه، وكنا نصدقه، لأنه من أولياء الله الصالحين، فعلاً وقولاً.

★★★

ولم أر السادات أشد إعجاباً، من إعجابه بالشـيخ سـيد النقشـبندي، المنشـد الديني العظيم. كان السادات يحب أن يستمع إلى أناشيده الدينية، ويجد فيها متعـة وسلوى، وراحة كبرى، خاصة وأن الشيخ النقشبندي كان صاحب صوت رخيـم، جميل، فيه من الشجن والحـزن الكثير. وكـان السـادات إذا حضـر إلى ميـت أبـو الكوم، في الليـالي القمريـة، يحـب أن يـزوره الشـيخ النقشـبندي، وينشـد بصوتـه الملائكي البديع. وكان السادات يطلب مني إحضاره من طنطا لميت أبو الكوم.

وكان إذا مدح الرسـول، عليـه الصـلاة والسـلام أبكـى الحـاضرين، وأذاب قلوبهم حباً وشوقاً إلى رسول الله .

وقد مات فجأة، بأزمة قلبية، وكنت وقتها مديراً لمستشفى المبرة بطنطا، فأخبرت السادات، الذي تلقى الخبر بحزن بالغ، وكلف اللواء عبده الدمرداش، من رئاسة الجمهورية، بحضور الجنازة والعزاء، وبأن تتكفل الدولة بكل شئ.

وقد كان صوت الشيخ النقشبندي، بحق، هبة من السماء.

﴿٢١﴾

البادى أظلم ..... دائماً

"وصفت الإذاعية نادية صالح، الدكتور أحمد كمال أبو المجد، بأنه المفكر الإسلامي، ثم توقفت فجأة واستدركت معتذرة وقالت. . . ."

منذ اغتيال السادات، وأنا أرقب العلاقة بين الإخوان المسلمين، أو بين التيار الديني بوجه عام، وبين الدولة. باشفاق وغضب شديدين. اشفاق على جانب كبير، من الإخوان والجماعات، وهو الجانب البرئ من أي أعمال عنف، ضد الدولة أو ضد السياح، أو ضد عامة الناس، ورغم ذلك، يتعرض لضربات موجعة، ومؤلمة، بل ويوضع، في سلة واحدة مع أخرى تؤمن بالعنف، وتمارسه.

أما الغضب، فهو على الدولة، لأنها تضع الجميع، في قائمة واحدة، رغم انهم ليسوا كذلك، ولا يمكن أن يؤخذوا جميعاً، هكذا، في حزمة واحدة.

لقد كان السادات قادراً على أن يفرق بين الصالح والطالح، من أفراد الإخوان والجماعات، ورموزهم، ولم يكن يتورط في خطيئة وضع الكل في مربع واحد. أقول ذلك، وأنا أعلم أنهم قد انقلبوا على السادات نفسه في آخر أيامه، وهاجموه بضراوة، هو وزوجته، ووقفوا مع معارضيه وبالذات بعد أن رفع شعاره الشهير: لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة.... وهو شعار أخاف الإخوان جداً، وأفزعهم، وأحسوا بأنه يصطدم بأشياء بديهية، في أعمالهم وأفكارهم...

كان السادات قد أتاح لهم العمل، وأعطاهم الفرصة، ولم يستمع كثيراً إلى تقارير الأمن، وهى تحذره من تنامي قوتهم، ومن خطرهم الذي كان يتضاعف، في نظر الأمن يوماً بعد يوم.

ومؤخراً جداً، وربما بعد فوات الأوان، بدأ السادات يدرك أنه أخطأ عندما مضى معهم، على الأسلوب الذي مضى عليه، وزاد قلقه وخوفه، بعد قيام الثورة الإسلامية، في إيران، وبعد أن بدأت بعض الجماعات، في مصر، ترفع شعارات، رفعها في طهران، الإمام الخميني، الذي كان يرى نفسه تلميذاً للإمام حسن البنا.

وكان يجاهر بذلك في خطبه وأنه له قاعدة عريضة من الشباب الإسلامي في مصر يتعاطف معهم ويتعاطفون معه...



حديث ضاحك بعيد عن العنف والتطرف.. يتوسط الجمع المغفور له فضيلة الشيخ الشعراوى ودكتور جامع

وكان مثار خوف السادات، وقلقه، بل وندمه على ما كان منه، تجاه الإخوان والجماعات، راجعاً أن الخميني كان يهدد دائماً، ويصرح بأنه سوف يصدر الثورة الإسلامية إلى مصر، وقد سمعت السادات، في تلك الأجواء، يردد كثيراً: أن معظم النار من مستصغر الشرر. وبلغت حساسية السادات أن الحكومة الأمريكية طلبت منه أن يوسط عمر التلمساني مرشد الإخوان عند الخميني للإفراج عن الرهائن الامريكية المحتجزين في طهران - واتفق السادات مع التلمساني وطلب مني السفر معه - ولكنه بعد ذلك ألغى الرحلة لأنه خشي من ارتباط الإخوان المسلمين بالثورة الإيرانية.

وهنا، يتوجب علينا، أن نخرج الإخوان، من دائرة الإيمان بالعنف التام، فكراً وعملاً، لأن العنف الذي مورس، ضد الدولة منذ بدأ، كان مرجعه إلى فريقين:

فريق تزعمه شكري مصطفى، وهو الفريق الذي دخل أفراده السجن، في أيام عبد الناصر، غير مؤمنين بالعنف، ولما عذبوا، خرجوا وهم أساتذة في فن العنف، إذا جاز للعنف أن يوصف بأنه فن! من كثرة أهوال التعذيب.

ويذكر الجميع أن شمس بدران في قضية الشهيد سيد قطب ذكر لأحد أصدقائه وهو على قيد الحياة أنه قتل شقيقين أحدهما طالب بكلية الهندسة والآخر طالب بكلية التجارة وهم أشقاء المستشار بكر شافع ابن شقيقته سيد قطب وذلك بعد تعذيبهم أثناء التحقيق معهم... مما ولد الحقد على النظام في نفوس الشباب..

وأما الفريق الأخر، فهو جماعات متفرقة، أمنت، من تلقاء نفسها، وهي مخطئة طبعاً، بأنه لا فائدة ولا جدوى من أي عمل إسلامي علني، وأن السرية هي والعنف الطريق المضمون، وراحت تعمل تحت الأرض، وفي تنظيمات عجيبة، وكثيرة، وتشعل النار عن جهل بما تفعل، وبعواقبه.

وأنا لا أبرئ كثيرين، من رجال السلطة، أيام السادات، من تهمة صب الزيت على النار، بمعنى أنهم كانوا يصرحون ببعض الأقوال، أو يأتون بعض الأفعال، التي كان من شأنها، تسميم الجو أكثر بين تلك الجماعات، وبين الدولة.

لماذا، مثلاً، ننظر إلى المجموعة التي تضم أسماء مثل الدكتور عصام العريان، وعبد المنعم أبو الفتوح، وحلمي الجزار، ومحيي الدين عيسى، وأبو العلا ماضي، ومحمد حبيب ومحمد عاكف وعبد الحميد الغزالي... لماذا ننظر إليهم، على أنهم يؤمنون بالعنف والإرهاب.

إنهم، في رأيي، أصحاب فكر معتدل، مرن، مستنير، يرحب بالرأي الآخر، ولا يرفضه، وقد اصطدموا كثيراً بالجماعات التي تؤمن بالعنف، وهناك وقائع معروفة، تؤكد ذلك. ولابد أن هناك من يسعى لدى السلطة، بالدسيسة والوقيعة بينها، وبين هذا المجموعة المعتدلة، التي ليس من نهجها أبداً، الاصطدام بالسلطة، أو الشرعية. إنني أعرفهم، وأعرف أنهم غير ما يقال عنهم، أو ما ينشر عنهم في وسائل الإعلام، وأرى أنهم مظلومون.

وكثيراً ما أسائل نفسي، لماذا لا تستعين الدولة بأصحاب الأفكار الإسلامية المعتدلة، المستنيرة، لمقاومة أصحاب الفكر المنحرف.

إن التعامل مع الفكر الديني الضال، والمنحرف، لا يكون بأفلام لعادل إمام، وإنما يكون بفكر مقابل، وبخطط مدروسة، وبعلماء دين فضلاء، وبحوار جاد ينتشل أعضاء الجماعات الضالة، إلى جادة الطريق المستقيم.

إن علينا أن ننتبه، إلى أن انتشار الخلاعة، وشيوع المجون وذيوع المخدرات والجرائم بأنواعها المختلفة بين الشباب، قد جاء مواكباً بالضبط لضرب الشباب المتدين، بعنف، باعتبار أن كل متدين أو ملتح هو إرهابي بالضرورة، وكذلك بالنسبة لكل محجبة أو منقبة... وهذا خطأ.

إنني بكل تأكيد، أرفض العنف والإرهاب، بكل صوره وأشكاله، ولا أقبله ولا أقره على أي نحو من الأنحاء، وليس من الإسلام في شيء، قتل مسيحي أو سائح، أو إيذاء الغير،.... كل ذلك مرفوض، بكل قوة وصراحة، ولكني في الوقت نفسه، أريد شباباً قوياً، تعتمد عليه البلد، في مستقبلها، وفي مواجهة أعدائنا الذين يتربصون بنا، وإذا كان شبابنا منقسماً إلى فريقين: فريق تطارده الدولة، بتهمة الإرهاب والعنف، وفريق منغمس في العبث، غارق في ممارسة كل ما يرفضه الدين والأخلاق، فمن إذن الذي سيبني البلد، وأين الشباب الذين يمكن أن يكونوا هم أساس مستقبل مصر؟! أليس هذا سؤالاً مهماً، وحيوياً، وخطراً؟!

إنني أعرف شباباً صالحاً، مستقيماً. متفوقاً، لا يعرف شيئاً سوى عمله، وسوى الإجادة والتفوق فيه، وأعرف أن مثل هؤلاء الشباب، يجري منعهم من الالتحاق بوظائف محددة، لا لشيء، إلا لأن الشاب منهم ذو لحية، أو لأن الفتاة محجبة... فقط، ولغير أي سبب آخر، فكيف يمكن، إذن، أن يتقدم بلد، وهو يخلط هذا الخلط المعيب، بين الشباب الفاسد، وبين الشباب الصالح، ويأخذ هذا، بذنب ذاك؟!

لماذا هذه الحساسية الزائدة، أمام كل ما هو إسلامي؟! لقد سمعت، ذات ليلة، برنامجاً للإذاعية نادية صالح، مع المفكر د.أحمد كمال أبو المجد وزير الإعلام السابق، ووصفته بأنه المفكر الإسلامي.... ثم توقفت فجأة، وأحست بأنها أخطأت، فتداركت موقفها بسرعة، وقالت أقصد المفكر الإنساني!!

وأذكر أن الرئيس هوارد بوميدين حضر لزيارة مصر أيام عبد الناصر وقدمت له طفلتان الورد وهمستا في أذنه أنهما بنات المستشار صالح أبو رقيق صديقه العزيز فطلب بومدين من عبد الناصر أن يرى المستشار صالح فأحضره من زنزانته بالسجن الحربي وكان محكوماً عليه بالمؤبد وسلم على بومدين وبعد انتهاء زيارته بأيام أعادوه إلى السجن وأفرج عنه السادات بعد توليه الحكم وعفوه عن الإخوان المسلمين.

وأذكر أن زميلا لنا في السجن الحربي أيام عبد الناصر وهو الدكتور نجيب الكيلاني رحمه الله فاز بجائزة الدولة التشجيعية في مسابقة القصة القصيرة عن قصة (الطريق الطويل) وكان لابد أن يتسلم الجائزة من عبد الناصر... وأخذوه من الزنزانة إلى عبد الناصر بهدوء وتسلم الجائزة وعاد إلى زنزانته بعد أن استعاروا له بدلة كبيرة على مقاسه ودون أن يذكر أنه من الأخوان المسلمين.

وذات يوم قريب، جرى منع المرحوم الدكتور علي المفتي، وقد كان طبيباً فذاً، ومسلماً ملتزماً بأصول دينه الجميل... جرى منعه من الظهور في التليفزيون، لأنه ظهر في برنامج، وتحدث عن ابن تيمية، وسيد قطب، وأبي الأعلى المودودي. بكل خير... وكان ملتحياً.

مثل هذه النظرة، في رأيي، ترجح فكر العنف ولا تحاربه، بل وتخدمه من حيث لا تدرى.

إن السبب الأساسي للعنف، في نظري، هو سبب اقتصادي واجتماعي، بالأصل، ذلك أن أعداداً هائلة من الشباب، لا تجد عملاً، ويفاجأ كل شاب، بعد تخرجه، أنه باق في بيت أبيه، بلا أي عمل، ما لم تكن له "واسطة" تسهل له

الأمور، وتخلق له فرص العمل. وليس خافياً على أحد، أن الشباب الذي يؤمن بالعنف، أو يمارسه، يخرج من أحياء شعبية فقيرة، ليس فيها أي مقومات لحياة آدميه، ويعيش الناس فيها، على مستوى لا فرق بينهم وبين الحيوانات، في الوقت الذي تطل أغلب هذه الأحياء، على أحياء أخرى غنية، وحافلة بالثراء والمال والأضواء. فما الذي تتوقعه، إذا، بعد مثل هذا التناقض الصارخ، والوضع الذي يفرخ العنف، ويربيه، وما الذي تتوقعه من شباب لا يعمل، ولا يكاد يجد قوت يومه، عندما يقرأ يوماً، في الصحف، أن عادل إمام قد دفع ٤٠٠ جنيه، ثمن وجبة عشاء فاخرة، لكلب يملكه؟! في أحدى الفنادق.

إن التحقيقات في حكاية جمهورية إمبابة، التي كان قد أعلنها طبال أسمه جابر... التحقيقات أثبتت أن الناس هناك، لم تكن تجد أثراً للحكومة، وكانت كل مشاكلهم تجد حلاً. عند أعضاء الجماعة الإسلامية، فما الذي يمكن أن تنتظره الحكومة من مواطنين توفر لهم الجماعات، ما يحتاجونه من مرافق أو سُبل حياة، ولا تسأل فيهم الدولة بشيء؟! وعلى بعد أمتار منهم كما قال هؤلاء الشباب فنادق ماريوت وشيراتون وهيلتون وفيها ما فيها من بزخ وأفراح وليالي ملاح.

مرجع العنف، وأصله، وجذوره، تعود إلى الدولة، لأن دورها غائب، ولأنها مقصرة، وإذا حضرت فأنها تعالج الأمور خطأ، أو تأتي بعد فوات الأوان. ولم تنتبه الدولة إلى ما يحدث في إمبابة إلا عن طريق وكالة رويتر التي حضرت مؤتمراً لهم والدولة نائمة في العسل..

قلت، وسوف أقول، أن المواجهات الأمنية، مع العنف، ليست هي السبيل المفيد، وليست هي الطريق الذي يؤدي إلى وأد العنف. واقتلاعه من جذوره، لأنك حتى وأنت تطارد الإرهابيين وتتعقبهم، قد يفر منك واحد... واحد فقط ويختفي، وهذا الواحد قادر على أن ينشئ خلية من جديد، والخلية تنشئ نظاماً... وهكذا.... ونكون بالتالي، نضحك على أنفسنا، ونستنزف طاقتنا، ولا نعمل على النحو الذي يجب.

الحوار، وليس غيره، هو الحل.... وأقصد الحوار الهادئ، الذي يستعين بالحجة. والبينة، والقرينة، لكي يقنع الطرف الآخر. وبجوار الحوار، لابد من حل، للتعطل الذي يفتك بالشباب. لأن أي حل، بدون إيجاد فرص عمل، لا معنى له، فطابور العاملين الطويل، كفيل بأن يفرز له في مقابل كل إرهابي تقتله، إرهابيين أو ثلاثة.

إنني أسأل نفسي كثيراً: من الذي سيواجه أعداءنا، وخصوصاً إسرائيل، إذا كان شبابنا يجد هذا العنف، من ظروف الحياة ، ومن الدولة معاً؟! أتساءل وفي ذهني باستمرار، أن إسرائيل لم تكن لتمارس ما تمارسه مع العرب، لو كانت ترى أمامها شعوباً قوية، ودولاً قادرة على أن توقفها عند حدها. وتظل الدولة العربية عاجزة، عن مواجهة إسرائيل، وإرغامها على الانسحاب من الأراضي المحتلة، وأفراد سلام عادل شامل... تظل عاجزة عن ذلك، مالم يكن الشباب فيها، قوياً، سليماً عاقلاً ممارساً لدوره في الحياة، بنشاط وفعالية.

إن الغدر، والخيانة، في دم اليهود، ويجب أن نضع هذه الحقيقة، أمام أعيننا، كل ساعة، وكل يوم.

وإن التمسك بقيم الدين الإسلامي الحنيف في كل مرافقنا وقرارتنا ومجتمعنا هي الحل الوحيد لجميع مشاكلنا.

ويجب ألا ننسى أن اليهود في بنائهم لإسرائيل والتوسعات المستمرة هي من مبادئ دينهم الذين يتمسكون به، ويعلمونه لأولادهم وشبابهم.. ويغرسون كل هذه المبادئ بكل الوسائل فيهم.

وإلا فإننا ندفع -بأيدينا- شبابنا إلى العمل السري، وهو له طعمه ومذاقه وتأثيره الساحر على النفوس... والكفاح السري من أجل المبادئ خير ألف مرة من الكفاح العلني من ناحية الإعداد والتربية.. كالعبادة والتهجد تماماً في السر وفي جوف الليل..

والعمل السري يستهدف الشباب ويشعره بذاتيته وأهميته.. علاوة على محظورات تعقب السلطات له... فله محاذيره.. ونظام الخلايا عمل حتى لا يعرف أفراد التنظيم بعضهم.. إمعانا في السرية، وحتى لا يعترف أعضاء التنظيم على بعضهم بسهولة إذا ضبط التنظيم.

والتنظيمات السرية نشأت في جميع الحركات الوطنية قبل الثورة بدءاً من جمعية اليد السوداء.. ثم التنظيم السري لحركة الضباط الأحرار... ولولا سرية هذا التنظيم ما قامت الثورة ولا نجحت.

وعبد الناصر الذي كان يسخر من الجهاز السري للإخوان ويتهمهم بالخيانة.. كان هو نفسه عضوا فيه وأقسم على المصحف والمسدس أمام الإخوان وأعطاه البيعة وحنث في يمينه.

وعبد الناصر هو الذي أنشأ الجهاز السري الطليعي أيام حكمه داخل الاتحاد الاشتراكي ومنظمة الشباب - وكانت له خلاياه السرية ونشراته التي عليها أرقام كودية سرية ومكتوب عليها التحذير الشديد بعدم إفشاء أسرارها أو أسماء أعضائها بصفة تهديدية - وكانت لها تقاريرها السرية حتى ينشط الاتحاد الاشتراكي وكانوا أعضاءه منتقين ويجتمعون في أماكن سرية.

وبعد أن أنشأ السادات الحزب الوطني - حاول إنشاء جهاز سري داخل الحزب وكلف منصور حسن بتكوينه واختيار أعضائه وشكله فعلا لولا تسرب أنبائه ومعارضة النائب حسنى مبارك لهذا التنظيم السري.

وألصقت تهمة الإرهاب للإخوان المسلمين - ولا زال البعض من الكتاب والسياسيين يرددها باستمرار بسبب بعض حوادث فردية لها ظروفها الخاصة في وقتها وهي حوادث تعد مر الأيام على أصابع اليد الواحدة مثل قتل النقراشي والمستشار الخازندار ومحاولة نسف قضية سيارة الجيب في المحكمة...

وتناسى الجميع جهاد الإخوان ضد اليهود في فلسطين وضد الانجليز في القنال وحماية الثورة عند قيامها - وقدموا شهداءهم في جميع الميادين مثل البطل أحمد عبد العزيز - وأحمد المنيسي وعمر شاهين وخلافهم.

وتناسوا الصحوة الإسلامية الهادرة في مصر والعالم العربي والإسلامي بل والعالم كله نتيجة هذه الدعوة التي قادها حسن البنا بالحكمة والموعظة الحسنة.

ولعل الجميع يعرف أن جمال عبد الناصر والسادات ومعظم أعضاء مجلس الثورة والضباط الأحرار كانوا من الإخوان المسلمين وكذلك شمس بدران وفؤاد علام والمشير أبو غزاله في شبابه وأنيس منصور بل والرئيس حسنى مبارك نفسه عندما كان طالباً وقد ذكرها سيادته في إحدى خطبه المذاعة.

ولعلي أتساءل: عندما حاول جمال عبد الناصر اغتيال اللواء حسين سري عامر بأطلاق الرصاص عليه من مدفعه الرشاش قبل الثورة ... هل هذا كان إرهاباً.

وعندما دبر عبد الناصر مقتل سيد فايز رئيس الجهاز السري للإخوان بعد الثورة هل هذا كان إرهاباً.

وعندما أعدم عبد الناصر صديقه الصدوق المستشار عبد القادر عودة وكيل الإخوان وصديقه الحميم الشيخ محمد فرغلي والشهيد سيد قطب أستاذه ومعلمه... هل هذا كان إرهاباً .

وعندما اشترك السادات في اغتيال أمين عثمان ومحاولة اغتيال مصطفى النحاس مرتين قبل الثورة - هل هذا كان إرهاباً.

وعندما أشترك حسن ماهر والنقراشي في اغتيال السردار هل هذا كان إرهاباً .

وعندما حكم عبد الناصر على المستشار حسن الهضيبي وهو فوق السبعين عاماً بالأشغال الشاقة المؤبدة وأودعه السجن الحربي يقف كالمايسترو أمام

المسجونين الإخوان في الشمس الحارقة ويغني معهم يا جمال يا مثال الوطنية مرات ومرات وهم يضربونه بالسياط - هل هذا كان إرهاباً.

وهل هؤلاء الصفوة من مثقفي ورموز مصر الدينية والسياسية من إخوان وشيوعيين ومثقفين من مختلفي المهن والأحزاب الذين قضوا زهرة سنين شبابهم في السجون الحربية وسجون الواحات وخلافه.. هل كان هذا إرهاباً. في القصد، أن كل هذا، يمكن أن يكون، فورات وطيش شباب، على غير أساس.

إن الإرهاب في هذا البلد خلقته دكتاتورية حكم عبد الناصر ونما وترعرع في العهود بعده... ولابد من البحث الحقيقي لاقتلاع بذور هذا الإرهاب المتنامي - بالحرية الكاملة لهذا الشعب المسكين - وإلغاء كل النظم والقوانين المهينة والمقيدة له.

﴿٢٢﴾

الزيت... والنار

"وفي منزل الصديق الدكتور علي السمان، فوجئت بأن هيكل يصف البنا بأنه..."

عندما قـام الشـهيد حسـن البنـا بدعوتـه وإنشـاء جماعـة الإخـوان المسـلمين بالإسماعيلية، ثم نقل نشاطها للقاهرة - أشيع أيامها أن الإنجليز ساعدوه في إنشـاء الجماعة بالإسماعيلية أثناء اشتراكهم في إدارة هيئة قناة السويس. ولكن الحقيقة أن مجتمع الإسماعيلية في ذلـك الوقـت كـان عبـارة عـن قـوات الاحتـلال الإنجليـزي، وموظفي شركة قناة السـويس وهـم أجـانب، وكذلـك جاليـة أجنبيـة مـن مختلـف الجنسيات .

وقام الإمام حسن البنا بنشر دعوته الإسلامية عن طريق الخطابة في المقـاهي.. وانتهى الأمر بأن شيد مسجداً جمع له تبرعات وكان من ضمن المتبرعين شركة قناة السويس وبعض الشركات، وكان يصلي فيه العمـال والموظفـون... الذيـن كـانوا يؤدون عملهم في الشـركات بـإخلاص وتفـاني ... نتيجة لاستقامتهم وتمسكهم بتعاليم الدين الحنيف.

وبعد ذلك انتقلت الدعوة إلى القاهرة... وأخذت تنمو وتنتشـر وينضـم لهـا أعضاء كثيرون، مـن مختلـف الفئـات والمهـن وأصبـح حسـن البنـا نجمـاً إصلاحيـاً وإسلامياً لامعا يلقى حديث الثلاثاء في المركز العام للجمعية ... الذي جمع ثمنه من تبرعات أعضاء الجماعة بسرعة وسهولة.

ومن العجيب أن تنظيمات الإخوان المسلمين في ذلـك الوقـت انتشـرت بـين ضبـاط الجيـش والشـرطة حتـى أنهـم كـانوا يحضـرون إلى المركـز العـام للإخـوان المسلمين بملابسهم الرسمية وكانت لهـم غرفـة خاصـة بهـم، وكـان المسـئول عنهـم الصاغ محمد لبيب.

وكانت تقام لهم حفلات تكريم في المناسبات بالمركز العام وكان يحضرها بعض الوزراء والمسئولين.

وكان هذا النشاط علنياً - ومتوازياً مع نشاط آخر في الجهاز السري، فيه الأسلحة والمنشورات والتدريبات العسكرية على أعلى مستوى لأفراد وشباب التنظيم لمحاربة اليهود في فلسطين وكذلك الإنجليز في القناة ... وتأهيلهم ليكونوا نواة الجيش الإسلامي.

وكان حسن البنا سياسياً واعيا مقنعاً... ولفت أنظار الملك فاروق ورؤساء الحكومات والأحزاب وكذلك أنظار مخابرات الدول الأجنبية خاصة الإنجليز فعملوا تارة على محاربته، وتارة أخرى على كسب وده.

وبالأحرى كان حسن البنا وجماعته تحت المراقبة الميكروسكوبية الدقيقة - واستشعرت كل هذه القوى خطورته هو وتنظيماته وإن كانوا لم يدركوا حقيقة أنظمته السرية واستعداداته العسكرية وتغلغله داخل قوات الجيش والشرطة وسيطرته عليهما سيطرة كاملة.

واستمر الغزل بين حسن البنا والملك فاروق وأعوانه وكانت هناك رسائل متبادلة ومحاولة عمل لقاءات بين الملك وحسن البنا ولكنها كلها باءت بالفشل رغم أن حسن البنا لم يكن يمانع من لقاء أو حوار مع الملك ... وكان يدعو دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة وكان حسن البنا يحاول ظاهرياً أن يجامل الملك في المناسبات القومية المختلفة - ليتقي شره، أو يدفعه إلى الخير والإصلاح ما أمكن - عملا بأن الله يزغ بالسلطان ما لم يزغ بالقرآن...

وقد حاول بعض المغرضين من تجار السياسة وجهلائها تأويل تلك المواقف من حسن البنا على أنها خروج على الدعوة أو نفاق سياسي وهذا كذب وبهتان منهم.

حتى أن الملك فاروق قام بدعوة حسن البنا في حفل تكريم إبراهيم عبد الهادي في قصر عابدين عندما عين رئيساً للديوان الملكي علماً بأن الإخوان

المسلمين قاموا بتهريب حسين توفيق قاتل أمين عثمان من السجن حتى ركب الطائرة من مطار القاهرة إلى بيروت بمساعدتهم .. بواسطة المستشار صالح أبو رقيق وحسن عشماوى وصلاح شادي.. لأن أدلة التحقيق كانت ستدينه وأنقذوه من إعدام محقق ... وأخفوه بمنزلي حتى هربوه .

وكانت هناك حوارات مع حزب الوفد ورئيسه مصطفى النحاس وبين حسن البنا مرشد الإخوان.. وكانت في بعض الأحيان تبرز خلافات بينهما ... عندما رشح حسن البنا نفسه في مجلس النواب وطلب منه النحاس التنازل بناء على طلب الملك والإنجليز – وتنازل حسن البنا.

وكان هناك صراع دائم بين الوفد والإخوان ... وإن كانت هناك مواقف وطنية رائعة بينهما أيام أن كان الوفد في الحكم، وكان فؤاد سراج الدين وزيراً للداخلية ... وكان الفدائيون من شباب الإخوان المسلمين يحاربون قوات الاحتلال الإنجليزي في القناة ... وقدمت لهم حكومة الوفد وفؤاد سراج الدين المساعدات الرسمية والمادية في السر، وكذلك في عملية نقل اللغم الشهيرة أيام حكم الوفد من القاهرة للإسماعيلية .

وقامت قوات الإخوان من المتطوعين بأعمال بطولية في فلسطين، ومنطقة القناة. كما قام الجهاز السري للإخوان بعمليات اغتيال أو نسف انتقامية مثل:

١) محاولة نسف فندق الملك جورج بالإسماعيلية في ٢٤ ديسمبر سنة١٩٤٦.

٢) نسف بعض المنازل في حارة اليهود رداً على مذبحة ديرياسين.

٣) في ١٦ يوليو ألقت طائرة إسرائيلية حلقت في سماء القاهرة قنابلها على أحد الأحياء الفقيرة – حي البراموني – قرب قصر عابدين فهدمت كثيراً من المنازل وقتلت عدداً من السكان.

وكان الرد على هذا الحادث في ١٩ يوليو هو قيام الجهاز السري للإخوان بنسف محلي شيكوريل و أرمكو اليهوديين في شارع فؤاد .

وفي أواخر يوليو دمر محل بنزايون وجاتنيو .

وفي ٢٢ سبتمبر دمر جزء من حارة اليهود.

وفي ١٢ نوفمبر دمرت شركة الإعلانات الشرقية الصهيونية بانفجار آخر . ووصف الإخوان ظلماً بأنهم إرهابيون .

وقامت مظاهرات الطلبة بكلية طب قصر العيني واصدر سليم زكي باشا حكمدار العاصمة في ذلك الوقت الأمر للقوات البوليسية بضرب الطلبة والأساتذة بالرصاص في المليان .

وضبطت أسلحة وقنابل ومتفجرات بمخزن بالإسماعيلية كان يستعمل ضد اليهود والإنجليز، ونسب إلى الإخوان المسلمين بأنهم يخزنون هذه الأسلحة لقلب نظام الحكم!!! واتهم فيها المرحوم الشيخ محمد فرغلي عضو مكتب الإرشاد .

وعندما استشعر الإنجليز وفاروق خطر حسن البنا قرروا قتله وكان قتل النقراشي بواسطة الجهاز السري للإخوان هو التكئة التي أرتكنوا إليها .

وكان النقراشي وهو رئيس حكومة قد اصدر أمراً للواء فؤاد صادق باشا قائد القوات المصرية الفلسطيني باعتقال جميع متطوعي الإخوان المسلمين في الجيش ووضعهم في معسكر اعتقال بمدينة رفح تمهيداً لترحيلهم للقاهرة وتجريدهم من أسلحتهم..

ومن الطريف أن الجيش المصري عجز عن احتلال التبة ٨٦ في هجومين قتاليين أثناء اعتقال قوات الإخوان ولم يجد اللواء فؤاد صادق بدا من أن يلجأ إليهم وهم معتقلون ... وقاموا باحتلال التبة وعادوا إلى معتقلهم طائعين... وقد شهد اللواء فؤاد صادق بذلك في المحكمة التي حاكمتهم فيما بعد .

وقد حصل بعض أعضاء الجهاز السري على فتـوى شرعية ضمنيـة بأن م
يحـارب الإسـلام ورجالـه بهـذه الطريقـة فهـو كـافر ويحـل دمـه.. فطبقوهـا عل
النقراشي لتصرفاته هذه وقتلوه ويعلم الله أن هذا تم من وراء ظهر المرشـد الإم
حسن البنا وأنه تألم تألماً شديداً، وشجب هـذا العمـل في بيـان نشـر لـه بـالصح
بعنوان: ليسوا إخواناً... وليسوا مسلمين...

وكان هذا الصك الذي التقطه فاروق لاغتيال حسن البنا علـى يـد إبراه
عبد الهادي رئيس الحكومة في ذلك الوقت ورجال وزارة الداخلية وقـد حققـوا
الموضوع وثبت قيام رجال المباحث الجنائية بوزارة الداخلية بالقيام بعمليـة القت
وحكم عليهم بالأشغال الشاقة وانتحر أحد ضبـاط رياسـة الـوزراء قبـل المحاكـ
وهو الاميرلاي محمد وصفي.

وثبت أيضاً أن حسن البنا ترك بغير علاج أو إسعاف وترك ينزف حتى المو
في مستشفى القصر العيني - وكان الملك فاروق يتصـل تليفونيـاً للاطمئنـان عل
وفاته بالمستشفى .

والعجيب أنه بعد خلاف جمال عبد الناصر مـع الإخـوان سـنة١٩٥٤ أصـ
عفوا عن المجرمين المتهمين في حادث القتل وأفرج عنهم. ونسى الطاغيـة السـفا
أنه أفرج عن قاتلي أستاذه ومرشده ومعلمه الذي بايعه علـى المصحف والمسـد
لتحكيم شريعة الله والسمع والطاعة.

وبذلك طويت صفحة صراع الملك مع الإخوان واستشهد حسن البنا ودخ
الإخوان السجون والمعتقلات - إلى أن قامت ثورة يوليو سنة١٩٥٢.

ومن الغريب أن إبراهيم عبد الهادي الذي قتل حسن البنا بأمر فاروق ذهـ
إلى مبنى قسم شرطة مصر القديمة بعد محاولـة اغتيـال حـامد جـوده رئيـس مجلـ
النواب ونجاته.... رأي الأخ مصطفـى كمـال عبـد المجيـد وهـو معلـق في السـقـ
والسياط تنهال عليه - واستنجد بإبراهيم عبد الهادي رئيس الحكومة عندمـا ر

ولكنه لم ينجده وكذب في شهادته في المحكمة. وهو الذي وصم عهده بالعسكري الأسود الذي كان يحاول النيل من معتقلي الإخوان بأساليب قذرة غير مشروعة .

وتمر الأيام ويحكم على إبراهيم عبد الهادي بالإعدام في محكمة الثورة ويقوم المستشار حسن الهضيبي مرشد عام الإخوان بجهود مضنية عند عبد الناصر لإلغاء حكم الإعدام وينجح في مهمته. وينقذ إبراهيم عبد الهادي عدو الإخوان من المشنقة.

وبعد ذلك يوصف مرشد الإخوان بالإرهاب. ويلصق بالجماعة كلها وشبابها المؤمن المكافح تهمة الإرهاب والقتل والتدمير ... نظير حوادث فردية تعد على أصابع اليد الواحدة – وكان لها ظروفها السياسية في حينها. عند شباب وطني ثائر على الأوضاع الشاذة والمقلوبة في بلدهم. ومعظمها ضد اليهود والإنجليز .

ونسوا أن الإخوان قدموا شهداء في فلسطين وأبلوا بلاءً حسناً شهد به الأعداء قبل الأصدقاء، وقدموا شهداءهم في حرب القتال مثل الشهيد عمر شاهين والشهيد حسن المنيسي وبعد ذلك يوصفوا بالإرهاب والإجرام.

وأذكر أنه قد جمعتني سهرة في منزل الصديق الدكتور علي السمان وكان يحضرها الدكتور مصطفى الفقي والدكتور علي الدين هلال والأستاذ جمال بدوي والوزير منصور حسن والدكتور حسام عيسى والوزير سليمان نور الدين – ودار نقاش ممتع بيني وبين الأستاذ محمد حسنين هيكل عن دعوة الإخوان المسلمين وعن الشهيد حسن البنا.

وأثارني في هجوم هيكل على حسن البنا وقوله عنه أنه مدرس إلزامي جاهل إرهابي وما إلى ذلك من النعوت والأوصاف وبادرته قائلاً: كم كان عمر حسن البنا عندما اغتيل... فقال ٥٨سنة.. فبادرته قائلاً لقد استشهد حسن البنا وعمره لا يتجاوز ٤٢عاماً... ووافقته على أنه كان مدرساً ولكن ما هو حجم تلامذته الذين آمنوا بدعوته... وساروا على نهجه وتتلمذوا عليه – ونشروا دعوته في مصر والعالم العربي الإسلامي بل في كل أنحاء العالم وأصبح هناك التنظيم العالمي

للإخوان الذي يشمل علماء دين وأساتذة جامعات في جميع فروع العلم من اقتصاد وهندسة وطب وقانون وصحافة ... كل هؤلاء هم تلامذة حسن البنا ... الذي توفى عن ٤٢ عاماً.. فهل هذه ظاهرة طبيعية. فيجب على المؤرخين والمحللين والكتاب أن يعطوا كل ذي حق حقه فهذا تاريخ... ﴿*يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم – ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المجرمون... ولو كره الكافرون*﴾ والدعوة باقية وللبيت رب يحميه.

ويفنى الأشخاص ويموتون... ولكن دعوة الله باقية إلى قيام الساعة.

ولا أنسى المستشار أحمد كامل الذي كان يحاكم الإخوان في إحدى القضايا أيام الملك فاروق ولم تنته المحاكمة إلا وقد انضم إلى الإخوان وآمن بمبادئهم وتتلمذ على يد حسن البنا.

ولا أنسى مأمور سجن طنطا الضابط إبراهيم الشاذلي الذي انضم للإخوان . وفي إحدى القضايا أيام إبراهيم عبد الهادي قبض عليه وأدخل الزنزانة في السجن نفسه الذي كان يعمل به كمأمور ؟؟... ثم رحل بعد ذلك إلى ليمان طره. وأفرج عنه بعد ذلك وعين وكيلا لوزارة الشئون الاجتماعية .

وكان هناك كثير من الشخصيات المرموقة والمعروفة انضمت للإخوان كما ذكرت من قبل مثل جمال عبد الناصر والسادات ومعظم أعضاء مجلس الثورة والضباط الأحرار.. وكذلك شمس بدران، واللواء فؤاد علام، والمشير أبو غزاله أنيس منصور وجمال بدوي وغيرهم كثيرون.

ولا أنسى وأنا طالب بكلية الطب بجامعة القاهرة عندما خرجت الجامعة لتشييع جنازة الشهيدين حسن المنيسي الطالب بكلية الطب وعمر شاهين الطالب بكلية الآداب وكانا من شباب الجهاز السري للإخوان المسلمين الذين كانوا مع الفدائيين لمحاربة الإنجليز في منطقة القنال... واستشهدوا في معركة التل الكبير الشهيرة التي قتل فيها أعداد كبيرة من الجنود الإنجليز – وشيعت الجنازة من مبنى جامعة القاهرة بالجيزة سيرا على الأقدام حتى جامع الكخيا... وكان يحمل النعش

المرحوم الدكتور عبد الوهاب باشامورو جراح مصر العظيم ورئيس الجامعة وهو يلبس اللبس العسكري الكاكي لفدائي الإخوان المسلمين .

وعلى الطرف الآخر يحمل النعش معه المستشار حسين الهضيبي مرشد الإخوان - والمرحوم الدكتور عبد الله الكاتب جراح مصر العظيم وعميد كلية طب قصر العيني، وأساتذة الكليات المختلفة في الجامعة - فالكل في وقت من الأوقات -كان متعاطفاً مع الإخوان المسلمين.

وكان عبد الناصر يكره الهضيبي من قلبه - ويشكو لزملائه الضباط من أن الهضيبي يتعالى عليه - ويعامله باحتقار ... وازدراء... وأنه يذهب إليه للاجتماع به مضطراً... وأنه لا يطيقه. ولم يستطع عبد الناصر أن يقف أمام الهضيبي بعد ذلك لا قولا ولا عملاً..

ولم يكن الهضيبي متطلعاً إلى سلطة أو حكم أو هيلمان مثل عبد الناصر ولكنه كان يريد تطبيق الشريعة الإسلامية فقط.

وقام عبد الناصر بخطوة أخرى خطيرة وهي الاتصال ببعض أفراد الإخوان الذين لم يكن يرضيهم أن يكون حسن الهضيبي مرشداً للإخوان، وكانوا على خلاف معه، وكانوا يشيعون عنه أنه غريب على الجماعة ولم يعاصر إنشاءها أو الجهاد منذ القدم...

وزادت الفتنة في صفوف الإخوان - وفصل أربعة من قيادات الجهاز السري... بعد قتل سيد فايز. والتقط عبد الناصر الحبل... وأخذ يخطط للإطاحة بالهضيبي وطلب من بعض القيادات أن تذهب إلى الهضيبي في منزله بمنيل الروضة، بعد منتصف الليل وتوقظه من نومه وتقطع أسلاك التليفون وتطالبه بالاستقالة في الوقت الذي تواجد صالح عشماوي وآخرون بدار المركز العام للإخوان - وأعلن بعض المنشقين مبايعته كمرشد عام للإخوان بدلاً من الهضيبي ولكن الهضيبي رفض وأجهضت الخطة التي وضعها عبد الناصر وفشلت الخطة التي كانت تدار من منزل عبد الناصر.

وقام بعد ذلك بالتخلص من الإخوان المسلمين بناء على نصيحة المخابرات الأمريكية بافتعال محاولة اغتيال له يأخذ بها شعبية، ويقضي بها على الجماعة كما شهد السيد حسن التهامي نائب رئيس الوزراء ومستشار السادات، ومستشار عبد الناصر قبل ذلك - وتمت تمثيلية حادث المنشية .

وحدث ما حدث من قضاء على شباب الإخوان وشيوخهم وعائلتهم بهجمة ضارية... ولكن ا لله عز وجل غالب على أمره، ولم تمت دعوة الإخوان ولن تموت، وخرج الجميع من السجون بعد سنوات طويلة أصفى ما يكونون نفساً، وأصلب ما يكونون عوداً، وأشد تمسكاً بدعوة القرآن والإسلام حتى يومنا هذا - أما مَنْ فر منهم إلى الخارج وهرب فقد أفاء ا لله عليهم من العلم والمال، وعوضهم خيراً.

وهم جميعاً يؤمنون بمقولة الإمام أبن تيميه الشهيرة : "إن سجني خلوة، ونفيي سياحة، وقتلي شهادة، وإن بستاني في صدري... فماذا يصنع أعدائي بي؟؟.."

واستميح القارئ أن أذكر واقعة حدثت لي.. ففي سنة١٩٥٤ اعتقلتني مباحث أمن الدولة وأخذوني إلى مبني فرع أمن الدولة بوزارة الداخلية بلاظوغلي وجردوني من ملابسي وعلقوني بالسقف وأوسعوني ضرباً بالكرابيج والسياط وأصبحت كالذبيحة المعلقة .. وكان هذا أمام ضابط يسمى صلاح حلمي الذي أمطرني أيضاً بوابل من الشتائم البذيئة.. حتى أنني قلت له أنني سأموت من التعذيب... وأنا طبيب سأنفع بلدي ... فقال لي: "طظ فيك .. وطظ في نصف البلد.. يموتون من أجل استقرار النظام ومن أجل عبد الناصر ولو ظلماً..؟؟

ومرت السنين وفي حوالي سنة١٩٧٥ بعد أكثر من عشرين عاماً كلمني تليفونياً في عيادتي اللواء محمد طنطاوي محافظ الفيوم حالياً وكان صديقاً عزيزاً لي، وهو مفتش مباحث أمن الدولة بالغربية -وقتها- وقال لي عندي بالمكتب أستاذنا اللواء صلاح حلمي وهو في المعاش وله طلب عندك وقد حضر لك خصيصاً من القاهرة - ففرحت في نفسي جداً وشكرت ا لله على أن هيأ لي سعيه

لي ورحبت به في عيادتي وكانت معه زوجته وولده الضابط وزوج ابنته الضابط أيضاً.. ولم يتذكرني إطلاقاً.

وقال لي أنه رآني في مكتب السيد ممدوح سالم وزير الداخلية وهو زميله في الدفعة، ولم يستطع مقابلته لمدة شهر... وعندما وجد أن ممدوح سالم استقبلني في مكتبه فوراً وأضاء النور الأحمر.. وسأل السيد نبوي إسماعيل مدير مكتب ممدوح سالم عني فأخبره باسمي وأنني صديق السادات ومن طنطا - فحضر إلى طنطا يطلب إلحاق نجله الضابط بإدارة مباحث أمن الدولة لأنه فشل في ذلك .. وأنه خدم الدولة وخرج على المعاش وأخذ يشكو أن الدولة لم تقدره بعد جليل خدماته وأنه فقد صحته ومركزه.. فطيبت خاطره - وطلبت السيد ممدوح سالم فوراً ونفذت له طلبه... ثم استرجعت الماضي معه بكل تفاصيله وبالتعذيب الذي حدث للناس، وذكرت له بعض أسماء الإخوان الذين ماتوا في السجن من أثر التعذيب الذي كان يشترك فيه - ثم فاجأته بنفسي وما نالني منه وكشفت له ظهري ... بعد خلع ملابسي...

وكان الرجل في موقف لا يحسد عليه وكانت مفاجأة مذهلة بالنسبة له.. وسامحته..

وبعد أسبوع واحد كنت عائداً من القاهرة وعند مدخل طنطا وجدت جثته في الطريق مغطاة بالجرائد نتيجة حادثة سيارة - وليرحمه الله.

ومن هنا كانت خسارة الوطن من جراء خلاف عبد الناصر مع الإخوان وخسارة عبد الناصر أيضاً وخسارة الثورة.

وكان الأولى به أن يستفيد من جهودهم وينكر ذاته ويتفرغ للبناء والتسامح - لا للهدم والفتن والمؤامرات والدسائس.

وتحضرني واقعة غريبة وهي أنني كنت عضواً في لجنة المائة التي عينها السادات للإشراف على الاتحاد الاشتراكي بعد نجاحه في ثورة التصحيح في ١٤ مايو، وكنت مشرفاً على أمانة التنظيم وبحثت جميع حالات المعزولين سياسياً

وحضر لمقابلتي المرحوم الدكتور محمود القاضي عضو مجلس الشعب والأستاذ بكلية الهندسة بالإسكندرية سابقاً - وكان معزولا سياسياً والعجيب أنه ببحث ملفه في أمانة التنظيم وجدت صورة تقرير من مباحث أمن الدولة تقول أنه إخواني، وتقريراً آخر من المخابرات تقول أنه شيوعي..؟؟ وأريته التقريرين وضحكنا ورفعت عنه العزل فوراً كما رفعته عن أبو الفضل الجيزاوي عضو تنظيم الضباط الأحرار وعلوي حافظ وعبد العزيز خميس رئيس تحرير روزاليوسف السابق والممثل فايز حلاوة والمحامي عباس المصري وغيرهم إيماناً مني بالديمقراطية، وكان ذلك كله بتفويض من السادات لي.

وعندما هزم عبد الناصر الهزيمة النكراء في حرب يونيو سنة١٩٦٧ نتيجة حساباته الخاطئة، وقياداته الفاشلة. وفقدنا سيناء الغالية، وغزة والقدس والضفة الغربية والجولان وهذه الجولان سقوطها في أيدي اليهود هي قصة مخزية ورامية وظروفها تجلي العار كل العار... بعد هزيمة عبد الناصر - انكسر جناحه، وتدهورت حالته النفسية والصحية ... وكان في حالة يرثى لها كما أخبرني السادات وكانت آلامه المرضية في منتهى الشدة.. وكان الروس يعطونه أدوية مجهولة الهوية، حتى أنه كان يتعاطى حقنة مسكنة كل عدة ساعات لترحمه من آلام مرض بيرجر في ساقيه - وكانت الآلام مبرحة... وأصيب بأزمات قلبية متعددة حتى أن المرحوم الدكتور محمود صلاح الدين نصحه بعدم العمل إطلاقاً وشكلت لجنة برياسة السادات النائب الوحيد لرئيس الجمهورية تجتمع يومياً بمكتب سامي شرف ويحضرها على صبري وشعراوي جمعة والفريق محمد فوزي وأمين هويدى ومحمد حسنين هيكل ومعهم ختم رئيس الجمهورية ليختموا القرارات الجمهورية كلها باسم عبد الناصر - وقال لي السادات أنه كان سلبياً في هذه اللجنة وكان يتركهم على راحتهم ليصدروا ما يشاءون من قرارات.

وفي هذه الأثناء بعد الهزيمة تنامى التيار الديني بين شباب الجامعات تعبيراً عما يجيش في نفوس الشباب بالعودة إلى الله بعد الهزيمة، وتشكلت الجماعات

الدينية في الجامعات واتحادات الطلاب وبدأت في الاحتفال بالمناسبات الدينية مثل عيد الهجرة والإسراء والمعراج والمولد النبوي وأصبحت تدعو رجال الدعوة الإسلامية لإلقاء المحاضرات في الجامعات وفي صالة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة وكان يحضرها حشد كبير من الشباب.

ولكن الجماعة الإسلامية اشتغلت بالدعوة والنشاط الاجتماعي في أوساط الشباب، ونمت وترعرعت وأصبح لها فروع منتشرة في جميع أنحاء الجمهورية برعاية الإخوان المسلمين.. وامتد نشاطهم إلى خارج الجامعات فأنشأوا المدارس الخاصة الإسلامية، والمستوصفات والمستشفيات الإسلامية، ومحلات البقالة، والمطابع، ودور النشر، وشركات المقاولات - حتى أصبح نشاطها ممتداً وناجحاً. وبدأ السادات يتوجس خوفاً من هذا الانتشار - وحدثت بعض الظروف التي جعلته يعيد حساباته.

فقد ظهرت بعض الأفكار المتطرفة من جماعات سرية مثل جماعة التكفير والهجرة برياسة شكري مصطفى الذي كان مسجوناً بالسجن الحربي ولم يكن في يوم من الأيام من الإخوان المسلمين أو الجماعة الإسلامية - وناله من التعذيب الشديد في السجن الحربي في عهد عبد الناصر ما جعله ينصرف إلى أفكار متشددة منها تكفير الحاكم، وأنه لا فائدة من علنية الدعوة، ولا من النشاط السري، وأن المجتمع كافر، وأموال الدولة حرام وهكذا - حتى أن المرحوم المستشار حسن الهضيبي مرشد الإخوان ألف كتاباً في السجن الحربي "نحن دعاه ولسنا قضاه" ردا على أفكار شكري مصطفى - ومحذراً باقي شباب الإخوان من الموافقة على أفكاره.

وحدثت واقعة اغتيال الشيخ الذهبي وزير الأوقاف الأسبق بواسطة شكري مصطفى ورجاله - وقبلها تمرد الكلية الفنية العسكرية بواسطة صالح سرية وبعض رجاله.. كما قامت ثورة الخميني في إيران وكان يرد على السادات الذي يستضيف الشاه المخلوع في القاهرة ويقول أنه لا يهمه السادات ولا

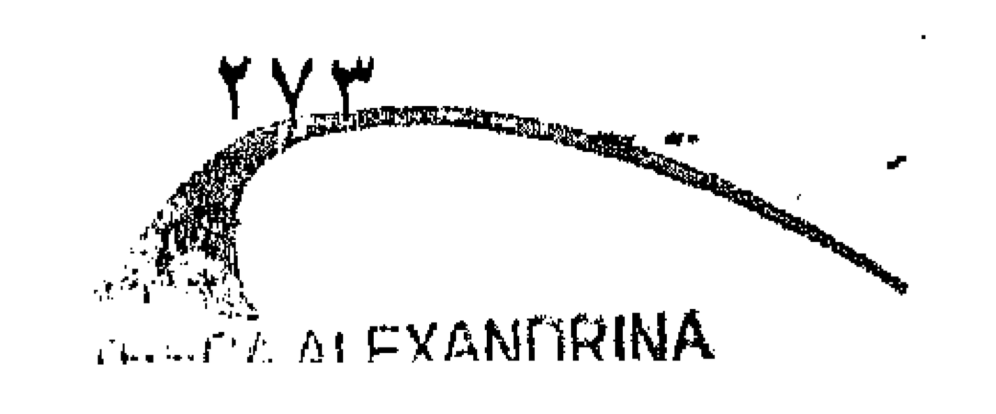
حكومته...وأنه تلميذ حسن البنا ويعمل بنهج من رسائله هو ومريديه في إيران وأن القاعدة العريضة لشباب الجماعات الإسلامية في مصر هم نواة الثورة الإسلامية المتحدة بين إيران لمصر وهكذا مما أزعج السادات إزعاجاً شديداً..

حتى أن السلطات الأمريكية كانت قد استنجدت بالسادات ليرسل عمر التلمساني مرشد الإخوان المسلمين ليطلب من الإمام الخوميني الإفراج عن الرهائن الأمريكيين المحتجزين في إيران – بعد فشل الحكومة الأمريكية الذريع في إنقاذهم واحتراق طائراتهم الحربية التي قامت بمحاولة إنقاذهم في طهران – ووافق السادات وذهب مندوب السفارة الأمريكية إلى مقر الإخوان المسلمين بالسبتية بجريدة الدعوة – والتقى هناك بالأستاذ مصطفى شهور وتم الاتفاق على الرحلة – وأمر السادات بعمل جوازات سفر دبلوماسية للأستاذ عمر التلمساني واللواء إبراهيم شرف سكرتيره الخاص وعضو مكتب الإرشاد وطلب مني السادات مرافقتهم..

وطلب السادات عمر التلمساني مرشد الإخوان تليفونياً وطلب منه الاهتمام بهذه المأمورية وبذل أقصى الجهد للإفراج عن الرهائن ولكن السادات بعد أن سمع بخطاب الخميني المذكور خاف من ارتباط التلمساني بالخوميني – واخبرني السادات فجأة أنه قرر إلغاء هذه المأمورية – وألغى سفر التلمساني لطهران وألغيت وساطته التي لم يطلبها، بل طلبها الأمريكان.

وكان هناك من يصب الزيت على النار، ويزيد الفتنة بين الإخوان والسادات، وبين المسلمين والأقباط، وبين فئات الشعب المختلفة..

واستغلت معاهدة الصلح مع إسرائيل التي وقعها السادات أسوأ استغلال في الدول العربية والإسلامية، وفي داخل مصر وأحزابها ونقاباتها وفي أوساط الشباب واتهم السادات بالخيانة علناً.. مما أثر على نفسيته، وقراراته، وسياساته.. وأصبح عصبي المزاج. وكان للشيوعيين في ذلك دور كبير.



وهوجمت السيدة جيهان السادات في بعض الأمور مثل قانون الأحوال الشخصية الذي تدخلت فيه، وفي بعض تصرفاتها ونشاطاتها الداخلية والخارجية.

وشن خطباء المساجد المعروفين أمثال: الشيخ عبد الحميد كشك والشيخ محمد الغزالي، والشيخ عبد الصبور شاهين، والشيخ المحلاوي وغيرهم شنوا حملة شعواء على السلطة وعلى السادات وزوجته..

وأذكر بهذه المناسبة أننا كنا في رمضان، وكان السادات يحتفل باستراحته بالمعمورة كل عام بذكرى إنشاء الحزب الوطني ويخطب خطبة سياسية يدعو إليها كبار رجال الدولة ومؤسسي الحزب.

وكنت جالساً بالصف الثاني خلف رئيس الوزراء والوزراء وكنت أجلس بجوار عمر التلمساني مرشد الإخوان المسلمين وفوجئت بالسادات يهاجمه هجوماً شرساً بشأن الفتنة الطائفية في الزاوية الحمراء، وهنا قام عمر التلمساني من مكانه ووجه كلامه للسادات وقاطعه في خطبته قائلا له" لن أشكوك وأنت رئيس الجمهورية – فقد ظلمتني ونسبت إلى اتهامات باطلة غير صحيحة – إنما أشكوك إلى الله عز وجل وحسبي الله ونعم الوكيل – ولا أنسى أثر هذه الكلمات على السادات فقد أصفر وجهه وارتعشت يداه وسقط البايب من فمه ويده.. ووجه كلامه لعمر التلمساني مسترضياً له.. وقال له : لا تزعل يا شيخ عمر أنا لا أقصد إهانتك أو تجريحك – وأرجوك أن تسحب شكواك إلى الله – أرجوك أنني رجل أخاف الله... وبعد انتهاء الخطبة اندفع السادات إلى عمر التلمساني وعانقه وقبله معتذراً...

وبعد ذلك قابله في الإسماعيلية وطلب منه السادات أن يقبل التعيين في مجلس الشورى ولكن التلمساني رفض. ولعبت بعض القوى الأجنبية داخل بعض التنظيمات المتطرفة واخترقتها ... وأحدثت بعض الفتن – وحاول السادات أن يعتقل بعض أفراد هذه الجماعات .حتى جاء سبتمبر الحزين الذي قرر فيه

السادات اعتقال مجموعة كبيرة تمثل جميع رموز الوطن واتجاهاته. ولا أدرى كيف اتخذ السادات هذا القرار الذي اختتم به حياته أسوأ اختتام..

وكنت أقول دائماً مازحاً لأصدقائي إن السادات رجل سياسي ماهر ووطني صميم، ولكن في بعض الأحيان كان يقوم بطبخ الطبخة السياسية بمهارة فائقة ثم يزيد عليها الملح فتصبح حارة المذاق، أو تشيط منه لزيادة النار عليها.

وهناك أستاذ شهير في طب الأسنان هو الدكتور كمال الابراشي بجامعة القاهرة حضر إليه السفير الإسرائيلي للعلاج من أسنانه ذات يوم وبعد انتهاء علاجه في عيادته الخاصة، طلب منه السفير أن يحدد أتعابه ليكتب له شيكاً بالدولارات – وكان الدكتور الابراشي لا يعرف أنه يعالج السفير الإسرائيلي – فلما سأله عن شخصيته وكشف عنها – قال له المبلغ كذا ألف دولار وأكتب الشيك باسم ياسر عرفات رئيس منطقة التحرير الفلسطينية .. فذهل السفير – ونزل غاضباً واشتكى للسادات وكان ذلك قبل قرارات اعتقالات سبتمبر بأيام فما كان من السادات إلا أن أضاف أسمه إلى كشف المعتقلين..

ورجاه النبوي إسماعيل أن يحذف اسم عمر التلمساني وفؤاد سراج الدين وأحمد الخواجه من كشف المعتقلين – فلم يستجب إلا للخواجه فقط. وكانت هذه الاعتقالات هي نقطة التحول الخطيرة في كل الأمور في هذا البلد فقد اكتسب بسببها عداوة كل الجبهات دون داعي.

واستهل الرئيس حسنى مبارك عهده استهلالاً طيباً فأفرج عن المعتقلين السياسيين ووعد بمزيد من الحرية والديمقراطية. ولكن زمام الأمور فلت بين الجماعات الإسلامية المتشددة من ناحية وأجهزة الأمن من ناحية أخرى. وطاشت الرصاصات بين الطرفين دون هوادة ودون حكمة ودون حسابات.

وزادت حدة التطرف خاصة في صعيد مصر، ودخلت الحسابات في دائرة الثأر الصعيدي. وكثر الكلام عن تجاوزات من هنا وهناك. وتلقى د.علاء محي الدين المتحدث الرسمي باسم أحد التنظيمات الإسلامية تهديداً مباشراً من جهة

أمنية بالقتل – وذهب إلى بلدته في أقاصي الصعيد وترك زوجته وأولاده وعاد إلى القاهرة – حيث قتل برصاصات مباشرة في أحد الشوارع المتفرعة من شارع الهرم بالجيزة وأشيع وقتها أن السيارة البيجو التي كان فيها القتلة تم ضبطها وضبط من فيها من القتلة بواسطة قوات الشرطة – وتوجهوا بها إلى قسم الشرطة وبعد اتصالات سريعة تم الإفراج عنهم وعن السيارة وحفظ التحقيق لعدم معرفة القاتل..

وقرأنا جميعاً في الصحف القومية ومنها جريدة الأهرام أنه أثناء محاكمة المتهمين في قضية اغتيال د.رفعت المحجوب أن توجه أحد المتهمين وهو صفوت عبد الغني بسؤال مباشر ومباغت إلى اللواء عبد الحليم موسى وزير الداخلية في ذلك الوقت الذي استدعته المحكمة للشهادة – وكان السؤال عن طريق رئيس المحكمة وهو: من الذي قتل علاء محي الدين – فرد الوزير عبد الحليم موسى من فوره قائلا: أنا ماليش دعوه بالحاجات دي.. فلما أعاد الرئيس عليه السؤال – أجاب بلباقة ودبلوماسية – يجوز إن جماعات ثانية هي اللي قتلته؟؟

وكتبت الصحف هذه الإجابة المائعة التي تحتمل معاني وتأويلات كثيرة، لأنني اعتقد أن هذه الحادثة بالذات وأقصد حادثة اغتيال د.علاء محي الدين هي التي أشعلت الفتنة في صفوف الجماعات الإسلامية للانتقام له والثأر لمقتله وبعد ذلك قتل المحامي عبد الحارث مدني وقيل إنه نتيجة تعذيب وثارت الجماعات الإسلامية وثارت نقابة المحامين طالبة التحقيق في هذا الموضوع.. ومرت سنوات ولم يتم التحقيق ولم يتم تحديد المسئولية ولازال الملف مفتوحاً في مكتب النائب العام – هكذا يقولون ويشيعون.

وقام المتطرفون من أعضاء هذه الجماعات بعمليات اغتيال وقتل بين ضباط الشرطة وأفرادها بالصعيد .. وقامت الشرطة بمحاولات قمع الجماعات الذين أختبأوا في مزارع القصب الشاسعة في الصعيد – وقام رجال الأمن بإحراق هذه الزراعات وقت اللزوم مع القتل العشوائي لبعض أفراد هذه الجماعات.. ودخلت

هذه الصراعات في دائرة الثأر من بعض عائلات الصعيد.. قتل فيها شباب يقال أن معظمهم برئ - وبارت زراعات قصب شاسعة بدون داعي ... وضاع الحق في زحمة الأحداث وغابت الحكمة والتخطيط السليم - وغاب تعاون أعضاء الحزب الوطني وأعضاء مجلس الشعب والشورى مع أجهزة الأمن لتهدئة الأمور أو ضبط المتهمين الهاربين أو فض الاشتباكات - حتى أن بعض شباب هذه الجماعات كان يرتكب الاعتداءات على رجال الشرطة وضباطها علناً وفي وضح النهار وعز الظهر داخل القرى والمدن وأمام جميع المواطنين الذين كانوا يغلقون محلاتهم ويقفون موقف المتفرجين ولا يحركون ساكناً، بل ولا يبوحون بأسماء المعتدين من هؤلاء المتطرفين..

وقدم المتهمون لمحاكمات عسكرية سريعة وأعدم من أعدم ... وقيل إن هناك عمليات تعذيب رهيبة تمت لبعضهم .. وانتشرت الشائعات التي أشعلت النار.. واستغلت بعض الجهات الأجنبية هذه الأمور.. لإشعال فتنة التطرف.

وأصبحنا نسير في حلقة مفرغة مستمرة، لا نهاية لها ونسى الجميع أن القتلى والضحايا من الطرفين هم أبناء مصر. وأصبح المنظر العام هو أن أبناء مصر يتقاتلون باستمرار دون رحمة ودون هدف معروف وطاشت الرصاصات والاعتداءات - حتى تعكر صفو الأمن والأمان - واختلت الموازين وأصبح جميع المسئولين عن الحكم في مصر لا يشعرون بالأمان ... وأنهم مستهدفون للاغتيال..

وبالطبع تم تعزيز الحراسة على جميع المسئولين في الحكم تعزيزاً قوياً، المستهدف منهم، والغير مستهدف..

وأصبحت مواكب الحراسة لهؤلاء المسئولين تروح وتجيء في ربوع البلاد وشوارعها أمام الجميع بطريقة استفزازية للمجتمع المصري الذي كان دائماً ينعم بالأمان - كما أن منازل هؤلاء المسئولين تحولت إلى ترسانات مسلحة، ومحصنة خوفاً من الاعتداءات الخطيرة المتكررة التي حدثت لبعض المسئولين.

كل ذلك استنزف من ميزانية الدولة ولا زال يستنزف أموالا طائلة بلا حدود... كان أولى بها المشاكل الطاحنة لجموع الشعب ومعاناته اليومية .

وتحولت معظم جهود الأمن في مصر إلى أمن سياسي مما أدى إلى انتشار الجرائم بصورة مذهلة .. وقام بعض علماء ودعاة هذه الأمة بعمل مبادرة طيبة مع سلطات الدولة ممثلة في اللواء محمد عبد الحليم موسى وزير الداخلية والتقوا به في مكتبه بوفد يضم المرحوم الشيخ محمد متولي الشعراوي والمرحوم الشيخ محمد الغزالي والمرحوم الدكتور محمد رزق الطويل، والدكتور عبد الصبور شاهين والدكتور محمد سليم العوا والأستاذ أحمد فراج وآخرين...



الشيخ الشعراوى ودكتور جامع في أحد اللقاءات الشعبية.

ودخلوا في حوار عن الطريقة المثلى لوقف نزيف الدم وسفك الدماء – وعن الوسيلة المطلوبة والاتصالات المرجوة في سبيل ذلك..

وقامت بعض الأصوات المعارضة لهذه المبادرة ورفعت شعار أنه لا حوار مع جماعات العنف والقتلة والمجرمين.. وفي تلك الأثناء حدثت محاولة اغتيال السيد

صفوت الشريف وزير الإعلام وقيل أنه كانت هناك محاولة جادة من الدكتور أحمد كمال أبو المجد وزير الإعلام السابق والمفكر الإسلامي لمحاولة وقف هذا النزيف الدموي. وأنه كان قد تحدد له ميعاد مع شخصية كبيرة رفيعة المستوى.. ولكن الميعاد ألغى في آخر لحظة وبعد ذلك أقيل فجأة اللواء محمد عبد الحليم موسى من موقعه كوزير للداخلية بدون إبداء أسباب.

وأشيع أن سبب إقالته هو قبوله لمبدأ الحوار مع الجماعات الإسلامية المتطرفة

وخلفه السيد حسن الألفي – واستمر التقاتل بين أفراد الشرطة والجماعات على نطاق واسع دون جدوى من وقف هذا النزيف المستمر. وبنفس الأسلوب العشوائي وبنفس التكتيك – وزاد عدد المعتقلين وامتلأت السجون. وتم بناء سجون جديدة امتلأت هي الأخرى على آخرها. إلى أن حدثت مذبحة الأقصر الأليمة وأزهقت فيها الأرواح الكثيرة ..

واكتشف السيد الرئيس حسنى مبارك القصور الأمني الشديد وسوء التخطيط ووصف السياسة الأمنية لوزارة الداخلية بأنها عبارة عن "تهريج". وثار ثورة عارمة .. وأقاله من منصبه . وذهب الرئيس لمعاينة الحادث بنفسه، ورأى نتائجه وقال إن هذا أسوأ يوم في تاريخ مصر بعد هزيمة حرب يونيو سنة ١٩٦٧.

وبعد إقالة الألفي وتصريحات السيد الرئيس، بأن سياسة وزارة الداخلية هي تهريج هاجم بعض أعضاء مجلس الشعب والشورى من أعضاء الحزب الوطني في محافظات الصعيد. حسن الألفي واتهموه بأنه كان يقبض عشوائياً على أعداد مهولة في كل قرية من قرى الصعيد نساءاً ورجالاً ويرحلونهم إلى القاهرة دون ذنب جنوه، وأن تلك السياسة سببت لهم إحراجاً بالغاً في دوائرهم الانتخابية.. وانهم كانوا يشتكون للوزير ومساعديه ومديري الأمن وأمن الدولة ولا سميع ولا مجيب..

ونشرت الصحف القومية، أن أعضاء مجلس الشعب من الحزب اجتمعوا مع اللواء حبيب العادلي وزير الداخلية الجديد وطرحوا أمامه تصوراتهم عن كل سلبيات الوزير السابق حسن الألفي.. وفجر بعضهم موضوع المكافآت الضخمة المذهلة التي كان يتقاضاها الوزير السابق ومساعدوه...

وعن التجاوزات في عمليات القبض والاعتقال والمطاردة ووعدهم الوزير الجديد خيراً... وأن كل ذلك سيتم إصلاحه.

وهدأت الأمور أخيراً - وقيل إن بعض علماء الجماعات أفتوا بتحريم قتل السائحين وعمليات القتل بوجه عام.

﴿٢٣﴾

المستقبل الذي أراه

"ومن هنا نبتت فكرة جماعات التكفير والهجرة والجهاد بأنواعها المختلفة، التي رفضت الحوار مع علماء المسلمين، ووصف شباب الجماعات علماء الإسلام بأنهم...."

عندما ننظر إلى الموضوع نظـرة شمولية صادقة ودقيقه يجب ألا نضـع كـل جماعـات الدعوة الإسلامية في سلة واحدة هى سلة الإرهاب والتطرف.

فهذا هو الخطأ الفادح الذي وقعت فيه الدولة وأجهزتها وإعلامها وتقع هـذه الأيـام. وليس من المصلحة العامة سياسـياً واجتماعيـاً ودينيـاً وأمنيـاً أن تعـالج الأمـور بهـذا الخلـط الشائع في الأوراق.

فالدعوة الإسلامية السمحاء هي البلسم الشافي لعلاج مشكلات هذه الأمة بل الأمـة العربية والإسلامية جمعاء. وجماعات الدعوة الإسـلامية مثـل الإخـوان المسـلمون، والجمعيـة الشرعية، وأنصار السنة المحمدية، وجماعة التبليـغ وغيرهـا هـى جماعـات تدعـو إلى الإسـلام بالحكمة والموعظة الحسنة بطريقة علنية ومن خلالها نبتـت الجماعـة الإسـلامية في الجامعـات تدعو إلى المعروف وتنتهي عنـد المنكـر في صفـوف الشباب بالحكمـة والموعظـة الحسـنة – وبدون اللجوء إلى العنف على الإطلاق.

ووجود هذه الجماعات في صفو ف المجتمع المصري هو حماية لـه – وتدعيـم لـه ضـد المجون والخلاعة والمخدرات والإباحية والإلحاد.

ويجب على كل أجهزة الدولة تدعيم الجماعات البعيـدة عـن كـل تطـرف أو إرهـاب ورعايتها، والأخذ بيدها في كل ما هو مفيد لهذا المجتمع، فهى الحماية الكاملة للشـباب مـن الطرف والإرهاب.

وتأتى بعد ذلك الجماعات التي تؤمن بأنـه لا فـائدة ولا جـدوى مـن النشـاط العلـني للدعوة لأنها تحارب بالقمع من أجهزة الدولة الأمنية.. إن ممارسـة الدولـة وأجهزتهـا– مـن قبل– التعذيب الشديد لأعضاء هذه الجماعـات في السـجون والمعتقـلات بـدءا بعهـد عبـد الناصر – هو الذي جعلها تكفر الحاكم وأجهزته – وتؤمن بأنه لابد من مواجهتـه ومحاربتـه

بكل السبل الإيجابية أو السلبية. والمواجهة الإيجابية هي اللجوء إلى العنف في محاربة الدولة واستحلال أموالها ودمائها ومرافقها ونشاطاتها – والمواجهة السلبية هي اللجوء إلى البعد عن المجتمع والمعيشة في المغارات والكهوف، ومقاطعة وظائف الحكومة ومرتباتها وأموالها والتعامل معها لأن أموالها والتعاون معها حرام حرام.

ومن هنا نبتت فكرة جماعات التكفير والهجرة، والجهاد بأنواعها المختلفة، والناجون من النار، والبيان والتبيين والشوقيون .. وخلافهم. وهم أعداد قليلة. ولكنهم مارسوا أعمالا خطيرة، وقتلوا أرواحاً .. وقتل منهم أرواح .. حتى أنهم كفروا الإخوان المسلمين أنفسهم ورفضوا الحوار مع علماء المسلمين – وكانوا يعطون لهم ظهورهم عند الحوار معهم – واتهموهم بأنهم عملاء للسلطة.

وهؤلاء أخذوا فتوى من علمائهم بأن أي شخص منهم يقوم بأي عملية إرهابية فهو شهيد وسيدخل الجنة. وكنا نسمع أن بعضهم عندما كان يقتاد إلى حبل المشنقة لتنفيذ حكم الإعدام فيه كان يهلل ويكبر ويهتف قائلاً .. هبي هبي ريح الجنة.

ولا تنمو هذه الجماعات وتتكاثر إلا في مناخ الكبت والقمع والتعذيب والدكتاتورية.

إنني أطلب، وأرجو من أجهزة الدولة أن تطلق العنان لجماعات الإسلامية المعتدلة – وأن تكون تحت رعايتها ونحن الآن نرى الشباب الإسلامي المعتدل في الجماعات يحارب محاربة شديدة من الأجهزة الأمنية – ويضيق عليهم في نشاطهم .. مما يصيب هؤلاء الشباب بالإحباط – ويدفعهم حتماً إلى التطرف في الوقت الذي ينطلق فيه الشباب الماجن علنا في أروقة الجامعات يصاحب الفتيات العاريات ويضاحكهم ويراقصهم ويدخن معهم السجائر بل والمخدرات دون رقيب أو حسيب .. فهل هذا معتدل.. وهل هذا هو الشباب الذي يعقد علية الأمل لبناء مصر ومحاربة إسرائيل ..

من هنا ظهرت المآسي التي نراها في المجتمع.

نتج عن ذلك الجهل المطبق والمستوى المتدني في العلم والدين والمعرفة لهذا الشباب. وتنعقد مسابقة للبنين في السلك الدبلوماسي بالخارجية – فلا ينجح أحد من هؤلاء الشباب

الخرجين المتقدمين للمسابقة وإجاباتهم تدل على جهل مطبق - كأن يجيب أحدهم على سؤال أن عاصمة فرنسا هي فيينا .. إلى أخر ما نشرته وسائل إعلامنا بسخرية شديدة.

وعندما تنظر إلى النقابات المهنية هذه الأيام مثل نقابات المحامين والمهندسين والأطباء وغيرهم نجد أن الانتخابات موقوفة منذ سنوات، وكلها تحت الحراسة أو بعضها ونشاطها العام متوقف بحجة اتهامها بتسلل النشاط الإسلامي والجماعات الإسلامية في صفوفها رغم أنها نقابات تخدم أعضائها اجتماعياً وثقافياً - وهى قنوات معبرة من الرأي الحر للإصلاح والديموقراطية -وكذلك نوادي أعضاء هيئة التدريس، والأسر الجامعية للطلاب والاتحادات.

ولابد أن ترفع الدولة أيديها عن تعيين العمداء ورؤساء الجامعات والعمد وتترك حرية الاختيار بالانتخاب الحر المباشر النزيه، وكذلك انتخابات مجلس الشعب والشورى والمجالس المحلية، وحرية إصدار الصحف وتكوين الأحزاب، وإلغاء كل القوانين الاستثنائية - والمحاكم العسكرية ومحاكمة المتهم أمام قاضيه الطبيعي.

ومن هنا سيكون المناخ السياسي صحياً - ولن يكون هناك إرهاب ولا تطرف. وتكون هذه هي المصالحة الحقيقية بين الشعب كل الشعب والسلطة كل السلطة.

ويزدهر الاقتصاد وتنمو المشروعات وتطمئن رؤوس الأموال. ولن يقوى هذا المجتمع إلا أن يكون على أساس الأخلاق والدين والقيم..

والإسلام لا يقر العنف والإرهاب والترويع على الإطلاق، وقد أختلف المسلمون على مر العصور منذ بدء الدعوة الإسلامية من أيام الرسول - حتى أن بعض صحابة رسول الله صلى الله عليهم تقاتلوا ولكن ليس معنى هذا أن دعوة الإسلام تدعو إلى التقاتل والإرهاب بين المسلمين وبعضهم .. ونحن جميعاً بشر نخطئ ونختلف في الآراء، ونرتكب الذنوب والخطايا ..

إن مستقبل العلاقة، بين السلطة والإخوان، متوقف على الطريقة التي يمكن أن يستوعب بها، كل طرف، الطرف الآخر، ولله الأمر، من قبل، ومن بعد.

الموضوع	رقم الصفحة

رقم الايداع :١٥٣٨٦/١٩٩٨

الترقيــم الدولى I.S.B.N.

977-209-038-4

مطابع المكتب المصرى الحديث

MODERN EGYPTIAN PRESS

ت : ٤٤٤١٠٧٠ – ٤٤٤١٠٧٤ – فاكس ٤٤٤١٠٧٧

هــذا الكتــاب

الكلمة أمانة والتاريخ تسجله كلمات الرجال التى تصف مـــا رأت مـــن أحداث وتكشف النقاب عن أدق الأسرار.

وفى هذا الكتاب .. يروى لنا الدكتور/محمود جامع ذكرياته التى جاور فيها الرئيس السادات سنوات طوال في الشقاء والرخاء فكانت صفحـــات بيضـــاء وكثير منها سوداء. فلقد رأى حقيقة ما كان يحدث خلـــف الســـتار ..ستار أرجوحة السياسة والسلطة التى تعصف بمن يرتادها الى أعلى عليين ثم تهوى بـــه أسفل سافلين .

في هذا الكتاب يروى الدكتور/جامع منذ البداية كيف كانت صلته بالجهاز السري للإخوان المسلمين وكيف كان تنظيم الضباط الأحرار أحد خلايا هـــذا النظام الخاص، ثم كيف تطورت العلاقة بين الثورة والإخوان...

لقد رأى الدسائس والمؤامرات والصراعات والوشايات وكيف تؤثـــر في قرارات الحكام ومن هنا عرف أن السلطة نار تحرق حتى صاحبها، ففضـــل أن يكون متفرجا بدلاً من أن يكون لاعباً لا يعرف إلى أين سوف تنتهي بـــه لعبـــة السياسة لأنه شهد نهايات مؤلمة كثيرة حتى كانت نهاية السادات رغم ما حقق من نصر وطموحات.

فهذا الكتاب رسالة إلى الحكام والمحكومين ليعرف الجميع أن الإمارة يرحم الله من يلقى عليه بها.

مهندس/ ماجد أحمد